الأعلام الألف

الجزء الثاني

(تتضمن هذه الحلقة ٢٥٠ شخصية)

بقلم

أنور الجندي

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

بسم الله الرحمن الرحيم

مطبعة الرسالة
شارع محمود العادل ٣ عابدين

تصدير

عندما أقدم اليوم الحلقة الثانيه من الأعلام الألف أشعر بالسعادة لأنني ما زلت أمضى فى إعداد هذا السجل الذى انتفع به عدد كبير من الشباب المثقف للإلمام بفكرة واضحة وجيزة عن حياة عدد من الأبطال والمفكرين والأعلام الذين تتردد أسماؤهم كثيرا فى الصحف والمجلات والإذاعة موزعة على عدد ضخم من الكتب والمجلدات التى لا يتيسر للكثيرين القدرة على الإحاطة بها واستيعابها • وكنا قد أصدرنا الحلقة الأولى عام ١٩٥٧. ونرجو أن نقدم الحلقة الثالثة فى خلال عام ١٩٦٠ ونحن فى هذه الحلقة نقدم مجموعة جديدة من الأعلام فى أسلوب يسير وعبارة موجزة وعرض واضح مع الاحتفاظ لها بطابع الشخصية الإنسانية جريا مع روح العصر التى تتسم بالسرعة والتنويع .

ولقد لقى الجزء الأول من هذا الكتاب تقدير المثقفين والدوائر الأدبية والفكرية باعتباره مرجعا موجزا ييسر للعاملين فى حقل الفكر والصحافة والتعليم الكشف عن تراجم هذه الشخصيات التى تترد على الألسنة فى كل وقت وآن . ولست أخفى أننى احتملت جهداً كبيراً فى سبيل تركيز هذه المعلومات وتقديمها . وقرأت عدداً ضخما من الكتب والدراسات . كتب بعضها باقلامهم وكتب بعضها عنهم . وأنه لتملأ نفسى الرغبة فى أن أكتب عن عدد كبير من هؤلاء الأعلام دراسات مطولة تتيح للراغبين فى التوسع فرصة لذلك ، ذلك أننا إنما نرسم من مجموع هذه الشخصيات لوحة للطبيعة الإنسانية ممثلة فى هذا العدد من أقطابها وأعلامها الذين كانوا بعيدى الأثر فى ترقيتها ودفعها إلى الأمام ، والذين حفروا أسمائهم بحروف بارزة على شجرتها الضخمة، فلم يستطع التاريخ لها إنكاراً أو نسيانا.

ولقد كانت البشرية وما تزال تتطلع دائما إلى مثل هؤلاء القادة والأعلام

فى ميدان الفكر والحرب والوطنية أولئك الذين يدفعون تيار الحياة البشرية إلى الأمام كلما توقف أو ركدو يردون إليه الضياء كلما خبا النور ، وينقونه كلما علاه الصدأ ، ويحولون بينه وبين المادية والجمود والشر ، دافعين إلى شرايينه دماء جديدة ، مغيرين واقع حياته كلما تبلد . وفى كل وجه من هذه الوجوه صورة للإنسانية فى تساميها وتطورها واندفاعها إلى الأمام . ونحن فى اتجاهنا هذا نؤمن بالقيم ونعجب بالعظمة فى صورة الرجال الذين صنعوا للإنسانية أمجادها وخلصوها من الطغاة وهو مذهبنا فى كل ما نذهب إليه لنقف بين موجتين جارفتين : موجة القسر والارغام على مذاهب غريبة عنا ، قد يندفع وراءها بعض الناس ويفتنون بها ويفتعلون الإعجاب بها افتعالا ، ثم يذهب سحرها وتبقى لنا شخصيتنا الواضحة . وموجة التحلل والجرى وراء الرغبة والتسلية وإرضاء نزوات القراء وهدهدة مشاعرهم بالألوان الجرئية والمكشوفة وهو تيار غير طبيعى خلقته الصحافة لتكسب به القراء وتحقق به الربح . وهو بقيه من بقايا عهد العبودية والذل وكلا التيارين تدفعهما إلى البقاء دوافع ولكنهما فى ذاتهما موجتان جانبيتان فى حياتنا الفكرية ، قد توجدان دائما فى كل فكر وأدب ، ولكن لا تكون لهما أبدا السيطرة أو التوجيه ولا يرقيان إلى أن يكونا موجتين فعالتين .

ونحن اليوم عندما نندفع فى طريقنا العريض القوى ، أمة تتوحد وفكراً يستيقظ ، وفجرا يشرق إنما نتطلع إلى الامجاد فى تاريخنا وإلى العظمة فى كل تاريخ ونبحث عن أعلامنا الذين قادوا الإنسانيه وكل علم دفع بالإنسانية إلى الأمام . نستهدف من هذا أن نأخذ من كل ثقافة وعلم من الشرق والغرب والقديم والجديد ، لا نتعب ولا نجمد ، وإنما نتحرك دائما فى يقظة لنضيف إلى شخصيتنا العربية حيوية وعمقا فنزيدها فاعلية وقوة . ذلك هو هدفى وتلك غايتى ، وقد وجدت فى الرجل المثقف الأستاذ صبحى جريس الذى جدد فن النشر فى مصر ورفعه عن أساليب التجارة إلى عمل فكرى أصيل عونا على اتمام هذا العمل :

حكام وقادة

أبو بكر

صاحب رسول الله فى الهجرة ورفيقه فى الغار . وهو أول مسلم . اعتق سبعة من الموالى والعبيد . اشتراهم بماله منهم بلال وعامر بن فهيرة . وأحضر للرسول ماله كله فلما سأله ماذا أبقى لعياله . قال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وعندما أذاع النبى نبأ رحلته إلى السماء « الإسراء والمعراج » ذهب إليه من يسأله فاجاب : « إن كان قال لقد صدق » وفى طريق الهجرة بين مكة والمدينة لقيهما من سأل أبا بكر عن النبى فقال : هذا هاد يهدينا السبيل !

عن أبى هريرة أن الرسول قال : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر ؛ فإن له عندنا يداً يكافئه الله عز وجل بها يوم القيامة. وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر . ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . وإن صاحبكم خليل الله . ولما غلب الوجع رسول الله بعد حجة الوداع قال: انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد فسدوها إلا باب أبى بكر . فأنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه ، فلما اشتد عليه المرض قال النبى لبلال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله صوته فقال : أين أبو بكر؛ورفع الصديق الحجاب عن وجه النبى وهو مسجى . وقبله قبلة الوداع وقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله ؛ ما أطيبك حيا وما أطيبك ميتا . كان أبو بكر أنسب قريش لقريش . اشتغل بتجارة الثياب وقد بلغ رأس ماله أربعين ألف درهم وقد كان لشخصيته الرائعة أبعد الأثر فى دخول عدد كبير من الصحابة فى الإسلام .

اختاره المسلمون بعد أن لحق الرسول بالرفيق الأعلى خليفة وفرضوا له ثلاثمائة دينار وشاه . وقد وضع دستور الحكم فقال : لقد وليت عليكم ولست بخيركم . فإن أحسنت فاعينونى وإن أسأت فقومونى . الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه » . وجمع القرآن واستخلف عمر بن الخطاب بوثيقة وعهد . توفى عام ١٣ هجرية .

أبو عبدالله

عندما انهزم « أبو عبد الله » آخر ملوك غرناطة أمام ملك أسبانيا « فرديناند » وسقطت عاصمة ملكه فى قبضة الأسبانيين عام ١٤٩١ اضطر إلى الخروج منها مع أسرته فلمـــا بارحها وقف فوق جبل يشرف على المدينة وألقى عليها نظرة أخيرة وتساقطت الدموع من عينيه . وكانت أمه « عائشة » بجانبه فقالت له : أبك كما تبكي النساء ملكا لم تحسن الدفاع عنه كرجل وكملك ! وكان « أبو عبد الله محمد » هو آخر ملوك غرطانة وملوك الإسلام بالأندلس . وقد انتهى هذا الملك الضخم نتيجة للصراع والخلاف بين الملوك والحكام واستعانة بعضهم على الأخر بالفرنجة الذين هم خصومهم مما جرأ فردنياند على الضغط والتسلط على هؤلاء الحكام بما انتهى إلى سحق كل قوة معارضة له . تولى عرش غرناطة فى إبريل ١٤٨٥ بعد أن قضى فى أسر ملك قشتاله ثلاثة أعوام وكان الصراع بينه وبين عمه (محمد بن سعد الزغل) ولم يبق فى يدهما إلا عدد قليل من المدن المتناثرة . ثم لم يلبث فرديناند أن هاجم مالقه أمنع ثغور الأندلس فسقطت بعد دفاع مجيد فى أغسطس ١٤٨٧ ثم استولى على ما بقى تحت سيطرة الزغل الذى جاز البحر إلى المغرب واستقر فى تلمسان . وكانت هذه الهزائم دافعة لعدد كبير من العرب أن يهجروا الأندلس فارين إلى المغرب هربا من سلطان الفرنجة . وقد مضى فرديناند فى خطته فأرسل إلى أبى عبد الله يطلب إليه تسليم « الحمراء » وهو بلاط الملك فى غرناطة على أن يبقى الملك العربى فى طاعته وتحت حمايته ولكنه رفض وجمع قادته وأعوانه الذين عاهدوه على الجهاد حتى الموت . وقد استطاع فى أول الأمر أن يسترد الحصون . ولكن فرديناند رأى أن يضرب ضربته الأخيرة فاندفع فى جيش ضخم لحاصر غرناطه (مارس ١٤٩١) فخرج إلى المغرب حيث مات عام ١٥٣٤م .

الوليد بن عبد الملك

قال ابن أبى عيلة « رحم الله الوليد وأين مثل الوليد ؟ افتتح الهند والأندلس وبنى مسجد دمشق . وكان يعطينى قاع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس » .

لقد كان الوليد بناء . بنى وشاد وفتح . كان مصلحا اجتماعيا ، أصلح الطرق وحفر الآبار . وهو أول من استحدث المصحات فى الإسلام . جعل لكل مكفوف قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال . منع المجذومين من مخالطة الناس وأجرى عليهم الأرزاق . أقام لكل مقعد خادما خاصا . بنى منازل للغرباء. وكتب إلى البلدان جميعا بحفر الآبار واصلاح الطرق

بنى المسجد الأقصى . ومسجد دمشق الكبير . ومسجد المدينة . وصفّح الكعبة والميزاب والأساطين وصرف فى ذلك كله أحد عشر مليون دينار .

وعنى بتعريب الدواوين . ونقل ديوان مصر من اليونانية والقبطية إلى العربية . جمل دمشق بالمبانى . حتى قيل أن السجلات التى اشتملت على نفقات البناء نقلت إلى قصر الوليد على ثمانية عشر بعيرا . وكان الناس فى عهده يتحدثون عن البناء

وجه القواد لفتح البلاد وقد امتدت فتوحه إلى بلاد الهند وتركستان وأطراف الصين . ويندمج فى تاريخه ثلاثة من الأبطال : قتيبة بن مسلم الباهلى فاتح ما وراء النهر . ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفى فاتح بلاد السند . وموسى بن نصير فاتح الأندلس .

وكان يحب الشعر ويقرضة ويحب سماعه . وكانت زوجته أم البنين مشهورة بالفصاحة والبلاغة وبعد النظر . وقد بلغ من حبه للخير أنه كان يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدبين وقد حرم فى عصره السؤال على الفقراء بعد أن أعطاهم ما يكفيهم. وقد استمر حكمه أحد عشر عاما ومتدت الدولة الإسلامية فى تملك أطراف الصين مسيرة شهر بين المشرق والمغرب . توفى عام ٧١٤ م

أكبر شاه

كان من المفكرين الأحرار ومن دعاة التسامح الديني واحترام العقائد المختلفة أقام في قصره بهوا كبيرا سماه « عبـــادة خانه » يجمع فيه فقهاء المسلمين ورهبان النصارى وكهنة الهندوس . وحاخامات اليهود ، ويظل هؤلاء في جدل ونقاش كان يستمر أحيانا أياما وليالي بطولها . بحضور « أكبر شاه » الذي كان يشترك في النقاش ويوفق بين الآراء المختلفة . ولكن الامبراطور ما لبث أن اشتط في مقاومةفقهاء المسلمين فقد فكر في إنشاء دين جديد يجمع بين كل الأديان ، ويوفق بينها ويكوّن عقيدة إنسانية عامة تسمى (دينو إلهى) أي الدين الإلهي . ولكن أبو الكلام الأكبر أعلن حرمان الامبراطور من حق الاجتهاد في الدين . إنه جلال الدين محمد أكبر همايون بن بابر شاه التيموري ، أعلن ولايته على عرش الهند خلفا لأبيه عام ١٥٥٦ وسنه ثلاثة عشر سنة . أبلى بلاء حسنا في توطيد الملك مع قائده بيرم خان وقمع الثورات والفتن والغارات على الهند علمته الحياة كثيرا من الدروس والتجارب ، وكان شجاعا مقداما إلى حد التهور ، سريع البت في الأمور يعتمد على عنصر المفاجأة والإقدام المنقطع النظير في حروبه لإعدائه فكان يلاحقهم واحداً بعد واحد حتى أوقع الرعب في قلوبهم وقضى عليهم نهائيا . وقد تم له إخضاع شمال الهند كلة بما في ذلك البنغال شرقا وضم إليها أفغانستان ثم اتجه إلى جنوب الهند فاخضع بعض ممالكها الإسلامية وقضى على سلطان الهندوس في الشمال تماما وقد التف حوله الهندوس بعد ما رأوا من حسن سياسته للدولة وبعد أن عقد معهم مصاهرات ربطت بين الأسرة الحاكمة المغولية والأسرات الهندوسية العريقة في الهند وبذلك أصبحوا قوة له بعد أن كانوا حربا عليه — توفي عام ١٦٠٥ م .

بابر شاه

عرف بالشجاعة والفروسية والبلاغة . وكتب صفحات من المغامرة الجريئة حين تسور مدينة سمرقند بمائتين وأربعين رجلا . وحين قاوم أربعة جيوش فى وقت واحد ، وحين اجتاز بجيشه جبال (هندوكش) فى قلب الشتاء وقد تراكمت الثلوج . وحين أقام الأخوة والتوحيد وأذاع ثقافة العرب وتراث الإسلام . كما عرف بالإحسان والعدل والسماحة بين الأديان واللغات والمذاهب . وقد حكم ثلاثين عاما فكان ثالث ثلاثة عرفتهم الهند الإسلامية : محمد بن القاسم الثقفى فى عهد الأمويين . ومحمود بن سبكتكين الغزنوى فاتح البنجاب وكشمير فى القرن الرابع . «إنه محمد ظهير الدين بابر» المسلم الذى يرجع نسبه من أبيه إلى تيمورلنك . ومن أمه إلى جنكيزخان . وهو الشاعر الأديب الذى ملك الهند ، وأسس دولة إسلامية فى (اكرا) دامت مائتى سنة . وكان والده قد ترك له إمارة صغيرة فى فرغانه وسمرقند عام ١٤٩٤ فائتمر خصومه مع أعمامه على إخراجه منها فأخرج بعد سبع سنين من الجهاد ، مما ألجأه إلى خاله فى طشقند يترقب ويستعد ، ثم لم يلبث أن اجتاز هندوكش وحاصر مدينة بابل واستولى عليها عام ٤ ١٥ وكان طموحه قد دفعه لأن يفتتح الهند ، ثم استولى على لاهور ، ودارت المعارك بينه وبين خصومه فاستولى على عرش دهلى . وكان أمراء الهند قد خافوه على ملكهم فتجمعوا لمحاربته فلقى خصومه فى جيش ضخم وخاض معركة ظافرة مزقت جنود خصومه وأفيالهم وانتهت باجتياح أرضهم ، فاستولى على جيتور والبنغال ورجبوت . وأقام دولة هندية موحدة عرف أهلها بالكرامة والعدل والحرية . وظلت الدولة قائمة حتى عام ١٨٥٠ تولاها ستة من أسرته فى مائتى عام وتوفى بابر وهو فى التاسعة والأربعين من عمره بعد أن عاش حياة حافلة ضخمة عريضة وترك من بعده جلال الدين أكبر الذى كان عصره امتداداً لعصر الهند الذهبى . توفى ١٥٣٠ م .

تحتمس الثالث

أطلق عليه « نابليون القديم » حكم أكثر من نصف قرن (١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق . م) على أثر حكم الملكة « حتشبسوت » فلم يلبث أن قاد جيش مصر الكبير إلى ساحات القتال فى سلسلة من الحملات لتأمين حدود الإمبراطورية المصرية من الهكسوس الذين كانوا ما زالوا يقيمون فى الأقطار الأسيوية المجاورة يتحينون الفرصة للعودة إلى غزو مصر من جديد . وإذا كان « أحمس » هو الذى حرر البلاد فأن تحتمس الثالث هو الذى مد سلطانها وأكد حريتها فجعل منها إمبراطورية ممتدة من أعالى دجلة والفرات شمالا إلى الشلال الرابع جنوبا . وهو الذى قاد جيوشه يتقدم جنوده ويشاركهم أعباء القتال ويواجه معهم الأخطار .

وكان أول قائد فى العالم وضع خطة مشتركة تتعاون فيها قوات البر والبحر . فاستخدم أسطولا كبيرا للنزول فى ساحل فينقيا . وقد نسج الجنرال اللنبى على منواله إذ اخترق ممر (عرونا) الذى سلكه تحتمس . وقد نقل مونتجمرى السفن الصغيرة من شاطىء البحر محمولة حتى نهر الراين ليعبر بها ويباغت العدو مثلما فعل تحتمس الثالث كما اجتاز تحتمس الطريق الوعر فى إحدى معاركه قاصداً المفاجئة . بينما كان العدو ينتظره فى الطريق الآخر . وكان قد نظم جيشه قلبا وجناحين وأرسل أمامه قوات استكشافية . وكانت أبرز انتصاراته على الأسيويين وفى ، مارك كوش . ويرجع المؤرخون عظمته الحربية إلى أن والده كان يريد أن يتجه به نحو الدين فوضعه فى معبد بالكرنك ، غير أن الكهنة الذين كانوا مشبعين بروح الهم الذى هو إله الحرب افعموا روحه حبا للحرب وإيمانا بالجهاد . ويقول المؤرخون أن أعظم مواقعه معركة « مجدو » التى تعد من المعارك التاريخية الفاصلة . كما يسجلون له قدرته الباهرة فى الوصول إلى شاطىء « فينيقيا » ليتخذها قاعدة لتموين جيوشه .

توماس جفرسون

« . . من الحقائق التى نؤمن أن لا سبيل إلى الشك فى صحتها أن الناس قد خلقوا على قدم المساواة . وإن الخالق قد وهبهم حقوقا بذاتها لا تنقص . أساسها حق الحياة والحرية ونشدان السعادة . وللمحافظة على هذه الحقوق تقوم الحكومات بين الناس وتستمد سلطانها من إراداتهم ورغباتهم أجمعين . فإذا تحول أى شكل من أشكال الحكومات فأصبح محطما قاضيا على هذه الغايات ، فمن حق الشعب أن يغيرها ويأتى مكانها بحكومة جديدة تقيم قواعدها على هذه المبادىء ذاتها وتنظم قواتها بالشكل الذى يحقق للشعب أمنه وسعادته » ذلك هو رأى « توماس جفرسون » فى الحرية . وهذا النص الذى كتبه فى وثيقة الاستقلال الامريكية التى تعد أعظم وثيقة فى تاريخ أمريكا السياسى وكان فى سن الثالثة والثلاثين . كان رئيسا للولايات المتحدة من ١٨٠١ إلى ١٨٠٩ — ولد عام ١٧٤٣ ومات ١٨٢٦ ولى منصب حاكم ولاية فرجينيا عام ١٧٧٩ ولمع فى الكونجرس ١٧٨١ فكان رئيسا للمجلس . وعندما ساءت الأحوال وازداد السخط فى الرأى العام وأحس الشعب بأن أصحاب الأعمال يستغلون جهاز الدولة فى تنمية ثرواتهم وزيادة دخولهم الخاصة ، عندئذ اتجه الشعب إلى توماس جفرسون فحقق آمالهم إلى أبعد حد . وكان أبرز أعماله حظر استيراد العبيد والاتجار بهم . فقد كان يؤمن بحكم الجماعات المستنيرة وبفضله على الحكم المباشر للشعب . كما يؤمن بالمساواة وبأن البشر قد ولدوا أحراراً لا فرق بين الأبيض والأسود فيهم وهو يؤكد هذه المساواة مع اختلاف العقيدة . كما يؤمن بحرية الرأى ، وبأن من حق كل مواطن أن يقول رأيه بطلاقه وهو من المؤمنين بضرورة مراجعة الدستور وإعادة تجديد بنوده كل عشرين سنة تقريبا حتى يتلائم مع التطور الحادث .

واحد من دعاة الحياد الإيجابى فى العالم الحديث . وصاحب أخصب حياة ، حياة امتدت فى الكفاح منذ الصبا الباكر حتى انتهت بالنصر وتحرير يوغسلافيا فقد مضى يبحث عن رزقه منذ الشباب الباكر ، راعيا للبقر عند خاله ، فجرسونا فى مدينة سيساك . فصانع أقفال . وهو فى خلال ذلك يقرأ بالليل بنهم ويعلم نفسه ويشترك فى الحركة النقابية ، عاملا فى مصنع مدينة زغرب فصانعا فى تريستا ثم مطوفا بمختلف أقطار أوربا ، متعلما الألمانية والتشكية . مكتسبا خبرة واسعة فى شئون العمال فلما نشبت الحرب العالمية الأولى وقع فى أسر الروس فدرس اللغة الروسية وقرا مؤلفات لنين وعند ما حاول ١٩١٧ الفرار حاصرت قوات الثوار القطار الذى كان يستقله فانضم مع غيره من الأسرى إلى قوات الروس وعاد إلى بلاده بعد سنوات واشترك فى تنظيم الخلايا فقبض عليه عام ١٩٢٨ وحكم عليه بالسجن خمس سنوات ، فلم يلبث أن ضم عدداً كبيراً من زلاء السجن إلى حزبه . وغادر السجن عام ١٩٣٤ وكانت السلطات اليوغسلافية قد حددت إقامته فى قرية (كومروفيل) فاضطر إلى البقاء فترة فى القرية ثم تمكن من الهرب . وأمضى فترة طويلة ليعيش باسم مستعار ثم قبض عليه وسجن مراراً ، وكلما أفرج عنه عاد إلى عمله السرى وقد عادى النازية وأصبح له انصار فى الجيش اليوغسلافى . وعندما اندلعت الحرب الأخيرة غزت جيوش المحور أرض يوغسلافيا فى إبريل ١٩٤٤ وفر ملكها وحكامها وأخذ تيتو يعد العدة لمقاومة قوات الاحتلال وقد رفض تيتو التعاون مع المحتلين والتفت الشعوب اليوغسلافية حوله . وما لبث أن شدد المقاومة على الاحتلال الهتلرى واتسع نطاقها ، وتعلقت آمال الشعب به والتفت حوله فأمكن طرد قوات الاحتلال فى أكتوبر ٤٤ وتم تحرير عاصمتها بلغراد وقد ولد تيتو فى ٢٥ مايو ١٨٩٢ .

الحاجب المنصور

وُصف بأنه كان يقضى ليله مكبا على الفكر والبحث والتأمل . وبين يديه دواته وقلمه وورقه ، يكتب ما يعن له من خواطر وآراء . ويظل هكذا حتى قبيل الفجر فيهجع ساعة ثم يقوم إلى الصلاة. قال له « شعله » خادمه لقد أفرط مولانا فى السهر وبدنه يحتاج إلى أ كثر من هذا النوم وهو يعلم أن السهر يحرك عليه العصب . فقال له المنصور : إن حارس الدنيا لا ينام إذا نامت الرعية وإنه لو استوفى نومه لما كان فى دور هذا البلد عين يقظى . كان فى أول شبابه طالبا مغموراً بجامعة قرطبة · نشأ فى بيت فقه وعلم فكان حسن الأسلوب جيد الكتابة بدا له أن يتصل بقصر الخليفة حيث كان يكتب الرسائل لخدم القصر . وقد وثق بذلك علاقته بكبير الحجاب الذى رأى فيه براعة وتفننا · وأتاح له هذا الاتصال أن يعرف سيدة القصر « صبح أم المؤيد » وزوج الخليفة هشام ، التى أعجبت به إعجابا بلغ درجة الحب · وكان بعيد الأثر فى التطور الخطير الذى ظل المنصور يقطع به المراحل حتى بلغ أ كبر منصب فى الدولة · غزا خمسين غزوة عاد منها جميعا منتصراً فقد كان فارسا ، وكان خشنا لم تغره الحضارة ، ولم يذهب الترف قوة عزيمته · وقد أغار عدة غارات موفقة جعلته موضع إعجاب الناس وتقديرهم وكان أوقعها غزوته لنصارى الشمال . وقيل من حزمه إنه كان إذا كان قدم من غزوة لا يحل من نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها . وصاحب الأبنية ليعلم ما وهى من أسواره وقصوره. وقصة المنصور فى تحطيم خصومه والواقفين فى طريقه إلى الملك تعطى صورة تلميذ من تلاميذ « ميكا فيلى » وقد انتهى الأمر به أن استولى على قصر الخليفة وطوى الوزراء فى شخصه لقد كان قمة المجد فى الأندلس فلما انتهى انطوت صفحة المجد وبدا عهد الانحدار والتفكك . اسمه محمد المنصور بن أبى عامر وتوفى ١٠٠٢ م .

الحجاج

« .. أن أمير المؤمنين قد عجم كنانته فوجدنى أصلبها عوداً فرما كم بى » ..
اختلفت الآراء فيه ولكنها أجمعت على أنه شخصية ضخمة فى تاريخ الحكم .
وأنه كان سناداً قويا للملك بنى أمية . وقد أوتى طبيعة صارمة غاية فى الصرامة ،
حتى قيل إنه لم يعرف الضحك فى حياته إلا مرة واحدة تبسم فيها . وقد وصف
نفسه بأنه أجرأ الناس على سفك الدماء . ووصف نفسه للخليفة عبد الملك
ابن مروان بأنه لجوج حقود حسود : وأجمع المؤرخون على أنه كان قبيح المنظر .
قصير القامة . ضئيل الجسم . ممعود . فشل فى أول حياته فلم يستطع أن يكون
بطلا فى أى ميدان . وعجز عن أن يكون فارسا يضرب بالسيف . ويطعن
بالرمح أمثال لداته وأقرانه . وكان قد بدأ حياته فى الطائف معلما للصبيان .
ولكنه ضاق بهذه المهنة وكرهها ورغب فى أن يضرب فى الآفاق ليحقق آمالا
كآمال « دون كيشوت » ومفتاح شخصية الحجاج يتمثل فى ذلك الحادث :
كان قد ألقى يوما أمراً إلى الشرطة بالمسير إلى جهة فرأى أن أتباع ابن زنباغ
لا يزالون يأكلون فى تراخ غير مبالين بأمره . فلما أمرهم بالسير فى حزم سبوه
قائلين : يا ابن اللخناء فلم يجبهم إلا بأن أمر باحراق الخيمة عليهم وأمر بضربهم
بالسياط فذهبوا إلى روح ابن زنباغ يشكون إليه ما لحقهم من الحجاج فذهب
ابن زنباغ إلى الخليفة يشكوه . ولما استدعاه الخليفة عبد الملك ليسأله عما كان
منه . قال له إنك يا أمير المؤمنين تستطيع أن تعوّض زنباغ عن الخيمة
خياما وتهب له بدل التابع أتباعا . ولكنى لن أسمح لأحد أن يعصى أمرى لأنه
مستمد من أمرك . ومن هنا بدأت تلك الشهرة التى عرفت عنه بعد ، بالغلظة
والتسلط والاستبداد وإذا ذكر الخير للحجاج فإنه يذكر فى إرساله الفتوح إلى
آسيا وبعث أبى القاسم الثقفى إلى الهند وقتيبة بن مسلم إلى الصين . توفى ٧١٨ م

الرشيد

اختلف المؤرخون حول الرشيد اختلافا شديدا ، فذهب بعضهم إلى أنه كان يصلي مائة ركعة كل يوم ، وأنه كان يتصدق بمائة ألف درهم . وأنه كان يحج عاما ويغزو عاما ، وذهب البعض الآخر إلى أن قصره كان صوره من « ألف ليلة »وأنه كان مرحا طروبا يقيم مجالس الغناء والأنس تنتظمها أكواب الراح . وأنه كان يقصى غالب وقته بين الغناء والموسيق . على أنه ليس من الغريب أن يجمع الرشيد بين الصورتين المتباعدتين اللتين تجمعهما دلالة الشخص القوى الحيوية ، الدافق الشباب ، البالغ الفتوة . ومع هذا فان كل وقائع التاريخ تؤكد أن الرشيد أمضى حياة جادة كل الجد ، حافلة بالغزو والجهاد فما كان ينتهى من غزاة حتى يفترع أخرى. وكانت أغلب غزواته فى أرض الدولة البيزنطية فلما ولى الملك نظم الشواتى والصوائف وحرض على إرسالها . ثم خرج بنفسه إلى قتال الروم بعد أن نقضوا المعاهدة ومنعوا الجزية وفى هذا يقول الشاعر :

ومن يطلب لقـــاءك أو يرده　　　فبى الحرمين أو أقصى الثغـــور

وقد بدت نفسيته المصارعة الجارفة ، على أوضح صورها وأقواها ، حين استبان له غدر البرامكة فصرعهم فى ليلة واحدة على أسلوب غاية فى الجرأة والحسم والبتر . ولم يقبل فيهم شفاعة . وقد كان الرشيد خلال حياته التى لم تتجاوز الخامســـة والأربعين ، حامل لواء الحضارة الاسلامية فى الشرق فقد احتضن الثقافة والفن وشجع رجال الشعر والموسيقى والغناء ، وأفسح لهم ومكنهم من الابتكار والتجديد والابداع . وعنى بالتأليف وأعان الفقهاء وفتح لهم أبواب البحث والقضاء . وعقد لهم مجالس المناظرة والمساجله . كما اتصل بشارلمان ملك فرنسا وجرمانيا وايطاليا وارسل إليه وفدا وأهدى إليه مفاتيح بيت المقدس علامة على الود بين الغرب والشرق وبين الاسلام والمسيحيه . وقد أثر عنه قوله للسحابة المارة « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك »

ستالين

« .. إن فضيلة الانسان الرئيسية هى أن تكون له الشجاعة ليعترف باخطائه والقوة على أن يصلح هذه الأخطاء فى أقرب وقت ... » ذلك هو رأى ستالين فى الحياة . وهو مع ذلك إذا سئل عن القدر قال « إن القدر عكس القانون . إنه شىء آخر أرفض الايمان به ، أن القدر قد ينفع الاغريق الذين كانت لديهم آلهة تقودهم كما تشاء » . ألحقته أمه فى سن الرابعة عشرة بمدرسة لتخريج القساوسة فاقبل على دراسة اللاهوت حتى وقع فى يده كتاب « كارل ماركس » ؛ قال : لقد اتجهت إلى الاشتراكية لأول مرة فى دير القساوسة وتحت وطأة نظامه المذل المهين فقد كان الدير بؤرة للتجسس والفساد . » وقد طرد من الدير ، ثم أصبح طريد السلطات وعدو النظام القيصرى . وأرسل إلى سيبريا فى الأغلال ست مرات وكان يفر هاربا . واعتقل فى المرة الأخيرة عام ١٩١٣ فبقى حتى نشوب الثورة وكان أحد اللذين وقفا بجوار لينين أما الثانى فهو تروتسكى . عينه لينين ١٩١٧ وزيرا للقوميات حيث ظل أربع سنوات ثم أصبح سكرتيرا للحزب الشيوعى . ، وقد نفر من تروتسكى واختلف معه . واشتد الخلاف بعد موت لينين . واستطاع ستالين أن يتغلب على معارضيه وأن يمسك بأزمة الحكم وينفى تروتسكى من الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٩ وقد لقب « بمنظم الثورة » ووصف بأنه كالجرارة ثقيلة بطيئة ولكنها لا تمر بأرض إلا مهدتها وأعدتها لتلقى البذور . ومات لينين فى (يناير ١٩٢٤) وكان من رأيه أن تنصرف روسيا إلى تدعيم قوتها وتوطيد النظام الجديد حتى يصبح راسخا أولا ثم بعد ذلك يأتى دور (الثورة العالمية) تدريجيا ووفقا للظروف وقد حول روسيا من دولة زراعية إلى دولة صناعية . ولد فى ديسمبر ١٨٧٩ وتوفى فى مارس ١٩٥٣ .

سيف الدولة

« شغل سيف الدولة أذهان المؤرخين والكتاب والشعراء فى القرن العاشر . حتى يستهويك الوصف والحديث عن هذا العدو الجذاب الذى حارب الامبراطورية البيزنطية بفرسان كان نصفهم من شعراء البوادى ونصفهم الآخر من أمراء الحواضر » هذا ما قاله غوستاف ستبسلمبرجر فى وصف « على بن حمدان » سيف الدولة صاحب الشخصية القوية المغامرة التى عرفت بالشجاعة والذكاء والدهاء . وانطبعت على الحيلة والحيطة والتدبير وحسن البلاء وقوة الصبر حتى كان مصدر هيبة قيصر الرومان الذى لم يتردد فى أن يجمع قواده بعد انتهاء معركة « حلب » عام ٩٢٦ وأشاد ببطولة القائد العربى . ومن أعظم مواقعه « خرشنة » التى اندفع فيها فى بلاد الروم فأحرق ودمر وفتح الحصون . وكان سيف الدوله قد بدأ حياته فارسا فقد شغف من صغره فقصص الغزوات الحربية وأحب القنص وركوب الخيل والرمى وصحب أباه فى غزواته ولما كانت حلب تتاخم أرض الروم فقد ظل يحطم أحلام الروم الذين كانوا يطمعون فى غزو الشهباء ويتطلعون إلى هذه الأرض التى استولى عليها العرب ولقد عرف سيف الدولة دائما بأنه على رأس جنده وفى مقدمتهم يعمل بسيفه ويملأ أرواح أعوانه بالشجاعة والعزم . وليس أدل على عبقريته الحربية من أنه كان لا يخشى الهزيمة ولا يفل من عزمه الانكسار بل يدفعه إلى الاندفاع كرة أخرى خالقا من الفشل نصرا . وليس أدل على عظمته الحربية من أنه ألهب شاعرية المتنبى ، وكان هو إلى جانب فروسيته شاعراً وأديبا ومحبا للأدب وقد أشاد به مؤرخو الافرنج فى كتاباتهم فقد لبث عشرين عاما يغزو الروم ويذكرون له كيف أن أهل طرسوس استغاثوا به وهو مريض فلم يقعده مرضه عن تلبية ندائهم وتراجع الروم عندما علموا بمقدمه وقد توفى ٣٦٥ ونقل جدثه إلى « ميافارقين »

شوائن لاى

عندما تذكر الأحداث الضخمة البعيدة المدى فى النصف الثانى من القرن العشرين توضع ثورة الصين فى مقدمة هذه الأعمال الضخمة التى حولت أمة مكونة من ٦٦٠ مليونا من الأنفس من الموت إلى الحياة ، وإنها استطاعت فى عشرة سنوات منذ أعلنت الثورة فى عام ١٩٤٩ إلى اليوم أن تحقق نتائج ضخمة تقف بها الصين فى الصف الأول للدول الكبرى فى العالم ولا شك أن أحد الرجلين العظيمين اللذين حققا ذلك هو شوائن لاى الذى رأس عام ١٩٤٩ أول حكومة وطنية فى تاريخ الصين منذ آلاف السنين ؛ إنه الطالب الصينى الذى درس عام ١٩٤١ فى باريس « القانون » وكتب الشعر . وشارك منذ ١٩١١ فى ثورة الصين الوطنية الديمراطية بزعامة (صن – يات – سن) هذه الثورة التى انتكست بسبب مؤامرات الاستعمار وتحالف الاقطاعين ، وقد كافح فى سبيل توحيد قوى أبناء الوطن وتكتيلهم ، وقد ألف فى باريس مجموعة وطنية كانت تدرس فى هدوء وسائل العمل لتحرير الوطن من الاقطاع والرأسمالية والاستعمار .

وفى عام ١٩٢٥ قاد حركة تحرير مدينة شنغهاى . وفى عام ١٩٣٠ أعد تقريره المعروف عن « الثورة الصينية » التى قال فيه : إن هدف الثورة هو القضاء على الاقطاع وسيطرة الرأسمالية والاستعمار . وفىعام١٩٣٧ تم الاتفاق بين ماوتسى تونج عن الحزب الشيوعى الصينى ، وتشانج كاى شيك حزب الكومنتاج .

ثم بدأت الحرب اليابانية الصينية فى يوليو ١٩٣٧ على جسر ماركو بولو ، واستمرت ثمانى سنوات (أغسطس ١٩٤٥) كان شوائن لاى فى خلالها يعمل على تنسيق التعاون ضد اليابانين . وقد نجا من الموت بأعجوبة أبان هذه المعركة . غير أن أمريكا لم تلبث أن تدخلت فى أكتوبر ١٩٤٥ وأنزلت قواتها فى (ثيان تسين) للدفاع ضد إرادة الشعب الصينى .

صقر قريش

« لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسبابه فالشأن فى أمر فتى قريش الأحوذى الفذ فى جميع شئونه وعونه لأهله ونسبه . وتسلية عن جميع ذلك بعد مرقى همته ومضاء عزيمته . حتى قذف بنفسه فى لجج المهالك لابتناء مجده . إن ذلك لهو الفتى كل الفتى « صقر قريش » ، لا يكذب مادحه » هكذا وصف المنصور : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام : لقد فر عبد الرحمن من ظلم العباسيين بعد أن استولوا على ملك أمية . وظل يضرب فى القفار حتى وصل الأندلس فأقام دولة ضخمة ، وكان عمره تسعة عشر عاما ، عندما وصل إلى شاطىء الفرات . وعندما عبر البحر جاهدا حتى وصل الشاطىء الآخر فراراً من رايات العباسيين . فقصد افريقيا ونزل فى بلاط عبد الرحمن ابن صعب الفهرى ، أمير المغرب ، ومنها عبر إلى الأندلس فبث فيها دعوة الأمويين من جديد فاستجاب له الناس وكون ملكه العريض . وصفه ابن حيان مؤرخ الأندلس بأنه كان راجح الحلم واسع العلم ثاقب الفهم ، كثير الحزم ، نافذ العزم . بريئا من العجز . سريع النهضة . متصل الحركة لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة . ولا يكل الأمور إلى غيره . بعيد الغور . شديد الحدة . قليل الطمأنينة . بليغا مفوها . شاعرا محسنا » كان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره . وكان قد أعطى هيبة من وليه وعدوه . وكان قاسيا فى مقاومة الدسائس نتيجة لطبيعته التى اكسبتها إياه الأهوال . ميكافيليا بكل معنى الكلمة . لايتورع عن الغدر والاغتيال للقضاء على خصومه . بل ذهب فى صرامته إلى البطش بكثير من أصدقائه الذين آووه يوم مقدمه شريدا لا عصبية له وقد حصن عبد الرحمن الأمصار وجند الأجناد ودون الدواوين وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته . أسس قرطبه ٧٥٦ م .

طومان باى

يعطى طومان باى مثلا رائعا للأصرار على الكفاح والمقاومة ورد عادية الدخيل مهما كان قويا عاتيا لا قبل لأحد بمواجهته .

عندما استشهد الغورى فى « مرج دابق » وهو يرد عادية السلطان سليم على سورية ومصر وداسته سنابك الخيل ، تقدمت قوات أخرى بقيادة « طومان باى » يقاومون الفاتح فى إيمان وقوة عند حدود مصر .

أولئك الاباة الذين قادهم « طومان باى » فى بسالة فأقاموا المتاريس وحفروا الخنادق وغرسوا الأوتاد وسدوا الحوارى . وجمعوا الحجارة على سطوح المنازل كدسوا الأخشاب فى الميادين لإضرام النار فيها .

وهزم طومان باى ولكنه دافع عن « القاهرة » ومعه رجاله ، جلدا مستبسلا حتى أن السلطان العثمانى اضطر أن يقف على مشارف المدينة ويتقدم خطوة خطوة ، فقد كان يلقى المقاومة من شارع إلى شارع . ومن حارة إلى حارة . ومن باب إلى باب . ولم ييأس « طومان باى » فقد أتجه إلى الصعيد ليستعد لجولة أخرى ، ولكن الغزاة كانوا قد أطبقوا على القاهرة . واعملوا فيها الفتك والسلب . وعاد طومان باى بجيش جديد إلى مقربة من الجيزة محاولا إنقاذ الوطن ، ولكنه هزم للمرة الخامسة . وظفر به المغيرون فأعدم على باب زويلة . وظل فترة من الزمن معلقا . ولم يكن طومان باى قد سلم نفسه ولكن جماعة من أعوانه خانوه ووشوا به . وقد اعترف السلطان العثمانى بما أبداه من شجاعة وإقدام. كان « طومان باى » واحداً من هؤلاء الرجال الذين دافعوا عن هذه الأرض واستشهدوا فى سبيلها مؤمنين بها . وكان استشهاد طومان باى عام ١٥١٧ م .

عبد الملك بن مروان

قال الأصمعى : أربعة لم يخلفوا فى جدولاهزل . الشعبى وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القربه . ومن كلام عبد الملك أنه سئل من أفضل الناس . قال من تواضع لله رفعه . وزَهِدَ عن قدرة . وانصف عن قوة . وقيل معاوية أحلم وعبد الملك أحزم . وقال عند وفاته : والله لو ددت إنى كنت منذ ولدت إلى يومى هذا حمالا . كونوا بنى أم برة . كونوا فى الحرب رجالا وللمعروف مناراً وإن المعروف يبقى جوده وذكره » تولى الخلافة وهو فى التاسعة والعشرين من عمره وعرف بالقدرة على تصريف الأمور بالحزم من غير عنف . جمع كلمة المسلمين ودافع العصبية عن تمزيق وحدتها . ومن هذا قوله « لست بالخليفة المستضعف . ولا بالخليفة الواهن ألا وإن من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال . ألا وأنى لا أداوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حيث تستقيم لى قناتكم . تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم . ألا وإنا نحمل لكم كل شى إلا وثوبا على أمير أو نصب رأيه » وقد رد الأمة إلى وحدتها وقوتها . وفى عهده فتحت هرقلة وغزا أرمينية وصنهاجة بالمغرب . وانتشر الإسلام فى ربوع الغرب وما وراء النهر . ووصف بأنه المؤسس الثانى للدولة الأموية وفى عهده استقامت الأمور وهدأت الأحوال . وضرب الدينار الإسلامى لأول مرة فضبط الخراج والجزية ودعم المعاملات التجارية . وعرّب الدواوين بعد أن كانت بالفارسية فى العراق واليونانية فى مصر والشام وهو أول من كسا الكعبة بالديباج . وعرف بالنسك والزهد قبل ولايته الخلافة . يكثر من الصلاة والخشوع . وقيل ما أحسن منه محدثا ولا أعلم منه مستمعا قال الشعبى : ما جالست أحدا إلا وجدت لى عليه الفضل إلا عبد الملك ابن مروان فإنى ما ذكرته حديثا إلا زادنى فيه ولا شعراً إلا زادنى منه . توفى عام ٨٦ هـ

عثمان

« .. استعينوا على الناس وكل ما ينوبكم بالصبر والصلاة . وأمر الله أقيموه ولا تداهنوا فيه . وإياكم والعجلة فيما سوى ذلك . وارضوا من الشر بأيسره . فإن قليل الشر كثير ، واعلموا أن الذى ألف بين القلوب هو الذى يفرقها ويباعد بعضها عن بعض . سيروا سيرة قوم يريدون الله لئلا تكون على الله حجة » من أصحاب رسول الله الأول . الخليفة الراشد الثالث الفقيه الذى عرف أحكام الدين ، وروى عن النبى مائة وخمسين حديثا ، وأعلم الصحابة بالمناسك . وهو سفير الإسلام الأول للوفاق بين المسلمين وأهل مكة . والكاتب الذى يجيد الكتابة ، اعتمد عليه النبى فى تدوين الوحى ، وكتب للصديق الوثائق الهامة ومنها وثيقة مبايعة عمر عندما أغمى على أبى بكر وهو يمليها فأسرع عثمان فكتب اسم عمر بن الخطاب حتى لا يختلف الصحابة وكان قد خشى أن يكون أبو بكر قد توفى فلما أفاق أبو بكر شكر له هذا الصنيع . قال عبدالرحمن بن حاطب : ما رأيت أحداً من أصحاب رسول الله إذا حدّث كان أحسن حديثا من عثمان بن عفان إلا أنه كان يهاب الحديث . وقد ساح فى الأرض ورحل إلى الشام وهاجر إلى الحبشة وعاشر غير العرب ، وكان على إلمام بالبادية . ولى الخلافة بعد عمر ، فلما بويع وصعد المنبر ارتج عليه وقال : أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى أمام قوال . وفى عهده فتح المغرب . وأذن لمعاوية فى غزو البحر . وسير جيشا إلى قبرص ، وجمع الناس على مصحف واحد ، ثم لم تلبث أن وقعت الفتنة بينه وبين أهل الكوفة وأهل البصرة الذين خرجوا ناقمين حتى منعوه من الصلاة وحاصروه فى بيته . وتطورت الثورة حتى هوجم وقتل . وكان حين قتل صائما يتلو القرآن فى مصحفه . وقد امتدت خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما وعمره ثمانون عاما ودفن ليلا . وكان ذلك عام ٣٥ هجرية .

عماد الدين زنكي

يقف « عماد الدين زنكي » في وصف نور الدين وصلاح الدين ، فقد حقق انتصارات كبيرة . ظهر عمـــاد الدين في وقت تفرق فيه العرب ، وتمكن الفرنجة من احتلال وطنهم . وقد حمل لواء العمل الأول ، فجمّع الجموع ، وحشد الحشود ، ودافع وهاجم وانتصر . وغذى في ابنه نور الدين قوة روحية عارمة كانت أعظم ما عرف في معركة كفاح الصليبيين . ويعد « عماد الدين زنكي » القائد الذى مهد الطريق وأعد الخطوط العامة للوحدة العربية الكبرى التي تحققت من بعده على يد ابنه نور الدين وأتمت قوتها وأثرها بقيادة صلاح الدين الايوبي .

انقض بجنوده على اللاذقية ونثر أشلاء جنودها فوق السهول والتلال . وأسر منهم الألوف الذين فروا تاركين ذخائرهم وغنائمهم .

ثم لم يلبث الفرنجة أن تجمعوا له مرة أخرى وعلى رأسهم ملك القسطنطينية فنصبوا المجانيق أمام حلب . عمل عماد حيلته نخوف ملك الروم من الفرنجة وأوقع بينهم ، فوقع بينهما الشقاق وفر ملك الروم تاركا الذخائر فتبعه عماد الدين واستولى على الغنيمة .

ثم عمل على إنقاذ « الرها » من أعدائها المغيرين ، نخدعهم عن وجهته واتجه إلى حمص وديار بكر . ثم لم يلبث أن استدار لهم فسقطت المدينة في يده وعادت إلى العرب . وكان في حروبه مثلا عاليا للكرامة والوفاء والرحمة .

أعادها بسماحة الإسلام فقد انتصر عليها ولكنه لم يقتل غير المحاربين . ورفض أن يأسر المرأة والطفل والشيخ .

وقد عجز خصومه عن قتله في المعركة السافرة. والخلاص منه . فتآمروا عليه ، واغتالوه بعد أن عجزوا عن حربه والانتصار عليه فمات شهيدا ١١٤٦ م .

فيليب العربى

كان أبوه شيخا من مشايخ العرب فى « حوران » ثم انضم إلى صفوف الجيوش الرومانية ، كما فعل الكثيرون غيره من العرب الذين لعبوا دوراً هاما فى الجيش الامبراطورى ، وتدرج فيليب فى مراكز الجيش الرومانى . كان فى زمن حروب « حورديان » الثالث ضدالفرس أحد قواد الحرس الامبراطورى

وبتعيين فيليب قائداً للحرس أصبحت تلك الأداة الخطيرة طوع بنانه اشترك مع «حورديان» فى السلطة الامبراطورية . ولما وثب الجند على الامبراطور أثناء الزحف على « طيسفون » عاصمة فارس فقتلوه عند التقاء نهر الفرات بنهر الخابور فى فبراير ٢٤٤ . نودى بفيليب امبراطوراً على رومه ، فانهى الحرب مع فارس ووقع صلحا مع سابو الأول وركب البحر عائداً إلى رومه ليبدأ حكمه الذى دام قرابة ست سنوات والذى اعتمد خلاله على الشعب أكثر من اعتماده على الجيش كما كان يفعل الأباطرة السابقون ، ولم يلبث أن غيّر أسلوب الحكم الإرهابى الذى كان يقوم به الامبراطور . فاكتسب محبة سكان المدن والأقاليم ، وزاد فى تقدير الشعب له إلغاؤه السخرة وتخفيفه من حدة المصادرات ورفعة المظالم والعفو عن المسجونين السياسيين وإعادة المنفيين بالعدل والحرية والنظام . وكان دبلوماسيا بارعا . وقائداً حكيما . وقد أقام فى ٢١ إبريل ٢٤٨ وهى الذكرى الألفية لتأسيس مدينة رومه أروع احتفال . كما عرف بالتسامح نحو المسيحيين ، وترك أتباع الدين الجديد وشأنهم ، ولكن بعض خصومه فى الجيش تمردوا عليه فواجههم فى شجاعة شمالى إيطاليا (سبتمبر ٢٤٩) حيث درات معركة استشهد فيها فيليب وهو يدافع عن نفسه ووطنه .

لينين

فى خلال المجاعة الكبرى التى حدثت فى روسيا عام ١٨٩١ ومات الملايين من الفلاحين الروس بالجوع والتيفوس والكوليرا ، آمن لينين أن شيئا أساسيا يجب أن يعمل . ومنذ ذلك الوقت أصبح ثوريا ولكن لينين ظل هائما على وجهه خمسة وعشرين عاما من بلد إلى بلد . عاش بين ألمانيا وفرنسا والنمسا وبولندا وسويسرا وانجلترا . ألف أحد كتبه الثورية فى السجن . كان يستعمل اللبن بدلا من الحبر فى كتاباته فلا تقرأ إلا بعد أن ينقع الورق فى الماء الساخن ونفى إلى سيبريا لمدة ثلاث سنوات . وآصل خلالها دراساته السياسية . وكان يدير حركة الحزب ويحضّر للثورة وهو فى المنفى ، حتى أنه كان يرسل أعداد جريدته (الشرارة) فى علب السجاير ونعال الأحذية وطيات القبعات إلى روسيا وهو مقيم فى زيورخ ويذهب إلى المكتبة كل يوم . وفى يوم ١٥ مارس ١٩١٧ لم يذهب ! لقد علم وهو فى طريقه إلى المكتبة باندلاع الثورة فغير طريقه وسافر فى عربة إلى روسيا عن طريق الأراضى الألمانية وعاد إليها بعد أربعة عشر عاما . وفى اللحظة الحاسمة طلب الصحف ، وألقى أول خطبة له بعد عودته من الوطن وبها تقرر مصير روسيا إلى اليوم . ولم تمض ستة أشهر حتى دان له السلطان فأعلن انسحاب روسيا من الحرب العالمية . وفى نوفمبر ١٩١٧ أصبح « لينين » حاكم روسيا حيث صادر جميع الملكيات الخاصة وبعد مضى خمس سنوات أخذ يشكو من مرض تصلب الشرايين ثم أصيب بالشلل . وعجز عن الكلام . وقد شلت يده اليمنى فتعلم كيف يكتب بيده اليسرى وظل يكافح الموت كفاح اليائس مدة عامين . عمل معه تروتسكى وستالين فلما مات فى يناير ١٩٢٤ ترك خلفيه ميدانا من الصراع حسمه ستالين باستيلائه على السلطة . اسمه الكامل سيفولاى لينين .

مازاريك

عندما كان أستاذا فى الجامعة ، كان صديقا للطلاب حبيبا إلى قلوبهم ، يزورهم فى بيوتهم ويعالج مشاكلهم . ويفض خصوماتهم . وكان كتابه « المنطق الملموس » فتحا فى الفلسفة ، وقد تزوج فتاة امريكية وفدت إلى ألمانيا لتدريس الموسيقى وتدعى « شارلوت » بعد أن أثرت فى حياته تأثيرا عميقا وفى هذا قال عنها « لقد علمتها كثيرا ولكن هى التى كيفتنى هكذا » وقد كانت تطالع معه مؤلفات الفلسفة العميقة . ثم لم يلبث أن اعتزل الحياة الجامعية وبدأ كفاحه السياسى بأن نشر بين مواطنيه رسالة أخلاقية تصور ما يعانيه شعب تشكوسلوفاكيا من استبداد ، وقال إن ذاك يرجع إلى ضعف ناحيته الخلقية واستكانته . وكان بذلك قد بدأ مرحلة جديدة فى حياته وهى الانتقال من مكان الأستاذ الجامعى إلى منصة القيادة الفكرية والاجتماعية وقد كان فى هذا الاتجاه قويا ونفاذا فاجتمع حوله الشعب ومضى يكتب ويخطب باثا الروح القومية داعيا إلى التآزر فأنشأ مجلة كانت مثابة الحركة الوطنية ثم ألف حزب الشبان من طليعة الشباب المكافح الثائر . وكان من نتائج كفاحه أن ظهرت فى يوغسلافيا وتشكوسلوفاكيا حركة قوية ترمى إلى الاستقلال . ومن أبرز مؤلفاته الثورية « أوربا الجديدة »

وقد هاجر مازاريك من بلاده أبان الحرب العالمية الأولى فاراً من وجه الظلم لينشر دعوته فى مختلف دول العالم فذهب إلى سويسرا وفرنسا وانجلترا وإيطاليا والروسيا وأمريكا ، وهو فى خلال ذلك يلقى المحاضرات ويناقش ويتحدث ويكتب المقالات النارية فى الصحف . وقد اتفق مع كثير من مهاجرى تشكوسلوفاكيا المشردين فى أنحاء أوربا على تأليف عصبة قوية تكافح طغيان النمسا .

وفى روسيا زار تولستوى وقام بإعداد دراسة مفصلة عميقة للأدب الروسى كما يمثله دستوفسكى . ولد فى مارس ١٨٥٠ .

ماوتسى تونج

عندما لفظ « صن يات سن » أنفاسه الأخيرة وهو على فراش الموت قال : إن الثورة لم تتم وعلى رفاقنا أن يناضلوا لإتمامها » وقد حقق ماوتسى تونج (أبو الصين الجديدة) أمل باعث النهضة الأول وظل شعاره دائما « إننى لا أكره الموت ولست طامعا فى الحياة » وهى كلمة « شاى هن » شاعر الصين القديم .

فى المدرسة كره النصوص والكتب القديمة . وكان قد هرب من القرية إلى المدينة ليتم تعليمه ، وظل عامين يقرأ ولكنه آمن بأن القصص والملاحم أهملت مثل كل الفلاحين : الفلاح الصينى الذى يزرع الأرض لم تكن له صورة واضحة فى كل ما قرأ . . هذا الفلاح الذى آمن « ماوتسى تونج » بأنه القوة الأساسية وجيش الثورة . وقد أعلن ذلك ولكن أصحابه لم يقبلوا رأيه . وأصر هو على عقيدته وذهب إلى القرى ليكتشف الفلاح ! فى يوليو ١٩٢٠ كان أحد ثلاثة عشر طالبا اجتمعوا فى غرفة صغيرة مواجهة ساحل شنغهاى لإرساء قواعد الثورة الصينية . ولم يلبث أن دخل فى جبهة متحدة مع « كاى شيك » والكومنتاج للكفاح ضد الاستعمار اليابانى الزاحف . واستطاع أن يقنع أغلبية الشعب . بعد أن فشل كاى شيك فى سياسته ، وكون جبهة متحدة من الكومنتاج وأوقف مصادرة أراضى كبار الملاك . وقد ظل أبرز قائد سياسى وعسكرى وفيلسوف للثورة حتى انتصرت عام ١٩٤٩ . وعرفت براعته كقائد عندما حوصرت قواعد الثورة ، حيث اتخذ أخطر قرار فى تاريخ الثورة وشق ومعه ٨٠ ألفا من الفلاحين ونسائهم الحصار ليبدأوا أطول وأشق رحلة عرفها التاريخ، إنها ١٠ آلاف ميل سيراً على الأقدام فى اثنى عشر شهراً يخوضون خلالها معارك يومية حتى وصلت طليعة الجيش فى أكتوبر ١٩٣٥ إلى « شنس » ودخل على رأس جيشه العاصمة «بكين» وكان نجاح الثورة قلبا لميزان القوى فى العالم كله .

محمد بن الأحمر

كان أمله الذى يملأ نفسه ويسيطر عليه أن يجمع كلمة الأندلس وأن يدمج أرضها فى مملكة واحدة ، وقد تحقق له هذا الأمل واستطاع أن يوطد دعائم الأندلس فيستقر فيها ملك بنى الأحمر قرنين ونصف قرن .

إنه « محمد بن يوسف بن نصر » المعروف بابن أحمر سليل بنى نصر من أعرق البطون العربية . عرف بالتواضع مع العزم والذكاء . كما اتسم بالشجاعة والاقدام . وشغف بالجهاد والمقدرة على التنظيم والبراعة السياسية .

استولى على المرية عام ٦٣٥ م ثم دخل غرناطة بدعوة أهلها وجعل بها مقر حكومته . كان ذلك عقب الحرب الأهلية التى فرقت الأندلس العربية إلى حكومات وعروش وإمارات .

وقد رأى فرديناند الثالث عشر ملك قشتالة أن ابن الأحمر هو زعيم الأندلس الحقيقى ولذلك حاول تحطيمه وهاجمه واستولى النصارى على حصن أرجونة وعدة أماكن أخرى ثم حاصروا « غرناطة » ذاتها ١٢٤٤ ولكنهم ردوا عن أسوارها بخسائر فادحه .

وفى العام التالى حاصره النصارى فاضطر إلى أن يؤمن بلاده شر العدوان ويضحى باستقلاله مؤقتا محتفظا بأراضيه حتى يوطد دعائم إمارته ، فلما استكمل قواته واجه خصومه وجمع حوله حلفاءه بنى مرين وغيرهم واستطاع أن يحطم القيد وأن يحرر مملكته وإن يهزمهم عام ١٢٦١ وأن يحقق أمله فى جمع كلمة الأندلس . وأنشأ حصن الحمراء وعرف بأمير المؤمنين وهو مؤسس مملكة غرناطة وقد ملك بنو الاحمر غرناطة وجنوبى أسبانيا من ١٢٣١ — ١٤٩١ وأولهم محمد الغالب وآخرهم أبو عبد الله . توفى عام ١٢٧٢ .

مدحت

فى ديجور الظلمات التى كانت تعيش فيها « تركيا » وفى ظل حكم المستبد « عبد الحميد » ظهر هذا الضياء الذى كان لا بد أن يكون ضحية من هذه الضحايا التى تقدم أرواحها فى سبيل فتح كوة النور أمام الشعوب . إنه أبو الدستور الذى تعلم الفرنسية والفارسية والتركية والعربية ، سافر إلى أوربا حيث درس أنظمتها السياسية والاجتماعية . فساح فى النمسا وبلجيكا وفرنسا وانجلترا وجمع بين الثقافة القديمة والحديثة وقد آمن بإصلاح الحكم فى الدولة ، ودعا إلى الحكم الدستورى الذى لا ينفرد به السلطان وحده ، بل يكون بجانبه مجلس تختار الأمة أعضاءه على نحو ما شاهد فى أوربا . نادى بهذه الدعوة عام ١٨٥٠ وقاوم السلطان عبد العزيز ، الذى اضطر إلى دعوة مدحت وأنصاره لتولى الحكم ، فلم يلبث أن قام بإصلاح شامل ، كان بعيد الأثر فى إضاءة العقول وتوجيهها إلى فهم حقيقة الديمقراطية ، ولكن سرعان ما تجمعت الرجعية وحاكت مؤامراتها ودسائسها ، هنالك طوح به السلطان فعزله بعد ٧٥ يوما ، ولكن الشعب الذى كان قد تنبه إلى حقه ، لم يلبث أن أسقط عبد العزيز فتولى بدلا منه السلطان عبد الحميد الذى عين مدحت رئيسا لوزرائه فى مقدمة خدعة ضخمة وعد فيها بإعلان الدستور ، ثم عزله ونفاه من بلاد الدولة بعد شهرين من توليته فظل منفيا أمداً طويلا . ثم سمح له أن يقيم فى جزيرة كريد ، إلى أن عين واليا على سوريا ثم أزمير ثم العراق ولكن دسائس الرجعية لم تلبث أن ألبت عليه السلطان الذى خاف أن يعزله ويقيم الحكم الجمهورى ، هنالك دعى إلى استانبول ولفقت له تهمة قتل السلطان عبد العزيز الذى كان قد مات منتحرا منذ خمس سنوات وحوكم مدحت محاكمة صورية حكم عليه على أثرها بالقتل ثم خفف بالنفى إلى الطائف فأقام سجينا حتى خنقوه عام ١٨٨٣ م .

معاوية

مفتاح حياته قوله : لو كانت بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا .. إذا شدوها أرخيتها وإذا أرخوها شددتها »

كان يستلهم ما يسمى بالمعرفة النفسية ومداخل القلوب ويعرف مقاتل الناس والنغمة التى يحبونها ويستعمل ذكاءه على أوسع نطاق فى كسب القلوب . وقد استطاع بأسلوبه وحكمته ومرونته أن يوطد الملك لبنى أمية أكثر من مائة من عام .

وكان يصل فى أسلوب حكمه إلى حد الانخداع للناس أحيانا كسبا لقلوبهم . وهو أول من اتخذ الحرس والحجاب والقصور وحول الخلافة إلى ملك . وجعل ولاية العهد مشروعة من غير انتخاب وأخذ البيعة قسراً لابنه يزيد .

وصفه عمر بقوله : فتى من قريش يضحك فى الغضب . ولا ينال ما عنده إلا على الرضا ، ولا يأخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه .

كان جميل الصورة . حلو الحديث ، هادىء السمت ، أنيقا . لا يضع سيفه حيث يكفيه سوطه . ولا يضع سوطه حيث يكفيه لسانه . وقد اتخذ كل وسيلة إلى توطيد ملكه وسلطانه ، وكانت شربة العسل التى يقدمها قضاءاً على خصمه احدى وسائله حتى عرف عنه قوله « إن لله جنوداً من العسل »

ارتفع بالدولة فى أيامه ، حكم أربعين عاما ، عشرون واليا وعشرون خليفة ، فأنشأ الأسطول العربى لأول مرة فى ألف وستمائة سفينة ورتب الشواتى والصوائف فى حصار القسطنطينية وخرج مرة على رأس قيادتها . ورتب الغزو فبعث عبد الله بن سوار إلى السند والمهلب بن أبى صفرة إلى لاهور وجدد شباب الدولة الإسلامية .

وقد انتصر معاوية على « على » لأنه آمن بسياسة الواقع وأسلوب المداورة وقال إننى أعنت على « على » بالكتمان . والمفاجأة .

نابليون

عاش نابليون حياة يتمثل فيها الصراع بين المجد والحب والسلطان . وبين الهزيمة والنفى والموت . يتمثل فيها نابليون باقمة الحرب ، وداهية الفتح ، وقد أشرق مجده وعلا اسمه حتى طغى على كل اسم ومجد ، ثم إذا به وقد انجابت عنه أضواء المجد وانحسرت ملامح النصر . كان نابليون ابن الثورة وثمرتها . ظهر كما يظهر الأفذاذ ، يكونون آية زمانهم التى لا تتكرر ولا يحسب لها حساب . جاء نابليون فى أبانه وميعاده فصنع فى سنوات قليلة ما يعجز عنه غيره فى قرن من الزمان . هذا الكورسيكى القصير الذى اتاحت له فرصة حرب الثائرين وحصدهم بالمدافع فى قلب باريس فى عهد حكومة باراس أن يلمع اسمه لمعانا خاطفا . ويعين قائدا للحرس الوطنى . ثم تتتابع الفرص فيذهب إلى إيطاليا فيحتلها ويعود منها مرفوع الرأس . ويقصد إلى مصر فيهزها ويزعجها . ثم يعود فيصبح القنصل الأول فى باريس . ثم لا يلبث أن يعلن نفسه امبراطوراً . ويمضى فيكتسح روسيا والنمسا ويبيت فإذا هو سيد أوربا كلها . وإذا هو الاسم الرهيب المخوف الذى يزعج الملوك والقادة . ثم يصل به الحظ إلى أرفع درجات القوة والمجد والسلطان ، يثل العروش ، ويلغى من القاموس كلمة المستحيل . فإذا تم له الأمر بدأ النقص يخترمه . وأخذ المجد ينحسر عنه فإذا بدول أوربا كلها تحاصره وتتآمر عليه . ثم تأسره وتنفيه إلى جزيرة ألبا . فيظل هناك عاما يرقب الحوادث ، ثم إذا به يزحف إلى باريس فيستقبل استقبال الفاتحين . ويهرب الملك الجالس على العرش ، ويتوهج نجمه ولكنه توهج النهاية . فإذا به يهزم فى « واترلو » بعد أن تتكاتف عليه الدول فإذا به أسير بريطانيا فى سنت هيلانه حتى ينقضى الأجل فيعاد إلى باريس التى أحبها فى محفته ليثوى فى التوليدى . كان شغل أوربا خلال ثلاث وثلاثين عاما عاش فى منفاة ست سنوات وأسلم الروح فى ٢ مايو ١٨٢٤ .

نظام الملك

« كنت فى مطلع شبابى أتمنى أن تكون لى قرية أو مسجد أعبد الله فيه . ثم تمنيت أن تكون لى قطعة أرض انتفع بريعها . ومسجد أعبد الله فيه . ثم تمنيت أن يكون لى رغيف كل يوم » ذلك هو أبو الحسن بن اسحق بن العباس الطوسى « نظام الملك » العالم البارع . والحاكم الحازم . والمصلح القوى العارضة ، والعصامى الذى كون نفسه . . لقد قرأ تواريخ الوزراء فى الإسلام وفهم الاحداث . وأحب أهل الزهد . ونأى عن الترف . وأحب مطارحة العلماء وصاحب القشيرى والجوينى والغزالى والقزوينى . ولى بالوزارة فى خلافة المقتدى بالله العباسى . وفى ظل سلطنه آل أرسلان ، وملكشاه السلجوق ، ووجه همه لشئون الغزو الإسلامى ، فلما أغار الروم على أملاك الدولة العباسية وزحفوا على آسيا الصغرى سارت جنوده فأوقعت الهزيمة الساحقة بالروم وغنمت مغانم كثيرة . وقد مضت هذه القوات حتى بلغت حدود القسطنطينية . . وقد عمل نظام الملك فى مختلف الميادين ، أعد الجيش ، وأنشأ المدارس فى العراق وإيران وأفغانستان وقدم لها العلماء والفقهاء ، ودعا إلى نبذ الخلافات بين العراق ، وضرب المثل بنفسه فقصد إلى بغداد وزار مشهد الإمام موسى الكاظمى بن جعفر الصادق ، وزار الإمام ابن حنبل وأبا حنيفة ، وقبر معروف الكرخى ودخل مدرسة النظامية وأبطل لعن الرافضة والأشاعرة من فوق المنابر .

وقد ظهر فى ظل مدرسته الجامعة : أبو اسحق الشيرازى . وأبو حامد الغزالى وأبو نصر بن الصباغ .

ولكن نبوغ نظام الملك لم يمنع الأحقاد التى ثارت من حوله . وكان أبلغها حقد صديق صباة الحسن الصباح الذى بعث من فدائيى الاسماعيليه الحشاشين من قتله بخنجر مسموم . توفى ١٠٩٢

المنصور

ما ذكر المنصور إلا ذكر حرصه حتى كان يطلق عليه لقب « أبو الدوانيق »
وقد ضرب المثل بحكمته وحرصه على المال ، حتى أنه رأى فى داره قنديلا معلقا ،
وكان الموضع بين الضوء والظلمة ، فأمر بأن يطفأ . وقال : لا يعاد هذا المصباح
إلى هذا الموضع. عرف بضبط النفس والقدرة على مواجهة خصومه حتى أنه وقف
يخطب مرة فقام رجل وقال يا أمير المؤمنين : أُذكر من أعنت فى ذكره فقال له
مرحبا : لقد ذكرت قليلا وخوفت عظيما . وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل
له أتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت . وأنت
يا قائلها فأحلف بالله وما الله أردت . إنما أردت أن يقال قام فقال فعوقب .
وقد كان شغوفا بالبناء ، يرى بناء الدولة فى بناء العمارة . وله فى ذلك
ذوق رفيع عرف فى تفاصيل نظام بناء بغداد وقصر الخلد والقبة الخضراء .
وقد كان يقف بنفسه من الصباح الباكر إلى المساء التأخر لا يجهد ولا يضيق
بالملاحظة والأمر . وقد وقف شهوراً على هذا الحال ، وقد أعانه على ذلك انقطاعه
عن الشهوات وقوة إرادته وصلابة بنيانه وقد كان ورعا يقوم الليل ويسبغ
الوضوء وهو الحاكم الأول الحقيقى لدولة العباسيين وإن كان ثانى خلفائهم .
وكان أسمر اللون نحيفا خفيف العارضين ، وقوراً ، يلبس الخشن من الثياب .
حسن الخلق فى الخلوة . ومن أشد الناس احتمالا لما يكون من عبث أو مزاح ،
فإذا لبس ثيابه وخرج إلى المجلس العام تغير لونه وأحمرت عيناه وتغيرت جميع
أوصافه حتى لقد روى عنه قوله لبنيه « إذا رأيتمونى قد لبست ثيابى وخرجت
إلى المجلس فلا يدنون أحد منى مخافة أن أصيبه بشىء . وكان يؤمن بأن من قل
ماله قل رجاله . ومن قل رجاله قوى عليه عدوه . ولم يتورع عن قتل أبى مسلم
الخراسانى قائد الثورة العباسية عندما رآه ينافسه سلطانه وقال كلمته الحاسمة :
إن الدولة لا يقوم فيها سلطانان . توفى ٧٧٥ م

المهدى بن تومرت

رأس الموحدين وقائدهم وإمامهم : الزاهد الورع عظيم الهامة المنتسب إلى آل البيت ولد فى بلاد السوس الأدنى جنوبى مراكش عام ١٠٩٢ ، ثم رحل إلى الأندلس فى حداثته لطلب العلم . ثم يمم نحو الشرق ، ومر بمصر ودرس بها حينا ثم سافر إلى مكة وأدى الفريضة ، ورحل إلى العراق ولقى الغزالى ودرس عليه . وحصل بها كثيرا من علوم الدين واللغة وعاد إلى مصر ولقى فى الاسكندرية أبا بكر الطرطوشى الأندلسى ، وعاد إلى تونس وتنقل فى مدن المغرب داعيا إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد زار فى جولة واسعة طويلة قسطنطينية وبجاية وتلمسان وفاس ومكناسة ومراكش وأغمات حيث كانت تلتف حوله الجماهير وتبايعه وقد استأثر بمشاعر الناس لأنه كان خطيبا فصيحا وداعيه ورعا . وقد تم طوافه عام ٥١٤ ﻫ بعد أن أثار العواطف فى إحياء السنة وإثارة السخط على العهد ورمى حكومة المرابطين بكل نقيصة مما دعا إلى تحريض رجال الحكم عليه وعقد المناظرات مع فقهاء الدولة فكان ينتصر عليهم فى كل مرة . وقد نفاه على بن تاشفين إلى مراكش فاستقر حينا بين مقابر المدينة فلما حاولوا القبض عليه فر إلى أغمات وأطلق على أنصاره الموحدين عام ٥١٥ ﻫ . ولقى فى رحلته هذه الرجل الذى اختاره لقيادة حركته : « عبد المؤمن بن على » الذى يعد من أخلص تلاميذه ومؤسس دولة الموحدين الحقيق . وقد بدأ ثورته على حكومة المرابطين عندما بعث جيشا إلى الأنحاء ونشبت بينه وبين المرابطين عدة مواقع . وقد اتخذ مدينة « بتملل » قاعدة لحكومته . وفى عام ١١٢٥ هاجم مراكش عاصمة المجاهدين فى معركة هائلة انهزم فيها الموحدون ثم لم يلبث خمس سنوات أن واصل الحرب مرة أخرى حيث قضى على الموحدين نهائيا . وقد توفى المهدى فى سبتمبر ١١٣٠ م .

موسى بن نصير

القائد الذى لم يهزم له جيش قط . والرجل الذى كان يطمع فى أن يطوق أوربا فيندفع فاتحا لها من الأندلس حتى يصل إلى مقر الخلافة فى دمشق بعد أن يمر بفرنسا وإيطاليا والدولة الرومانية الشرقية . ولكن هذا الحلم لم يتحقق لأن الخليفة الوليد توفى ولم يكن موسى مرضيا عنه من الخليفة الذى تلاه . عندما ولى الوليد الخلافة اختاره واليا على افريقيا عام (٨٩ هـ) فاستولى على طنجة وولى عليها « طارق بن زياد » وأنشأ أسطولا بحريا فصار فى استطاعته رد اعتداء الروم ، بل صار له التفوق البحرى . وبعث قوة استكشافية فى ٥٠٠ مقاتل تحت أمرة « طريف بن مالك » فعبروا من سبتة على سفن . واستطاع موسى أن يعد للغزو جيشا كبيرا أغلبه من البربر ، وجعل قيادته لجندى باسل هو « طارق بن زياد » الذى أخذ فى حشد قواته التى بلغت ١٢ ألف مقاتل ، وعبر من « سبتة » إلى الأرض الخضراء . وقد انتصر طارق فى المعركة الأولى الفاصلة فى خلال سبعة أيام وقتل « لذريق » وانتصرت القوة المعنوية العربية على القوة العددية للفرنجة . وبقى موسى يوالى النجدات والامدادات ويسيطر على الموقف ويتابع المعركة ، ومضى طارق فى الغزو وفض المدن والقلاع واستكمل الفتح وعندما قسم طارق جيشه وقصد على رأس فرقة منه إلى طليطلة عاصمة القوط وبعث مغيث بن الحارث إلى قرطبة ودفع الجيش الثالث إلى غرناطة والرابع إلى مالقة ، وأحس موسى أن الساعة الحاسمة أقبلت ، فاستخلف ولده على القيروان ، وعبر أسبانيا على رأس ثمانية عشر ألفا من العرب والبربر حتى وصل إلى أشبيليه عاصمة الرومان فاستولى عليها والتقيا معا وانطلقا لاستكمال غزو الأندلس حتى بلغا جبال البرانس وقضى على دولة القوط فى أربعة عشر شهرا وخضعت بلاد الأندلس لحكم العرب . توفى ٧١٦ م

اذينـــة

عندما انتصر الفرس بقيادة « سابور » على جيوش روما أرسل حاكم تدمر «أذينة » رسولا إلى امبراطور الفرس يخطب وده. فلما بلغ رسل اذينة معسكر سابور وطلبوا مقابلته حملته سكرة النصر على رد الرسل مظهراً عجبه من أقدام شيخ مدينة صحراوية على ايفاد الرسل للقائه . وهو ملك الملوك ... وهنا تظهر عظمة اذينة العربى من قبيلة بنى السميدع . فقد جمع جنده وحشد معهم القبائل التى حول تدمر واتجه على رأس هذه القوات نحو عاصمة فارس للانتقام من سابور معلنا عزمه على تخليص الامبراطور الاسير . وألتقى جيش اذينة بجيش سابور قبل أن يعبر الفرس نهر الفرات حائلا بينهم وبين العودة إلى عاصمتهم . فدارت بين الفريقين معركة انكشفت عن هزيمة الجيش الفارسى وفرار سابور ومن معه تاركا خلفه حريمه وكنوزه فغنمها اذينة . وتمكن بعد انتصاره أن يحرر الجزيرة الفراتية من الفرس وفتح مدينة نصيبين كما فتح ايران وطرد الفرس منها ومضى يسير بجيوشه حتى وصل اسوار عاصمة الفرس « المدائن » وحاصرها ونصب عليها المجانيق . ولم يصرفه عن فض العاصمة إلا ما بلغه من أن القبائل القوطية تزحف نحو مملكته .

وقد جزاه الامبراطور على بطولته وشجاعته وموافقة منه أن أطلق يده فى أمور تلك الأقطار ولقبه بأمير الشرق ، وأصبح شريكا له ، واضحت تدمر عاصمة لدولة كبرى .

وقد اغتيل اذينة عام ٢٦٧ وهو بمدينة حمص فى أوج سلطانه وعظمته . ولما مات تولت زوجته « زينوبيا » الحكم وقد عرفت بذيوع الذكر وهى التى حققت عدداً من الأعمال الضخمة كامتداد لحكم زوجها .

وفى خلال حكم اذينة لتدمر اصطدم الرومان بالفرس من جديد عام ٢٦٠ م .

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

أبطال وفاتحون

العلاء بن الحضرمى

قام بأول معركة بحرية فى تاريخ الإسلام من تلقاء نفسه دون إذن أمير المؤمنين أبى بكر الصديق هى معركة « دارين » فقد نازل الأسطول الفارسى بسفن صغيرة الحجم صنعت على عجل وبجنود أقل دراية من أعدائهم وظفر بخصومه بعد تجربة قاسية آزره فيها جنوده الأقوياء الذين عاهدوه على الموت واخلصوا له . وقد اقض مضاجع الفرس وامبراطورهم كسرى يزدجرد وكان العلاء من قادة الجيوش الإسلامية الأحد عشر التى بعث بها « أبو بكر » فى يوم واحد لحرب المرتدين وقد ظل يطارد « قبائل ربيعة حتى أشرف على الخليج الفارسى ، وهناك قاتل قبيله عبد القيس ، وظفر بها بعد معركة رهيبة كلفته التخلى عن كثير من رجاله الذين سقطوا صرعى فى ساحة الجهاد وداستهم أرجل الخيل . وبعد أن انتهت المعركة . وكتب له النصر ، بلغ العلاء أن الحطم بن ضبيعة قائد جند الأعداء قد جمع بعض حاشيته ولحق بجزيرة دارين فى الخليج الفارسى . ثم جاءت الأنباء بأن الأسطول الفارسى تعهد بحمايتهم والقتال دونهم حتى الموت وسمع ذلك العلاء فغضب وثارت ثائرته ولكنه كظم غيظه . وراح يعد لغزو الجزيرة الفارسية التى تمردت عليه وتحدته ، وآوت عدوه اللدود . وكان لابد للعلاء من ركوب البحر بجنوده لأول مرة ، فاوصى بصناعة ما يقرب من مائةسفينة شراعية . واعد السفن الشراعية وأنزلها إلى البحر . واشرف على توزيع جنوده . ثم ركب معهم بعد أن أخذ عليهم العهد والمثياق . وانساب الأسطول العربى فى عرض الخليج يحمل جنوده البواسل ، وسفينة العلاء الكبرى تحمل علم الإسلام وتسير فى المقدمة ، ورماح الجنود وحرابهم مشرعة وسيوفهم مسلولة فلما بلغوا نشب القتال وحمى الوطيس ، وسالت الدماء على وجه الماء ، وحافظ الأسطول العربى على نظامه وتمزق شمل الأعداء وحلت بهم الهزيمة الساحقة وقتل قائد الأسطول الفارسى واغرقت سفنه الكبرى فتم للمسلمين النصر ونزل العلاء بجنوده إلى جزيرة « دارين » فاحتلها بعد مناوشة صغيرة مع جنوده . توفى ٦٤٢ م

جومو كينياتا

سمع صيحة الحرية بعد الحرب العالمية الأولى فقال : ولماذا لا نموت من أجل الحرية . ان ظلم الانجليز واضطهادهم قد بلغ غايته ومضى يكتب في الصحف مطالبا بحق قبيلته فى استرداد الأرض العالية التى اغتصبها الإستعمار وعمل رئيسا لتحرير جريدة « مويجتانبا » عام ١٩٢٨ فعرف باسلوبه الملتهب وبضرباته للرجل الأبيض . ولما لم يجد سبيلا لتحقيق هدفه ، سافر إلى خارج بلاده ليتحدث عن حرية شعب كينيا . وقد أحس بالوطنية تملأ نفسه أواراً عندما وجد لونه الأسود يحول بينه وبين إرتياد أماكن البيض وسافر إلى بريطانيا عام ١٩٣١ حيث درس الاقتصاد فى جامعة لندن ودافع عن قضية بلاده ، واستوعب علم أجناس البشر ، وكان هدفه أن يثبت أن السود ليسوا أقل من البيض مكانة وكانت رسالة الدكتوراه التى تقدم بها « أمام جبل كينيا » وقد قام بجوله فى أنحاء أوربا وروسيا يدعو لقضية بلاده . وبعد الحرب العالمية الثانية خرج إلى ميدان الكفاح الأفريقى ، واتصل بالحركة العمالية والاشتراكية فى أوربا ، واتصل بأقطاب الفكر العالمى ورجع إلى كينيا عام ١٩٤٦ ليتزعم الحركة الوطنية . ورفض عرض الإنجليز بتعيينه فى المجلس التشريعى وكانت جمعيته «كاو» تستهدف استرداد الأرض العالية . وازالة الفوارق العنصرية ، وتوحيد قبائل كينيا والكفاح من أجل تعليم السود أسوة بالبيض . فلما قاومه الإنجليز أعلن المقاومة السلبية ونظم الاضرابات فى المصانع والمزارع التى يملكها البيض . وقد ظل يقام الإنجليز سلبيا إلى أن إندفع زعماء بعض القبائل إلى العنف والفوا جماعة «ماوماو» وظل جومو كينياتا الزعيم الروحى لهم . ولم يلبث الإنجليز أن قبضوا علية فى نوفمبر ١٩٥٢ بتهمه تنظيم حركة ماو ماو وحكمت المحكمة عليه بالاشغال الشاقة سبع سنوات وكان جومو قدولد عام ١٩٠٤ وتعلم الانجليزية والتجارة ثم عين مترجما فى المحكمة العليا وذلك قبل أن يحمل عبء الثورة والدفاع عن وطنه .

جواد حسنى

عنـدما هاجم الاستعمار الثلاثى بورسعيد ، هجر القاهرة واندفع ليقاتل الأعداء ، ولقد خيل للقوات الغاصبة حينما هاجمهم فى إحدى المواقع أنه كتيبة كاملة . ولـما نفدت ذخيرته تمكنوا من أسره وتعذيبه ، وحرق أهدابه ونزع أظافره. واطفاء السجائر فى جبهته وبلغوا فى ذلك أبشع صور التعذيب فشوهوا عينيه ووجهه وأسنانه . كان طالبا فى الثالثة من كلية الحقوق بجامعة القاهرة لايتجاوز العشرين ربيعا انضم إلى كتيبة الجامعة كعشرات غيره . ولـكنه كان إنسانا آخر . كانت فى أعماق نفسه طاقة من الحقد والـكراهية للانجليز والاستعمار .

عاش حياته قبل معركة بور سعيد يتابع جهاد المجاهدين فى الجزائر ، قالت أخته (إن الجزائريين قتلوا ٢٤ ألف فرنسى) وانبرى جواد فى غضب يقول إن المطلوب قتل ٣٤ ألف فرنسى . إنك لا تعرفين ما يجرى هناك ، عمليات قتل بالجملة . قنابل يلقيها المستعمر لا على المحاربين الجزائرين ولـكن على الأطفال والنساء الآمنين . وفـكر فى أن يذهب إلى الجزائر ليقاتل الفرنسيين هناك . وجاءه الفرنسيون إلى بور سعيد ليقتل منهم الـكثير . وما كاد العدوان الاسرائيلى على مصر يبدأ حتى سافر متطوعا إلى سيناء وهناك ظل يواجه اليهود حتى صدر الأمر بالانسحاب فعاد ليقضى فى القاهرة بضعة أيام كان يردد خلالها آهته اللاذعة .

« كيف يدخل المستعمرون أرض مصر » . ولم يلبث أن سافر إلى بور سعيد ليؤدى دوره فى المقاومة الشعبية. هناك سافر من غير أن يقول لأحد من أسرته . كان يعيش فى قلبه حلم كبير . إنه يريد أن يؤدى لبلده عملا عظيما . وكانت قصته قصيرة ولـكنها ضخمة . عند ماوصل إلى القنطرة الشرقية سمع أن القوات الفرنسية وصلت إلى الـكيلو ٣١ من طريق الـكاب شرق القناة وتسلل من غرفته بالليل وزحف نحو قوات الأعداء الفرنسيين واتخذ له موقعا حربيا وأخذ يطلق النار على مواقعهم بمدفعه ولما فرغت ذخيرته قبضوا عليه وعذبوه ثم ضربوه فى ظهره بالرصاص فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦

جوهر الصقلى

قائد المعز لدين الله الفاطمى ، أسس مدينة القاهرة ، وبنى الجامع الأزهر ، ونشر المذهب الفاطمى ، وفتح مصر والشام وفلسطين ووطد سلطان الفاطميين فيها وصد غارات القرامطة عن مصر وهزم افتكين ومن حالفه من القرامطة . وتقلد الوزارة فى بلاد المغرب ثم اختاره المعز لفتح بلاد المغرب ثم منح لقب القائد وتوليه أمرة الجيوش لفتح مصر .

وقد سار جوهر حتى وصل إلى برقة ثم استولى على الاسكندرية . فلما بلغ القاهرة تم استيلاؤه على الفسطاط .

وكانت لجوهر من المواهب الممتازة ما مكنه من أن يندفع وينتصر . قائداً موفقاً . وسياسياً حكيما مما مكن المعز أن يختاره لقيادة الجند لاتمام فتح مابقى من بلاد المغرب وضمها إلى سلطان المعز فى أقل من عام الحكمه .

ولما جاء مصر نشر الدعوة الشيعية بالمشرق بعد أن فشل فى ذلك من سبقه من القواد الفاطميين ، إذ كانت مصر قد بلغت حالة من الفوضى فى عهد كافور وانحلال الدولة العباسية وقد اتخذ الفاطميون القاهرة قاعدة لخلافتهم وقيل أن سر نجاحه فى نشر المذهب الفاطمى أنه اتخذ لذلك أسلوبا سلمياً وعلمياً عند ما أنشأ الأزهر ودار الحكمة .

وكان لمهارة جوهر وحسن سياسته أثرها فى استتباب الامن مما دفعه إلى فتح سوريا وفلسطين والقضاء على القرامطة وردهم عن المشرق كله .

وكان جوهر يجلس للمظالم بنفسه . ويرد الحقوق إلى أهلها . وقد منع جنود المغاربة من الاعتداء والغصب شأن الجند الفاتحين .

وقد ترك المعز له ولاية مصر أربع سنوات . وتوفى سنة ٩٩٢

جورج كارفر

إنه واحد من العصاميين العظماء الذين كونوا أنفسهم ، وظلوا يكافحون حتى وصلوا إلى قمة المجد ، وقد تلقى كثيراً من الصدمات فى صبر . وثابر فى بطولة وعزيمة وقوة حتى انتصر . وقع وهو طفل فى أيدى جماعة من تجار الرقيق المنتشرين فى تلك الأصقاع فانقذه صاحب المزرعة فى آخر لحظة . كانت هوايته التجول فى الغابة ، والتأمل فى أشجارها وأعشابها وصخورها . وقد أعتقه سيده فتعلم القراءة والكتابة ، والتحق بالمدرسة ، وكان يبيت ليله مفترشا كومة من القش وقبل وهو الطفل الأسود مع التلاميذ البيض فى جامعة هلايلاند ولكنهم ما كادوا يتبينون أنه أسود حتى رفض طلبه ولكنه لم يعرف اليأس فقد ظل يجاهد حتى التحق بجامعة سمبسون الحرة فى ولاية (أيورا) .

واستطاع أن يعمل فى ميدان الفن ، وقدم عام ١٨٩٣ مجموعة من اللوحات فى معرض شيكاغو الدولى ، وقد صور ذلك فى مذكراته إذ قال أن لونه الأسود صرف عنه الناس ، ولكنه مضى فى طريقه صابراً مثابراً .

درس العلوم الزراعية ليخدم قومه السود خدمات نافعة ، فالتحق بكلية الزراعة فى جامعة ايورا وعين مدرساً بها عام ١٨٩٤ .

ولم يلبث أن طاف فى مناطق الجنوب حيث حضر اجتماعات الفلاحين فى قراهم النائية . وأسواقهم وحقولهم وعلم الناس زراعة محاصيل جديدة فزاد دخلهم إلى جوار القطن . وقد استطاع أن يستخرج فى معمله من القطن كتلا للرصف ، استخرج المطاط من القمامة ، واستخرج من قشور البحر والأعشاب أدوية نافعة . واستمر يواصل جهوده العملية خمسين عاما . وتوفى عام ١٩٤٣ بعد أن خلد اسمه فى سجل العاملين الذين قدموا للبشرية أجل الخدمات .



حسن كريت

يقف حسن كريت فى صف عمر مكرم ومحمد كريم . انه واحد من الأبطال الذين كشفت عنهم المقـاومة الشعبية للفرنسيين والانجليز فى أوائل القرن التاسع عشر . فإنه عند ماوصلت حملة فريزر إلى رشيد فى أسطول مكون من ٢٥ سفينة نادى فى أهل البلد بالجهاد ، ودعاهم مع أهل القرى المجاورة إلى حمل البنادق والسيوف والخناجر لمقاومة الانجليز .

وقد وضع مع المجاهدين خطة الانسحاب أمام الجيش إلى داخل رشيد حيث تحصنوا بها فما أن دخلت القوات المدينة ظانة أنها قد سلمت ولم تقاوم ؛ واجهتها عاصفة عنيفة من القتل فدوت الطاقات من وراء النوافذ وفوق السطوح كهزيم الرعد فقتل الجنرال ويكوب وتخاذلت قوى الجنود الذين تراجعوا إلى ظاهر المدينة .

ولم يلبث أن أرسل رسله إلى القاهرة والبحيرة ، إلى العربان وإلى عمر مكرم يطالب بمزيد من القوى . وقال فى خطابه إلى عمر مكرم : إن الانجليز لـما حضروا إلى رشيد وحصل لهم ماحصل من القتل والاسر رجعوا خائبين وحصل لباقيهم غيظ عظيم ، وهم شارعون فى الاستعداد للعودة والمحاربة . والقصد أن تسعفونا وتمدونا بارسال المحاربين والأسلحة والجبخانة بسرعة وعجل .

وقد صدق حدسه فقد عاد الانجليز مرة أخرى لغزو رشيد فحاصروها هذه المرة وأخذوا يضربونها بالمدافع تمهيدا للهجوم عليها وقد هرع الـكثير من شباب البلاد إلى رشيد لنجده أهلها رشيد ودخلوا المدينة فى قوى متوالية ضخمة ولم تجد انذارات الانجليز فى تسليم المدينة واستبسلوا بقيادة حسن كريت فى الدفاع واستمر الضرب والحصار ١٢ يوما وكان لهذه المقاومة أثرها فى طلب الانجليز للأمان ولـكن المجاهدين هاجموا مواقعهم واستحكاماتهم فحطموها وذبحوا الـكثيرين منهم وهربت فلول الانجليز وتابعهم المجاهدون وغنموا أسلحتهم ومدافعهم .

حيدر بن كاوس

ضمه المعتصم إلى جنده حين شاهد بطولته الباهرة . فصحبه فى حروبه المتلاحقة فأبدى بسالة عجيبة . وقد أرسله المعتصم فى عدد من المعارك فأظهر مقدرة وكفاية . فمضى يرمى به إلى المهالك . وهو الذى قضى على الخرمية . وثار بابك وانزعج لثورته المأمون ، فقد كان على رأس طائفة من المجوس يدعون إلى التناسخ ويبيحون المحرمات فوجه إليهم المأمون رجاله وقواده فتساقطوا واحداً بعد آخر فلما جاء أوان موته كتب فى وصيته للمعتصم « أن عليك ببابك وأصحابه الذين كانوا قد انتشروا فى أذربيجان وهمذان واصبهان. ولم يجد المعتصم غير «الافشين» وهذا اسم حيدر بن كاوس الذى عرف به — فسار على رأس جيش ضخم يدير معارك رهيبة حتى تم له النصر فى موقعة (أرشق) وفر بابك مهزوما ، فلم يلبث الأفشين أن طارده وحاصره حصاراً عاتيا وقاده إلى المعتصم . وكان ذلك نصراً مؤزراً أعاد للخلافة هيبتها وللدولة حصون بابك المنيعة وراء النهر .

ثم لم يلبث أن سار إلى الروم وانتقم من غدرهم ، وكان قيصر قد انقض على زبطرة ، ثم احتل مليطة من الثغور العربية ، فأوقع بالروم وهزم جيش القيصر ومضى حتى أسقط عمورية أمنع حصون الروم ، وكان هذا مزيداً من الفخر لحيدر أزعج خصومه وملأ قلوبهم بالحقد عليه ، فكادوا له بالكفر وفساد العقيدة ، وألفت لمحاكمته عصابة من خصومه ، ووقف يدافع عن نفسه ، ولكن الاتهامات كانت قد رتبت والشهود قد أعدت . ومما اتهم به أكل لحم المخنوقة ، ومعنى هذا أنه مازال على مجوسيته . كما اتهم بأن أهل بلاده يخاطبونه بخطاب الآلهة ، وقد كان آباؤه من الملوك قبل أن يدخل للاسلام ، كما اتهم بأنه يحتفظ بكتاب فارسى زين بالذهب والجوهر . وكل هذا دافعه حيدر وبرأ نفسه من أثره . وعجز القضاة عن ادانته . فقد كانت كل هذه تعللات أريد بها التخلص منه . وقد سيق إلى السجن وقتل صبرا عام ٨٤١ م

الزبير بن العوام

بعث عمرو بن العاص يطلب مدداً إبان فتحه لمصر ، فأرسل إليه عمر رجلا واحداً ؛ وقال له قد أرسلت إليك رجلا بألف . ووصل الزبير وكان المسلمون محاصرون لحصن بابليون . وجال ببصره حول الحصن العتيد فأدرك أن الأمر لا تنفع فيه القوة ولا بد من الحيلة والمفاجأة . وتقدم الزبير وصعد إلى أعلى الحصن رغم ما فى ذلك من خطر محقق ، وأخذ يكبر والجنود يرددون تكبيره حتى وقع فى روع المدافعين أن هذه صيحة النصر ، وأن المسلمين قد نجحوا فى دخول الحصن فارتج عليهم وضل تفكيرهم وأطلقوا أرجلهم للريح ولاذوا بالفرار وتم الاستيلاء على حصن بابليون بعملية بارعة وقائد شجاع . وكان فى بدر من القادة الأربعة الكبار : على والزبير وحمزة وأبو دجانة إذ بايع على الموت مع طلحة وعلى وخمسة من الأنصار . إنه الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى الشجاع أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من سل سيفه فى سبيل الله . أسلم وعمره إثنا عشر عاما . وجعله عمر فيمن يصلح من بعده للخلافة . وكان موسراً كثير المتاجر ، خلف أملاكا بيعت بنحو أربعين مليون درهم . وكان طويلا جدا إذا ركب تخط رجلاه الأرض . وقد قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل وله نيف وستون عاما وروى له البخارى ومسلم ٣٨ حديثا .

وقد آخى الرسول بينه وبين عبد الله بن مسعود بعد الهجرة ، وهو أول من سل سيفا فى سبيل الله ووصف بأنه حوارى رسول الله وقد عكف بعد وفاة النبى على التجارة ، وقد وقف فى صف عائشة وطلحة ضد على .

وكان ثريا بنى داراً بالبصرة ، وأخرى بالكوفة وثالثة بالفسطاط . ورابعة بالاسكندرية وفى رواية أن ماله بلغ بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة . وتوفى عام ٦٥٦ م .

سعد بن أبي وقاص

لعله مما لا يقع لقائد من قادة الجيوش أن يقود معركة وهو منبطح على وجهه . وفى صدره وسادة يشرف على الناس فى ميدان المعركة . ويرمى بالرقاع فيها أمره ونهيه. ولكن ذلك هو ما وقع لسعد فى القادسية التى انتصر فيها المسلمون انتصاراً مظفرا . ولعله قد كره أن يدير المعركة من وراء ستار فيكون لذلك أثره فى نفوس الجند . فقال أحملونى وأشرفوا بى على الناس . وارتقى به من حوله . فلما واجه الناس هتفوا وهللوا فناداهم بقوله : إذا سمعتم التكبير منى فشدوا شسوع نعالكم . فإذا كبرت للثانية فتهيئوا فإذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الأضراس وأحملوا . فلما فرغ القراء كبر سعد وكبر الذين يلونه . وفى موقف آخر اقتحم سعد نهر دجلة برجاله إلى البر الآخر . وكانت العرب لا تعرف البحر فدفع ستمائة من رجاله على رأسهم عاصم بن عمرو على خيولهم فى البحر . وتولى الفرسان العجب عند ما نزلت الماء . واندفع سعد بفرسانه ألوفا مؤلفة إلى لجة البحر . وامتلأ النهر بالخيل فلم يكن ماؤه ليرى . ووصل سعد وأصحابه فدخل إيوان كسرى وصلى صلاة الفتح . وكان من الرعيل الأول من المسلمين الذين أتيح لهم الاشتراك مع النبى فى المواقع الكبرى . وعمل مع خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وأبو عبيدة . وكان منذ صباه صابا قوى المراس يغلب عقله عاطفته وقد جعله عمر من أصحاب الشورى الستة . وهو صاحب أول دم أريق فى الإسلام وبلغ من قوة إيمانه أن شج الرجل الذى عاب دينه ووقف بجوار الرسول فى أحد يدافع عنه . وولى أمر الكوفة وهو الذى بناها . ووقف على الحياد فى أيام الفتنة وزهد فى الخلافة وانقطع للعبادة. وكان فى حياته متواضعا ليس فى طبيعته الاندفاع. وقد أعطته مواقف القتال حكمة وحنكة وخبرة . وعرف بالعطف على جنوده حتى أخلصوا له وكانوا يفتدونه وعرف بحدة البصر . توفى ٦٧٠ م

صن يات سن

هذا الرائد الذى ما زالت الصين تشهد له بالبطولة وتسير على نهجه . وهو وإن يكن قد درس الطب فإنه سرعان ما اندمج فى جمعية الأحرار الصينيين . ، إذ وافقت مبادئهم ما يجول فى خاطره من حب الحرية ، لذلك وقف حياته لخدمة مشروعها . وكان قد استقرت فى نفسه كراهية الحكومة لأنه شهد وهو غلام مقتل أناس حكم عليهم بالإعدام . وجعل يطوف البلاد يخطب ويحث الناس على الاتحاد لطرد أسرة « المنشو » الذين يحكمون البلاد فلما علمت الحكومة بأمره قبضت عليه وسجنته ١٨٩٦ ثم أخلى سبيله ، ولكن الحكومة ظلت تطارده وهو ينتقل متنكراً باسم تاجر أو طبيب أو صانع لا يدخر وسعا ولا يبالى جهدا ووضعت الحكومة جائزة ٥٠ ألف جنيه لمن يأتى برأسه ، فلم يؤثر ذلك فى ثباته وبسالته وظل يطوف بلاد الصين واليابان وينتقل إلى أوربا . وكان أكثر تنقله فى تجواله باسم سائح تجارى يختلف إلى البيوت التجارية فى الصين يعرض عينات من البضائع . وقال عنه عارفوه أنه كفاء للعمل الذى وقف نفسه له لأنه هادىء المزاج ثابت الجنان ، جاد لا يلتفت إلى الأحلام والخيالات. ولا يتكلم إلا قليلا جدا. قال معاصروه ان قاعدة عمله كانت الإنكار لذاته ، والتفانى فى إنقاذ وطنه من سلطة الأجنبى ، وقالوا إن به قوة مغناطيسية يتسلط بها على مخاطبيه . وقاعدة تبشيره هى « الصين للصينيين » ، ومعنى ذلك خلع الأسرة المالكة وتحويل الحكومة إلى جمهورية. ولد فى هونولولو سنة ١٨٦٦ ، وفى عام ١٨٩٢ قصد إلى جزيرة « ما كاو » فى جنوب الصين الشرقى قرب مصب نهر كانتون . ورحل إلى جزيرة هاوى واشتغل مع أخيه بالتجارة وقد تحقق له ما أراد فأسس الجمهورية الصينية ١٩١٢ وتوفى عام ١٩٢٥ وكان متوسط القامة ممتلىء الجسم أسمر اللون شديد سواد الشعر ، وقيل إنه كان يميل إلى تعاليم النصرانية .

سلمان الفارسى

« .. تناولنى بضعة عشر — من رب الى رب — حتى وصلت إلى النبى ومنّ الله على بالإسلام » ذلك سلمان الفارسى الذى عرف المجوسية ثم النصرانية ثم آمن بالاسلام وبلغ من أمره أن قال عنه النبى « سلمان منا آل البيت » . ومن الموصل انتقل إلى نصيبين إلى عمورية إلى يثرب . وقال له صاحب عمورية : لقد أظلك زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم . يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل . به علامات لا تخفى . يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . بين كتفيه خاتم النبوة . ودخل سلمان يثرب عبداً مملوكا لسيد من بنى قريظة . فلما سمع بأمر النبى الذى بلغ مهجره انتظر حتى أقبل الليل فلف الدنيا بردائه الأسود ، وجمع تمرات كانت عنده وحملها إلى النبى . يقول سلمان جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد عليه شملتان وهو جالس مع أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره . فلما رآنى الرسول ألقى رداءه عن ظهره فلما رأيت الخاتم أنكببت عليه أقبله . وشغله الرق عن أن يشهد مع النبى غزوتى بدر وأحد . وقال له الرسول انطلق يا سلمان فاشتر نفسك فاشتراها بأربعين أوقية من الذهب وقال النبى لأصحابه : أعينوا أخاكم فأخذوا يساعدونه كل على قدر طاقته . ولما اشترك فى غزوة الخندق - وهى أول غزوة له — قال سلمان للرسول : كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فجمع الرسول صحابته وأمرهم بحفر الخندق . وكان رجلا قويا فاختلف الأنصار والمهاجرون فيه . فقال الرسول كلمته الخالدة : سلمان منا آل البيت . واشترك فى جيش سعد بن أبى وقاص . وحارب فى كتيبة الأهوال التى خاضت النهر بخيولها ، وجعله عمر واليا للمدائن . وكان عطاؤه يومئذ خمسة آلاف درهم فكان إذا خرج عطاؤه فرّقه على المساكين وأبقى له درهما يشترى به خوصا وكان زاهداً متواضعا بعيداً عن شهوات الدنيا . اشترك فى الغزوات . توفى ٦٥٥ م

عبد الله بن الزبير

أول مولود مسلم بعد الهجرة . شب فى حجر النبوة . أبوه الصحابى الذى شهدالمعارك كلها وأمة ذات النطاقين . أرسله عثمان فى جماعة لموافاته باخبارهم ، ولما وصل إلى أفريقية لم ترقه خطة ابن أبى سرح فى قتال الأعداء . وتولى خطة الحرب فانتهى بهزيمة خصومه وقتل ملكهم جرجير . وقد عرف معاوية لعبد الله بن الزبير ، شدة بأسه فى القتال فلما جهز جيشا لفتح القسطنطينية عام ٤٨ كان عبد الله فى طليعة المشتركين من الصحابة إلى جوار عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وأبى أيوب الأنصارى . وقد عارض سياسة عبد الملك بن مروان ، وكان يطمع فى أن يعيد إلى الحجاز مجدها ويجعلها مركز الخلافة ، وقد أعلن دعوته بالخلافة بعد موت الحسين فى كربلاء ٦١ هـ وانتشرت دعوته فى العراق ومصر ، فسير إليه الحجاج بن يوسف الثقفى قوة حاصرت مكة وضربتها بالمنجنيق . وضاق بأمر أنصاره الذين تفرقوا عنه فذهب إلى أمه يشكوا إليها فقالت له : يا بنى إن كنت على حق فامض لما تؤمن به قال أخاف أن قتلونى أن يمثلوا بى .

قالت : إن الشاة لا تخاف سلخها بعد ذبحها .

كان تقيا ورعا ، صواما قواما ، طويل الصلاة ، عظيم الشجاعة ، وبلغ من شجاعته أنه بعد أن تفرق عنه أنصاره حمل على أعدائه .وكان يضرب بسيفين .

وهو الذى قال لمعاوية ، عندما ذهب إلى المدينة ليأخذ البيعة عنوة وقسرا لابنه يزيد : نخيرك بين ثلاث خصال : تصنع كما صنع رسول الله (يريد أن يدع المسلمين ليختارو خليفتهم) أو كما صنع أبو بكر (يوصى بخليفه) أو كما صنع عمر (أن يضع الاختيار بين بضعة نفر) . قتل ٦٩٣ م

طارق

يلفت نظرى فى شخصية « طارق » هذه العزيمة التى تصوره وقد أحرق مراكبه بعد أن جاز المضيق ومهما يكن من مدى صحة هذه القصة فانها تعطى صورة لعزيمة طارق الجبارة ، هذا البربرى الأسود الذى أسلم فى المغرب وفتحت له أبواب المجد حين وكل إليه موسى بن نصير أمر الجيش الذى جهزه من العرب والبربر فى سبعة آلاف مقاتل . ووقف على الأرض الجديدة وقد شغفه أن يخترقها وأن يكتب للاسلام فيها صفحة من صفحات المجد والنصر فدفع جنوده واندفع معهم يقاتل فى قوة . وقد اندفع طارق فحمل على « لدريك » فقتله ومضى منتصرا . ولم يكتف طارق بقواته فى أثناء زحفه بل طلب مدداً جديدا فأرسل إليه موسى خمسة آلاف مقاتل وكانت معارك ضخمة بلغت فى أحداها قوات العدو نحو مائة ألف مقاتل قابلها طارق بجنوده الاثنى عشر ألفا ومع ذلك فقد انتصر .

ولم يلبث موسى بن نصير أن أحس بفوز طارق واكتساحه المدن واحدة بعد أخرى ، فعبر إليه فى قوة ضخمة ، فامتزجا فى أعمال الفتح حتى أتماه .

وقد أثبت طارق بطولة فذة فقد استطاع أن يشق قلب القارة الجديدة فى قوة، وأن يجاهد جهاداً ضخما فى اكتساب أرض جديدة .

ولم يعرف عن طارق أكثر من أنه محارب معصوم من الشهوات . لم تغره مظاهر الحياة البراقة فى الأندلس . ولم تفتنه صور الجمال فقد دخل الأندلس على أثر قصة اغتصاب لدريق ابنه الكونت يوليان حاكم سبته ، الحسناءفلوزيدا . ولكن هذا لم يكن فى حسبانه مطلقا ويحفظ له التاريخ عبارته فى جنوده « انى لم احذركم امراً أنا عنه بنجوه ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس . إلا أبدأ بنفسى وانىعند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم فقاتله انشاءاللهفاحملوا معى فان هلكت بعده كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه .

جاز جبل طارق عام ٧١١ م

موسى الخازن

عندما بدأ أبو عبدالله جهاده ضد فرديناند : وقف البطل موسى بن ابى الخازن وقال بلهجة حازمة . علينا أن نثق بقواتنا إذا تولينا أمرها بحكمة وحزم . لدينا عدا المشاه والفرسان والمجربين الذين اعتادوا خوض المعارك عشرون ألف فتى يغلى دم الشباب فى عروقهم ، ويندفعون إلى القتال اندفاع أولئك المجربين . كانت ثقة أهل غرناطة محصورة فى البطل موسى بن أبى الخازن فهو معقد آمالهم فى انقاذ المدينة من السقوط فى يد العدو ، ولكن لم يكن يستطيع أن يفعل البطل شيئا مع ملك ضعيف متردد ، ولكنه كان يلهب الصدور بخطبه الحماسية ويذوب أسى على ملك يراه يتدهور سريعا فى هوة العدم . وفى أحد الأيام أراد موسى أن يهجم هجمة صادقة تزحزح العدو عن مواقفه ، فجمع فرسانه ولكنه ما كاد يصل إلى مقربة من صفوفهم حتى رأى المشاة يولون الأدبار عائدين إلى غرناطه فاضطر إلى التقهقر فلحق بهم الأسبان حتى أسوار المدينة . وبعد حصار دام سبعة أشهر بدأ التذمر والشكوى فقد أخذ الجوع يعض بنابه أهل غرناطة فاجتمع الوزراء وأهل الشورى للتشاور فى الأمر فمال أكثرهم إلى التسليم إلا البطل موسى الخازن فقد أبى عليهم هذه الهزيمة المنكرة وقال « لم نصل بعد إلى درجة اليأس لكى نسلم فلا تزال لدينا وسائل عديدة للدفاع . أن الشعب لم يضح بعد بشىء فعلام تزمره ؟ أليس الجوع أفضل من الاستعباد . أليس الموت خيرا من حياة الذل والهوان الذى تنتظره . وعندما ارغموا على مفاوضة فرديناند طفقوا يبكون ملكهم الضائع إلا موسى ابن أبى الخازن فإنه وقف وقفة الرجل الصلب الذى لا توهن عزمه الشدائد وقال : دعوا البكاء للأطفال والنساء فنحن رجال خلقنا للقتال وعلينا أن نجاهد حتى الموت . وهو خير لنا من أن نعرض جباهنا للذل والعار ، وانى لأفضل ألف مرة استقبال الموت الشريف فى ساحة الوغى على قبول هذه الشروط التى فيها القضاء على أمتنا إلى الأبد .

عروة بن الزبير

قائد من أعظم القواد . وعالم من أكبر العلماء : من الأسرة التى خاصمت بنى أمية وناصبتها الحرب ، وهو شقيق الشهيد عبد الله بن الزبير ، وابن الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأمه ذات النطاقين . عند ما تمنى الناس من أمور الدنيا تمنى أن يكون عالما وأن يدخل الجنة ، فكان أحد الفقهاء السبعة فى المدينة . يقرأ ربع القرآن كل ليلة ، فاذا كان أيام الرطب ثقب حائطه حتى يتيح للناس أن يدخلوا حديقتة فيأكلون ويحتملون . وكان قد قصد إلى الخليفة الوليد الذى جمع له الأطباء من كل مكان ليداووه من داء فى ساقه ، وكان أن قرروا قطع هذه الساق ، ولكن كيف ! عرضوا عليه الخمر ليسكروه فلا يحس بالألم فرفض . وقال لا أستعين على قضاء الله بمعصيته . وأرادوه على أن يشرب المرقد (البنج) فقال لا : وقيل أن يقطعوا ساقه وهو يصلى ! قال لهم سأدخل فى ذكر الله فاذا رأيتمونى استغرقت فشأنكم بها . فلما رأوه استغرق قطعوا اللحم بالسكين المحماة بالنار ، حتى إذا بلغوا العظم نشروه بالمنشار وهو يكبّر ... ثم عمدوا إلى تعقيم ساقه فحموا الزيت فى مغارف الحديد ، حتى إذا غلى كووه بها فاغمى عليه . فلما أفاق من غشيته رأى ساقه فى أيديهم ... وقال : أما والذى حملنى عليك أنه ليعلم انى ما مشيت بك إلى معصية قط .

وادخلوا له رجلا ضريرا حتى لا يرى أن مصابه أعظم من مصاب غيره . فقال اللهم أن كنت أخذت طرفا ، لقد أبقيت اطرافا ، ولله الحمد على ما أخذت وأعطيت وكان ذلك عام ست وثمانين للهجرة . وله فى وادى العقيق بئر طيبة ، نظم فيها الشعراء قصائدهم . كان أحد الفقهاء السبعة فى المدينة . لم يدخل فى الفتن . وقدم مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين . وعاد إلى المدينة فتوفى بها عام ٩٣ هـ ٧١٢ م .

عثمان دجنه

من أبطال السودان : قضوا على تجارته فى مستهل حياته ، كان يقود زورقا فيه من الرقيق مائة سودانى وسودانية : ثم زجوا به فى السجن وحكم عليـه بغرامة فادحة . وفى عام ١٨٨١ أخذ يضرم نار الفتنة فى (سواكن) الثغر المصرى فلما لم ينجح قصد إلى بربر والأبيـض والتحق بالمهدى .

ثم أصبح بطلا من أبطال حروب المهدى فى شرق السودان بين ١٨٨٣ ، ٨٩٨ ولم يلبث أن أصبحت له الـكلمة النافذة فى شرق السودان سنين عدة ، وكانت المدينة تسقط بعد المدينة فى يده ، ثم سقطت الخرطوم فى قبضة المهدى عام ١٨٨٥ وقتل غردون وامتدت سلطة الدراويش إلى جميع نواحى السودان .

فلما انهزم الدراويش فى معركة ١٨٩٩ فر عثمان دجنه هاربا إلى الجبال وقد استولى عليه اليأس . وعاد إلى شرق السودان يحاول الهرب إلى الحجاز إلى أن قبض عليه بالقرب من سواكن فى داخل إحدى المغارات فى ٤ يناير ١٩٠٠ .

وسيق عثمان دجنة إلى سواكن حيث رحل على ظهر سفينة فى البحر الأحمر إلى السويس ثم نقل إلى سجن طره .

وفى عام ١٩٠٨ أرسل إلى وادى حلفا حيث أودع فى بيت صغير تحت الحراسة بعد أن قضى خمسة عشر عاما فى النضال وخوض المعارك .

وقد عاش فى معقله يرعى الغنم . وقد عرف عثمان دجنه بالشخصية القوية الجبارة . قيل أن اللورد كتشنر دخل عليه ذات يوم ، وهو فى عنفوانه ، حتى يلتمس منه إطلاق سراحه ولـكن عثمان دجنه أهمل زائره الـكبير وتجاهله .

وفى عام ١٩٢٤ أطلقت الحـكومة البريطانية سراحه وردت عليه حريته .

وفى ٤ ديسمبر ١٩٢٦ توفى بعد أن أمضى حياة عريضة .

عمر مكرم

يقول الجبرتى : وعندما علم عمر مكرم نقيب الأشراف بوصول الفرنسيين لم ينتظر الا قليلا حتى صعد إلى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيرا أسمته العامة البيرق النبوى فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وقد تجمعت حوله الألوف المؤلفة تهتف بالجهاد وتتأهب لعمل حاسم فى سبيل مقاومة دخول الفرنسيين إلى القاهرة . وعندما وصل نقيب الأشراف إلى بولاق تجاه امبابه غرس بيرقه على ربوه عالية ودعا إلى حمل الفؤوس لحفر خندق كبير يحول دون دخول الكفار » . وبذلك كان عمر مكرم فى مقدمة الصفوف للقتال عندما نودى أن الوطن فى خطر فلما انتهت معركة الأهرام بالهزيمة . ودخل الفرنسيون القاهرة رفض البقاء بها وهاجر إلى يافا وترك أملاكه وماله نهبا للفرنسيين . ورفض أن يفاوض فى تسليم بلده وركل يقدمه منصب عضوية الديوان الذى أنشأه نابليون . وقد بقى عمر مكرم فى منفاه مختاراً حتى وصل نابليون إلى يافا . وأمر باعادته معززا إلى القاهرة فعاد إليها واعتزل فى بيته بعد ثورة القاهرة الثانية عام ١٨٠٠ ومن ذلك اليوم لم يقض فى مصر أمر لم يكن عمر مكرم رائده . فقد كان مؤجج الثورة ضد حكم المماليك عام ١٨٠٤ وقائد مقاومة الوالى التركى «خورشيد» عام ١٨٠٥ وهو الذى اختار محمد على بعد أن أخذ عليه العهد والميثاق ، ولكن محمد على خان عهده وقاوم المعارضة ، وكان عمر مكرم مقصد الأهالى فى المطالبة برفع مظالم الوالى الجديد ، فألب عليه وأغرى قادة المقاومة الشعبية به بعد أن منحهم من المال والأرض . وقد قاوم عمر مكرم هذه المنح ورفضها وظل قوى الشخصية فى مواجهة محمد على على أساس الميثاق . عندئذ نفاه إلى دمياط بعد أن عزله عن نقابة الاشراف وذلك بعد أربع سنوات من حكمه . واستقبل عمر مكرم النفى راضيا صابراً وأمضى هناك تسع سنوات لا يباح له فيها الاختلاط بالناس . فلما عاد إلى القاهرة تجمع الناس حوله فأعاد محمد على نفيه إلى طنطا وهو فى سن السبعين فتوفى فى نفس العام (١٨٢٢)

عنترة بن شداد

قال له اعرابى كيف تحرز النصر ؟ قال هذا أصبعى ضعه تحت أسنانك وهات أصبعك أضعة تحت أسنانى . فلما ضغط كل منهما أصبع الآخر صاح الأعرابى آه قال له عنتره : لو لم تصرخ أنت لصرخت أنا : «النصر صبر ساعة» أنه عنترة بن عمرو ابن شداد العبسى : أشهر فرسان العرب فى الجاهلية . ومن شعراء الطبقة الأولى . من أهل نجد . أمه حبشية سرى إليه السواد منها . حسن الشيمة . عزيز النفس . وصف بالحلم على شدة بطشة . وفى شعره رقة وعذوبة . أحب عبلة ابنة عمه ، قل أن تخلو له قصيدة من ذكرها . اجتمع فى شبابه بامرىء القيس الشاعر . وعاش طويلا . وقتله الأسد الرهيص . ولما هاجم فرسان طى قبيلة بنى عبس تصدى لهم فاحال الهزيمة نصرا فجرى اسمه على ألسنة الشعراء ، ونادت باسمه الفتيات فى حلقات الرقص . وعرف بمخاطراته فى سير الصحراء فى الليالى المظلمة والغول تلوح له ، والجن تتراقص أمام عينيه .

وأبرز هذه المغامرات : سفره إلى العراق ، يضرب بفرسه فى صحرائها يطلب مهر عبله فلما وصل العراق ساق نوق النعمان ، فاحس به الرعيان وأدركته كتيبة من الفرسان فاحاطوا به وكانت معركة اثخنته بالجراح وخر « مضرجا » بالدماء .

فلما حمل إلى النعمان قال له ما قال وكشف عن شخصيته ورد عليه فى جرأة ثم قال : لكم كان لقومى من ثارات عندك وعند حلفائك . لقد قتلتُ الرجال والأبطال ولم أشعر بخلجه أو رحمة فى فؤادى . لست أطمع فى الحياة وأنا الذى يعرف هوانها .

وقد أحبه النعمان وقربه وأقام فى ضيافته سنوات وبلغ من الغنى مبلغا حقق له أمله فى زواج « عبلة » ومات سنة ٦٠٠ م

قراقوش

أن مايسجله التاريخ له بعيد كل البعد عما تسجله الأسطورة . وقد وصفه صلاح الدين بأنه الراجح الرأى الناجح السعى ، الكافى الكافل بتذليل الجوامح وتعديل الجوانح . وهو ألثبت الذى لا يتزلزل .

وقال عنه ابن مسعود : كان ذا همة عالية » كان بهاء الدين قراقوش ساعد صلاح الدين ووزيره . الادارى الحازم. وقد أولاه ولاية مصر فترة غيابه فى دمشق فوطد الأمور ، وقام بأعظم الأعمال الانشائية .

وانشأ قلعة الجبل على سفح المقطم عام ١١٧٤ وحفر بئرها العجيبة لتمدها بالماء . وبنى سوراً عظيما يضم القلعة ومدينتى مصر والقاهرة . وأزال عدداً كبيراً من القبور والمساجد التى تعترض خطط السور . وبنى قناطر الجيزة العظيمة على النيل على مقربة من الأهرام .

ولما استولى صلاح الدين على ثغر عكا ندب قراقوش لاصلاحه فاعاد بناء أسواره وقلاعه وكان يحشد مئات الألوف من العمال والأسرى والعبيد التى تعمل قسراً حتى اشراف العرفاء .

ولعل هذا هو الذى جعل اسم « قراقوش » رمزاً على الظلم الصارخ .

وقيل أن اسم قراقوش معناها بالتركية «النسر الأسود» . وقد أسره الفرنجة فافتدى نفسه بعشرة آلاف دينار وقال ابن خلكان أنه برىء مما نسب إليه وأن ما قيل عنه موضوع لاحقيقة له « وقره قوش » كلمة تركية معناها « العقاب » الطائر المعروف

وقد عاش قراقوش بعد وفاة صلاح الدين حتى مات عام ١٢٠١ .

وقد نسبت إليه رسالة الفاشوش ، غير أن ابن خلكان رفضها وقال إنها من كتابة الأسعد بن مماتى .

مكاريوس

ولد الرجل الذى جعل « الحرية أو الموت » شعاره فى المقاومة الشعبية للاستعمار والذى التفت حوله جزيرة قبرص باعتباره قائداً ومحرراً — ولد فى ١٣ أغسطس ١٩١٣ فى قرية صغيرة بالقرب من مدينة باقوس بقبرص . وتعلم فى ابراشية (كيكو) . أتم دراسته بمعهد بنسبريوت والتحق بجامعة أثينا عام ١٩٣٦ فدرس القانون وعلم اللاهوت . ثم سافر فى بعثة إلى جامعة بوسطن بالولايات المتحدة حيث أتم دراسة علوم الدين . ثم انتخب من شعب قبرص أسقفا لابراشية (كيتون) إحدى إبراشيات الكنيسة القبرصية ثم انتخب كبيرا للأساقفة وزعيما شعبيا وروحيا للجزيرة . وحمل رسالة شعب قبرص فى الدفاع عن حقه فى تقرير مصيره . وطالب باجراء استفتاء شعبى عام على أساس حق تقرير المصير ، ورفضت بريطانيا . ونظمت الكنيسة القبرصية استفتاءاً عاما فى ١٥ يناير ١٩٥٠ أسفر عن رغبة الشعب فى اتحاد قبرص مع اليونان بأغلبية ٩٥٫٧ فى المائة من عدد السكان وقدمت هذه النتائج إلى الأمم المتحدة . وقررت الجمعية العامة الاعتراف بحق الشعوب فى حكم نفسها . غير أن الحكومة البريطانية لم تلبث أن أعلنت رسميا فى مجلس العموم فى ٢٨ يوليو ١٩٥٤ أن قبرص لا يمكن أن تنال استقلالها ؛ هنالك قاد مكاريوس المقاومة الشعبية فى قوة . وبدأت حرب العصابات . وأكد القبرصيون حقهم فى تقرير مصيرهم . وطاف بالبلاد تأييدا لدعوته وكسب الرأى العام إلى جانب قضية بلاده ، كما اشترك فى مؤتمر باندونج . وعندما دعى الأسقف مكاريوس فى أكتوبر ١٩٥٥ إلى المفاوضة لايجاد حل سلمى قبل ذلك على أساس الاعتراف بحق تقرير مصير الشعب القبرصى . ووضع دستوراً يحكم على أساسه الشعب . وفى ٩ مارس ١٩٥٦ اختطف الإنجليز الأسقف مكاريوس إلى جزيرة سيشل ثم أفرج عنه بعد عام كامل

«المثنى»

كان من قادة العرب فى معركة « ذى قار » وقد أبدى فيها من ضروب البسالة ما عجل بهزيمة العجم . وقد جمع العرب لقتال العجم عندما طالبوا بنساء النعمان بعد قتلهم إياه بطريقة غادرة . كما وحد صفوف قبائل ربيعة إزاء خطر الهجوم عليهم . جاء النبى فى أعقاب معركة أحد بمنزل أبى أيوب الأنصارى ، وأعلن إسلامه وبراءته من عبادة الأصنام . ورجع المثنى إلى قومه يعلنهم بالبشرى ويثلج صدورهم بأنه أسلم وأصبح من أنصار محمد . وقد استطاع أن يضم إليه عدداً من الأنصار والأعوان . والمثنى واحد من أبطال شيبان ، وكان يطلق عليه فارس ربيعة . وقد وجه نظر العرب إلى غزو فارس ، وكان أحد أبطالها ، وقد انتصرت جيوش العرب وهو أحد قوادها على جيوش كسرى صاحب الإيوان .

وقد حضر المثنى معارك الفرس مع خالد بن الوليد ، فلما انتدب خالد لفتح الشام ، تمكن المثنى من مواصلة تقدمه داخل أراضى فارس ثم تابع توغله فى معاقلهم الدفاعية رغم احتدام القتال ، إذ اخترق صفوف العجم وسحق جموعهم الهائلة من الرجال الذين حشدوا لصد العرب ووقف غزوهم السريع .

وفى معركة نهر جوبر خرج المثنى وكان يحرس الجسر عند تراجع القوات العربية بعد مصرع أبى عبد الله مسعود الثقفى . وكادت تحيق الهزيمة بالمسلمين لولا أن المثنى وقف على الجسر فى عدة من فرسان العرب وحموا مؤخرة الجيش فى ارتداده وأثناء عبور النهر أمام هجمات الجيوش الفارسية الساحقة . وقد أصيب فى هذه المعركة ومات متأثرا بجراحه ، وفى إبان إصابته اهتبل الفرصة فكتب تقريراً إلى سعد بن أبى وقاص يكشف له فيه من حقائق الموقف ما يعينه على الانتصار على الفرس ، وقد تزوج سعد زوجته فلما كان يوم القادسية ورأت ميمنة المسلمين تميل : هتفت تقول : وأمثنياه ولا مثنى للخيل اليوم . استشهد عام ٦٣٥ م

المهلب بن أبى صفرة

قال عبد الله بن الزبير عنه : « إنه بطل العراق . وسيد الأزد . » وقد كان يخلو به ويشاوره فى أشد أزماته وأدق مشا كله ويقول « ليس أرجح منه عقلا وأعلى همة » وقد ولاه خراسان فتوجه نحوها عن طريق العراق ، ووصل البصرة فرآها تلتهب بنيران الحرب القائمة بين قوات ابن الزبير والخوارج .

وقيل كان فاتكا جباراً أغار على لحج ثلاث مرات . واستقر فى أعالى اليمن . وقد ولاه عبد الله بن الزبير القيادة لحرب الخوارج . ثم موضع ثقة عبد الملك بن مروان الذى عهد إليه بجباية الأهواز . ثم موضع ثقة الحجاج ابن يوسف الذى ولاه خراسان وكان من قبل ذلك غازيا فى جيش معاوية ابن أبى سفيان .

وقد أثبت براعته الحربية التى صورها فى عبارته الواضحة : عليكم فى الحرب الأناة والكيد فإنها أنفع فى الحرب من الشجاعة . وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أخذ بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد وإن لم يظفر بعد الأناة قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب .

وعندما أحس بدنو الموت جمع أولاده وأخذ يوصيهم ويوعيهم فقال : اعرفوا لمن يغشاكم حقه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا العرب » .

وقد توفى عام ١١٦٤ م

خير الدين

تمثله الصورة مرتديا ثوبا أحمراً على كتفه عباءة بيضاء . وعلى رأسه قاووق أحمر ، وله شارب أشهب . إنه الرجل الذى أراد أن ينتقم لأولئك العرب الذين أذاقهم فرديناند العذاب الهون . لقد غادر الأندلس ألوف المجاهدين بعد سقوط غرناطة ، آخر القواعد الأندلسية فى يد الأسبان ١٤٩٢ ، عبروا البحر إلى عدوة المغرب فاستقروا فى وهران والجزائر وبجاية وقد اضطهد الأسبان بقايا الأمة الأندلسية ، وبدأت المغامرات البحرية عقب إكراه المسلمين على العبور على الشواطىء الأسبانية . ولكن الرجال الذين هاجروا وهبوا حياتهم للجهاد والانتقام من الأسبان . فقاموا بغارات على الشواطىء الأسبانية . وبرز فى مقدمتهم خير الدين « باربا روسا » ذى اللحية الحمراء ، الذى سار مع أخيه عروج للمغامرة فى البحر وقد تولى مركز القيادة واتخذ مقره جزيرة جربة الصقرة فى مياه تونس . وقد كانت فى مقدمة عمله معاونة أهل الجزيرة على استردادها من الأسبان . وقد مضى فى مقاومة مطامع الأسبان ورد هجماتهم على الثغور المغربية ، كما عمل إغاثة العرب الذين نصّروا اضطراراً ومعاونتهم على الفرار من أسبانيا وكانت محاكم التحقيق تطاردهم وتجعل حياتهم جحيما لا يطاق وقد كتب إلى خير الدين كثير من أهل الثغور مثل بلنسية والمرية يصرخونه ويدعونه إلى غزو الشواطىء الأسبانية لمعاونتهم فى مغادرة الأراضى الأسبانية . وقام خير الدين بتنظيم سلسلة من الغارات الحربية على الشواطىء الأسبانية ، بدأها بغزوة على شاطىء بلنسية وقد وقعت بينه وبين الأسبان معركة بحرية كبيرة خرج منها ظافرا ، وقد توالت غاراته وكانت سفنه فى كل مرة تحمل عدداً كبير من الراغبين إلى الفرار والهجرة حتى أنه نقل نحو ٧٠ ألف وزعهم على ثغور المغرب وشواطئه . وقد أصاب فرنسا بخسائر ضخمة وتوفى عام ١٥٤٧ .

سليمان الحلبي

فى صبيحة ١٤ يونية ١٨٠٠ بينما كان كليبر القائد العام للجيوش الفرنسية يسير بصحبة أحد أصدقائه داخل حديقة دارة بالأزبكية اذا اعترض طريقهما رجل فى اسمال باليه وتقدم إلى كليبر فأشار إليه بالرجوع حتى إذا دنا منه كليبر ليستطلع خبره مد إليه يده اليسرى كأنه يريد تقبيل يده ، فلما مد إليه كليبر يده قبض عليها بشدة وهوى عليه بخنجر كان يخفيه فى يده اليمنى وضربه أربع ضربات متوالية شقت واحدة منها بطنه فسقط على الأرض صارخا مضرجا بدمائه . ولما خرج رفيقه فى طلب النجدة توجه إليه سليمان وضربه حتى سقط فاقد الوعى . ولما أقبل الجنود وجدوا قائدهم مطروحا على الأرض غارقا فى دمائه ، وفتشوا عن القاتل فى كل مكان فلم يعثروا عليه وحاكموه محاكمة صورية. ثم ذهب شهيد عمل وطنى كبير . وكان سليمان الحلبى قد قدم إلى القاهرة من بلدة حلب ليتعلم فى الأزهر إبان الحملة الفرنسية وكان شديد الايمان بالفكرة العربية فتقدم ليقتل رجلا من كبار رجال الفرنسيين . وقد عرف عنه الصمت والحذر ، وقد آمن بأن يقدم حياته فداءاً لوطنه فقد كان يعرف أن الاستعمار الفرنسى يريد أن يقيم امبراطورية فى الشرق وأن نابليون حاول غزو سوريا ورد عنها. وأداه تفكيره إلى أن قتل كليبر وهو قائد الجيش سيعمل على انهيار القوة الفرنسية وسيحطم أحلامها فلما برقت الفكرة فى عقله وآمن بها بدا يبحث فى أثر كليبر وخطواته وحدثه النوتية الذين كانوا فى خدمته أنه يرتاض كل مساء فى حديقة السراى بالأزبكية وقد تمكن يوم ١٤ من التسلل إلى الحديقة وقام بعمله الذى هز العالم كله . ولما تألفت المحكمة العسكرية لمحاكمته جابه الموقف بعزيمة قوية ، ولم يتزلزل أمام المظاهر المختلفة الرهيبة التى واجهوه بها مصراً على الاعتراف بالحادث ، مدافعا بأنه أدى لوطنه العربى الكبير واجبا ولما حاولوا أن يتهموا معه آخرين أعلن بأن ليس له شركاء فى جريمته وأنه يؤمن بالقرآن .

عبد الحى كيره

فى أبان الثورة المصرية عام ١٩١٩ والتى امتدت أربعة أعوام فى حركات سرية واغتيالات لخصوم الوطن: ظهر عدد من الشباب المؤمن بوطنه الفدائى المضحى الذى لم يكن يطمع فى شهرة أو مجد . وكان «عبد الحى كيرة» فى مقدمة هؤلاء ، إنه طالب الطب الذى كان أول فرقته ، والذى كون جماعة سرية من الطلبة الفدائيين فى أواخر عام ١٩٢١ هدفها اغتيال البريطانيين ومن يساعدهم من الوزراء والحكام المصريين. وكان يصنع الخطط ويشرف على التنفيذ . واستطاع مع اخوانه قتل مستر براون المفتش البريطـــانى . واسماعيل زهدى وحسن عبد الرازق ومستر روبسون . كما حاولوا قتل عبد الخالق ثروت وتوفيق نسيم . وقد أزعجت هـذه الحوادث البريطانيين الذين كانوا يسيطرون على البلاد بالأحكام العرفية ، ومضوا يبحثون عن مدبرى الحوادث ، ولكن عبد الحى كيره استطاع بحذره وقوة عارضته أن يفلت من الكماشة وأن يسافر إلى طرابلس يختفى فيها عن الأنظار بضعة أشهر ، وهناك برقت فى عقله فكرة ... فانتقل إلى إيطاليا فى مركبى شراعى ، ثم سافر إلى المانيا وقد صمم على قتل عبد الخالق ثروت الذى كان فى طريقه لحضور مؤتمر لوزان . وتتبع الانجليز حركاته ، فارسلوا إليه أحد أصدقائه -- وكان قد أقام فترة فى تركيا — ليخدعه ويدعوه للذهاب إلى الميناء لاستقبال أحد المجاهدين العرب ، ولكن كيره كان يقظا فسأل عن القادمين على الباخرة فعرف أن من بينهـــم « انجرام بك » وكيل حكمدار العاصمة فايقن أنهـا المؤامرة تدبر ، ولم يلبث أن فاجأه انجرام فى بيته وعرض عليه خمسين ألف جنيه وجواز سفر إلى أمريكا على أن يدلى إليه باعترافات تدين بعض الزعماء الوطنيين وزملائه الفدائيين . ورفض « كيره » العرض بكل اعتداد وكبرياء وغاظ ذلك انجرام بك الذى لم يلبث أن دبر مؤامرة لاغتيال كيره حيث اكتشفت جثته بعد أيام مطعونة بالخناجر من الخلف .

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

دعاة ومجاهدون



بلال

خرج مع أبى بكر فى تجارة إلى الشام ، ورأى رؤيا ففسرها بأن نبيا سيظهر فى بلاد العرب فلما تحققت نبوءته ، أسلم وجعل يتردد على النبى ليلا تحت جنح الظلام ، وكان عبدا لأمية بن خلف الذى وضع فى عنقه حبلا ، وأمر أطفال الحى وغلمانه بأن يسحبوه على وجهه ويسيروا به فى الطرقات . وظل أمية يتفنن فى تعذيب بلال . وبلال صابر على العذاب ، كانوا يحملونه إلى الهاجرة فيرقدونه ويضعون الحجر الضخم فوق صدره ، فما يزيد عن أن يقول : أحدٌ أحدٌ . ولقد كانوا ينتظرون اليوم الشديد الحر فيلبسونه دروع الحديد ثم يقيدونه فى بطحاء مكة تحت نار الشمس . واشتراه أبو بكر بخمس أواق ذهب . وفى الطريق قال بلال لأبى بكر : إن كنت اشتريتنى لنفسك فامسكنى . وإن كنت إنما اشتريتنى لله فدعنى وعمل الله » . وهاجر بلال مع سعد وعمار . وعندما أقام النبى المسجد تداول مع الصحابة فى أمر النداء للصلاة فقال بعضهم الراية والبوق والناقوس . واقترح عبد الله بن زيد الأنصارى الآذان « الله أكبر » فدعا النبى بلالا ليؤذن فقد كان ندى الصوت عذب الأنغام مشهوراً عند أهل مكة بصوته الحنون ولكم غنى لأمية حين كان عبداً عنده . وفى معركة بدر قتل بلال عدوه أمية بن خلف ، وشقه نصفين ، وكان بلال خازن الرسول فى بدر أعطاه الأخماس والغنائم . وكان النبى يقول له : انفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا وعندما فتح الرسول مكة ، دعا بلالا فصعد فوق ظهر الكعبة فأذن للناس . قال المشركون : كيف جرؤ هذا العبد على اعتلاء بيت الله الحرام ولم يصعد إليها أحد من قبل . وبعد أن اختير النبى للرفيق الأعلى حن بلال إلى الجهاد ولحق بأبى عبيدة بالشام . ومرض عام ٢٠ هجرية فلما دنا أجله وأحس بالموت قال : وافرحتاه .. غدا القى الأحبة : محمدا وصحبه إنه بلال ابن أبى رباح .

رشيد الـكيلانى

إنه ابن العراق والعروبة . وليد ثورة ١٩٢٠ وربيبها . وابن كل مقاومة فى وجه العدو ، كان أول حاكم عربى رفض التوقيع على اتفاقية البترول ، وكانت العراق فى أيامه حمى لفلسطين وحصنا . فقد ساهمت العراق إبان حكمه فى ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية بعمل ضخم ، وزودت المجاهدين بالأسلحة . ولقد قاوم رشيد الـكيلانى الاستعمار بقوة وكتب للعراق صفحة باهرة ، فقد عرف بعدائه للانجليز وخصومته لهم وإيمانه بالوطن العربى الـكبير . وهو من أوائل من أعلنوا سياسة الحياد بين المعسكرين فى العالم العربى، وأيد الحركة التحريرية الضخمة التى ظهرت فى صفوف الجيش بقيادة الشهيد صلاح الدين الصباغ وزملائه فهمى سعيد ومحمود سلمان وكامل الشبيب ، وهو الذى رفض عرش العراق حين تقدمت به إليه بريطانيا ، واستطاع أن يكسب إليه الشعب كله ، وزعماء العشائر ، وشيوخ الدين . ولما بدأ الإنجليز الحصار أعلن بأن إلقاء قنبلة واحدة على بغداد سيضطره إلى نسف السفارة البريطانية وفيها الجالية الإنجليزية كلها . فلما هاجم الإنجليز العراق أعلن الجهاد المقدس ضدهم ، وهبت القبائل جميعها تؤيده . وكان من أثر ذلك أن ظلت القوات البريطانية محصورة لا تستطيع أن تتقدم خطوة واحدة شهرا كاملا . وكان فى استطاعة العراق رغم ضعف قوته الحربية إذ ذاك أن يقاوم بريطانيا طويلا ، لولا أن تدخل جلوب قواد الفيلق العربى فى اللحظة الأخيرة وطعن العراق من الخلاف وفتح ثغرة واسعة فى إحدى الجبهات ، وقد سجل الإنجليز فى أكثر من سجل بأنه لولا تدخل « جلوب » فى معركة العراق لتحول الموقف كله فى الحرب العالمية وأخذ صورة أخرى . وخرج رشيد الى ايران فتركيا فألمانيا ثم عاد ألى الحجاز فمصر وقد عاد إلى بغداد بعد ثورة العراق الظافرة فى ١٤ تموز ١٩٥٨ حيث حققت أمله إلى أبعد حد .

سعيد بن جبير

قال أحمد ابن حنبل : لقد قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . إنه « سعيد بن جبير » الفقيه الحر الشهيد الذى قتله الحجاج . لقد أرغم العلماء والعظماء على إحناء هاماتهم له .. والإذعان لرأيه ، إلا رجلا واحداً رفض ذلك ، وأصر أن يضع رأسه فى السماء .. لقد آمن بالله ورفض الذل واستعلى على مطامع الدنيا ومخاوف الحكام . ذلك هو سعيد بن جبير أحد سادة التابعين ، صحب ابن عباس وورث علمه ، وكان رأس مدرسة الكوفة فقهاء وعلماء ، إماما مجتهدا ، حر الرأى قوى الشخصية ، شجاع اللسان ، جرىء القلب ، يقول الحق دون أن يخشى فيه لومة لائم . لقد رأى ظلم الحجاج فلم يصمت ، بل واجه الحجاج بالنصيحة . وناصر الضعفاء وكان إيجابيا تقدم إلى الجهاد وقاتل « رتبيل » ملك الترك الذى هاجم حصون المسلمين ، فلما وقف الحجاج موقفه الظالم من القائد البطل عبد الرحمن بن الأشعث انضم إليه سعيد فلما انهزم ابن الأشعث حاكم الحجاج من نصروه وفى مقدمتهم سعيد الذى جابه الظلم فى قوة ، وكان فى وسعه أن يتفادى مصرعه بكلمات لينة مع هذا الطاغية ، ولكنه وجه إلى الحجاج إجابات قاسية أذل بها كبرياء الحجاج وحطم غروره . فلما مهد له الحارس سبيل الفرار رفض ذلك بكل قوة . فلما أمر الحجاج بقتله رفع سعيد يديه إلى السماء دعوة المظلوم فمات الحجاج بعد مصرع سعيد بخمس عشرة ليلة . قال سعيد بن جبير للحجاج لما سأله أن يختار أى قتله يريد أن يقتله بها : قال سعيد : بل اختر ياعدو الله لنفسك . فوالله ما تقتلنى اليوم قتله إلا قتلتك فى الآخرة بمثلها . وقد روى أنه ما إن قتله الحجاج حتى التاث عقله وشرد رأيه ، فلم يعد يذوق النوم ، وكان يستيقظ فزعا وهو يصيح : مالى ولسعيد بن جبير ، كلما عزمت إلى النوم أخذ بحلقى .

السيد البدوى

عندما بلغ الثلاثين من عمره ، حدث له ما غـيّر مجرى حياته ، ذلك انه قرأ القرآن بالأحرف السبعة ، ودرس قليلا جداً من الفقه على مذهب الامام الشافعى ، ثم عكف على العبادة ، واعتزل الناس ، وعاش فى صمت وامتنع عن الزواج ، حتى لقد رفض أن يتزوج من امرأة فاتنة ، قصد إلى العراق ، ثم عاد منها إلى مصر ، حيث استقر فى مدينة طنطا وبقى بهذه المدينة نحو ٤١ عاما إلى أن مات فى ٦٧٥ هـ .

كان يصعد إلى سطح بيته كل يوم ، ويتجه ببصره إلى الشمس ، ويظل على هذه الحال مده طويلة حتى تحمرّ عيناه وتصبح كل واحدة منهما كالجمرة المشتعلة وقد سمى أصحابه بالسطوحية لهذا السبب . ويمسك عن الطعام والشراب أربعين يوما متوالية ، وكان يلبس ثوبا من الصوف الأحمر ، وعمامة حمراء فوق رأسه ... انه احمد بن على بن ابراهيم : ينتهى نسبه إلى الامام على ابن أبى طالب ، وقد انحدر من أسرة مغربية أيضا ، نزحت قديما إلى مدينة فاس وقد ولد عام ٥٩٦ هـ وسمى « البدوى » لأنه كان يتلثم على عادة البدو فى شمال أفريقيا . وصف بأنه طويل القامة غليظ الساقين ، عبل الذراعين ، ضخم الوجه ، لونه من البياض والسمرة ... وقد مرن فى شبابه على أعمال الفروسية وركوب الخيل ، وعرف بالصراحة وحدة الطبع وايثار العزلة . وفى العراق زار ضريح الحلاج الصوفى ، والرفاعى، والجيلانى، وأعد نفسه ليـكون داعية العلويين . وقد استطاع عندما اختار طنطا بعيداً عن القاهرة والاسكندرية ، أن يأخذ طريق السـلامة والأناة فى دعوته ، ونزل دار ابن شحيط حيث جمع فى سبعة أشهر حوله ٤٠ شيخا من المريدين والاتباع . وزعهم على المدن يتحدثون عنه ويذيعون تعاليمه ، وقد كان السلطان بيبرس يزوره، ويجيب رجاءه . ولم يتزوج الشيخ البدوى مجاهدة للطبيعة فقد آثر نظام الزهد . وقد امتد سلطانه حتى شمل البلاد المصرية وأحبه الناس وافتتنوا به .

عمار بن ياسر

« صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة » تلك هى دعوة النبى لعمار وأبوه ياسر وأمه سميه بنت خياط : أول شهيدة فى الاسلام ، كانت مولاة لأبى حذيفه بن المغيرة من بنى مخزوم . وكان ياسر من تهامه من أرض اليمن . فلما قدم إلى مكة حالف أبا حذيفه وتزوج مولاته . وقد أسلم الثلاثة فى الرعيل الأول وعذبوا .

وقد قيدهم أبو حذيفة وأخرجهم إلى الأبطح وألقى بهم فى رمال الصحراء المتقدة ورفض الثلاثة – بالرغم من التعذيب البالغ – أن يعودوا إلى دينهم الأول . ومر النبى وهم يعذبون فقال كلمته الخالدة . فلما جاء أبو جهل يهددهم بالقتل اسمعته « سمية » كلاما قاسيا فى هبل ومناه فرفع حربته وضربها ضربة قاصمة فى مكان العفة . ومات أبوه ياسر من الألم .

واضطر عمار أن يعلن الكفر ويسر الاسلام . فلما ذكر ذلك للنبى قال له : كيف تجد قلبك قال : أجد قلبى مطمئنا بالإيمان . قال إن عادوا فعد .

وهاجر عمار إلى الحبشة ثم عاد . ثم هاجر إلى المدينة وآخى النبى بينه وبين حذيفه بن اليمان واشترك فى كل الغزوات وشهد المشاهد كلها وأبلى فيها وقاتل يوم اليمامة فأبلى أحسن البلاء .

ثم ولى أميراً على الكوفة فى عهد عمر . وأثر أن النبى قال له : تقتلك الفئة الباغية وقد طعنه أبو الفادية فلما أوشك أن يموت امتلأ وجهه بشرا وقال : اليوم ألقى الاحبه : محمد وحزبه .

وكان قد انضم إلى على واشترك فى موقعة الجمل ثم فى صفين وكان ينادى : الجنة تحت البارقة . ومات وعمره ٩٤ سنة عام ٣٧ هـ .

عبدالله بن عباس

أبيض مفرط فى الطول . مشرب بصفرة . جسيم وسيم . صبيح الوجـه . يخضب بالحناء. روى عن مسروق أنه قال: إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس . فاذا نطق قلت افصح الناس . فاذا تحدث قلت أعلم الناس . كان متواضعا فى غير ضعف . كريما فى غير سرف . قيل شتمه رجل فقال . أنك لتشتمنى وفىّ ثلاث : انى لا سمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فاحبه ، ولعلى لا أقاضى إليه أبدا . وانى لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فافرح به ، ومالى بها سائمة ولا راعية . وانى لآتى على آية من كتاب الله فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون فيها مثلما أعلم. وقيل: نعم ترجمان القرآن «ابن عباس» وقد أوتى من سرعة الخاطر ودقة الفهم ما جعله المصدر وقال : إنه كان ليبلغنى الحديث عن رجل فآتى بابه وهو قائل (أى فى القيلولة) فاتوسد ردائى على بابه ، يسفى الريح على من التراب فيخرج فيرانى فيقول : يا ابن عم رسول الله . ماجاء بك . هل أرسلت إلى فآتيك . فاقول لا: أنا أحق أن آتيك فاسألك عن الحديث . وقد بلغ من عمق فهمه للسياسة أنه عارض الحسين فى الخروج ، ونصحه بعدم السفر وقال أنه لا يستبعد أن يكذبوك أو يخذلوك. وكان قد أبعد نفسه عن معارك السياسة ، واكتفى بالعلم والفقه . وكان معاوية يقدّره رغم اختلافه فى الرأى . وقد أشركه فى الجيش الذى أعده لفتح القسطنطينية عام ٤٨ وقد كان محبا لعثمان وكان عثمان يثق به . وقد اشترك فى فتح مصر وأبلى بلاءاً حسنا وكان حريصا على أن يعّفر وجهه بتراب الغزو فى سبيل الله كما أرسله عثمان فى فتح بلاد طبرستان بقيادة سعيد بن العاص . وقد ولاه على البصرة فانتقل إليها بأهله . وكان على ميسرة جند على فى صفين قال عنه عمر : إنه فتى الكهول . له لسان سئول وقلب عقول . وقال على :أنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته.

عبد الحميد بن باديس

« إن خدمة الإنسانية فى جميع شعوبها والحدب عليها فى جميع أوطانها ، واحترامها فى جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها ، هو ما نقصد إليه ونرمى ، ونعمل على تربيتنا ونريد من لنا حق عليه . إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا ، هى دائما منا على بال ، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لابد أن نكون خدمناها ، وأوصلنا إليها النفع من طريق خدمتنا لوطننا الخاص » .

هذه دعوة عبد الحميد بن باديس الذى كون جمعية علماء الجزائر عام ١٩٢٨ وأصدر مجلة الشهاب ، وكان لهذه المدرسة الضخمة التى اتسع نطاقها أكبر الأثر فى تأريخ الثورة الجزائرية التى تجاهد الآن منذ خمسة أعوام. وقد استهدفت دعوته حماية اللغة العربية والقومية العربية من مؤامرات الفرنسيين التى كانت تعمل على سحق العربية وإبادتها وقد أعد برنامجا لنشر حضارة العرب والرجوع إلى تعاليم الإسلام الحقيقية التى شوهتها النزعات العنصرية التى أوجدها الاستعمار وساندها . ولقد ظل عبد الحميد بن باديس يجاهد جهاداً متصلا فى ميدان الدينى البحث حيث كان يرمى إلى تطهير العقائد من شعوذات الطرق الصوفية . وفى الميدان السياسى حيث دعا إلى مبادىء القومية الجزائرية التى تقوم على العروبة كعنصر ثقافى والإسلام كعنصر تاريخى وقد حاربته السلطات الفرنسية واتهمته وصحبه بأنهم وهابيين . وكان من أبرز العاملين معه زميلاه بشير الإبراهيمى والشيخ العقبى وقد بلغت دعوته الغاية من دحض أفكار بعض المخدوعين بالثقافة الفرنسية واستطاع ابن باديس أن يقاوم الدعوات الصوفية التى استغلها المستعمر الفرنسى فى شمال أفريقيا استغلالا أخضع به الناس له وأن يطهر العقيدة من شعوذات الطرق كما أنشأ أكثر من ثلاثمائة مدرسة عربية فى قسطنطينيه ووهران وغيرها مما حفظ اللغة العربية وقد توفى فى ٢٦ رجب ١٣٧١ .

تلميذ ابن تيمية ، الذى هو تلميذ احمد بن حنبل ، دعا دعوة جديدة، كان لا بد أن يحتمل فى سبيلها كل عنت . لقد طوّف بالبصرة وبغداد وكروستان وهمزان واصفهان و « قم » ثم اعتكف عن الناس بعد عودته ثمانية شهور ثم خرج عليهم بدعوته الجديدة . وقد كانت دعوته هى عودة الاسلام إلى بساطته الأولى، ومحاربة الوساطة والشفاعة والقبور حربا لا هوادة فيها ، وقد عمل بعنف وقوة ومضاء فى استنكار استغاثه الناس بالقبور وسكانها ولما بدأ دعوته فى « العينية » هجرها إلى الدرعية مقر آل سعود ، حيث وفق إلى ربط الدعوة بالسلطان حين اتصل بآل سعود . وقد خشيت الدولة العثمانية من نجاح محمد بن عبد الوهاب واكتساحه ، فأرادت أن تضربه بدعوة أخرى فى مصر ، فسيرت محمدعلى لمقاتلته، وانتصر الوهابيون على محمد على ثم انهزموا ... ولكنهم لم يلبثوا أن عادوا مرة أخرى فحققوا رسالتهم ودخلوا مكة وهدموا الكثير من القباب . وقد انتشر المذهب الوهابى فوصل إلى الهند فأذاعه السيد احمد خان والى المغرب فدعا إليه السنوسى والى اليمن فحمله الشوكانى . وفى كل مكان حل فيه محمد بن عبد الوهاب قوبل بالانكار والحرب، وقد حدث له ذلك فى البصرة، والاحساء ، وحاول البعض قتله ليلا فى حرمه . وفى العينية استطاع بفضل تعضيد عثمان بن حمد بن عمران أن يجهر بدعوته، وأن يأمر بالمعروف وأن يشدد على الناس ويقطع الأشجار التى كانت تعظم ولكن عثمان لم يلبث إن أخرجه بعد أن هدده حاكم الاحساء بقطع خراجه ، فصار إلى الدرعية ١١١٦ واتصل بمحمد بن مسعود فاكرمه وعظمه واغتنم نصرته ،وقد تعاهد الرجلان على النصرة . وبايع الأمير محمداً بن عبد الوهاب على الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد ظل أهل الدرعية يعملون حتى انتصروا فى نجد والاحساء وفتحوا الرياض . وقد توفى عام ١٢٠٦ .

منذر بن سعيد

كان عبد الرحمن الناصر قد انفق ٣٠٠ ألف دينار كل عام على بناء مدينة الزهراء وظل على ذلك خمسة وعشرين عاما وجلب لها زخارف الدنيا وبدائعها . وغضب « منذر بن سعيد » فقيه الأندلس ومضى ينصح لعبد الرحمن ويتناوله بالنقد جاهراً غير مبال . فأراد الناصر أن يرضى الناس فبنى مسجد الزهراء وحشد له ألف عامل . وفرشه بالرخام المرمرى . وجعل فى وسطه فوارة يجرى فيها الماء . وعندما وقف منذر على المنبر بعد ثلاث أسابيع انقطعت فيها الصلاة الجامعة قرّع المنصور وقال إنه انصرف إلى الزخرفة والبناء عن غزو الأعداء ومغالبة الفرنجة . وبدأ بالآية الكريمة « أتبنون بكل ربع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون » وظل منذر يردد معانى الإيغال فى الترف وحب البناء والإقامة والاعراض عن الجهاد حتى دمعت عينا الناصر ، وإن كان قد عتب على منذر تقريعه . ولكن الناصر كان يقدر الإمام قدره ، ويرى له مكانته وعدله . فقد ذهب المنافقون يغرونه بعزل منذر فرفض وقال « أمثل منذر فى فضله وورعه وعلمه يعزل عن إرضاء نفس ناكبة عن الرشد : وإنى لاستحى من الله ألا أجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر فى ورعه وصدقه . فقد كان منذر قاضى قضاة عصره ، إماما فقيها . وخطيبا شاعرا ، ولى القضاء بقرطبة أيام عبد الرحمن واستمر إلى أن مات الناصر وولى ابنه الحكم فأراد أن يستعفى فلم يعف ، وقد سجل المؤرخون له الفضل والإعجاب والثناء ، وقيل أنه لم تؤخذ عليه مدة ولايته قضية جور واحدة وعرف بالاجتهاد وكان يفتى على مذهب مالك وقد أفسح للناس فى الرأى وبسط وجوه الشريعة .

وله كتب فى القرآن والسنة والرد على أهل الاهواء. توفى بقرطبة عام٩٤٦م .

عمر لطفى

عندما ترد كلمة « التعاون » على الألسنة يقفز إلى الخاطر رائد التعاون الأول : عمر لطفى الذى دعا إلى التعاون عام ١٩٠٧ فكانت صيحته جريئة وجديدة . وقد لفتت دعوته الأنظار وبدأت تقاومها حكومات الاستعمار وفى مقدمتها حكومة مصطفى فهمى صنيعة الاستعمار .

وكان رأى عمر لطفى أن «التعاون» هو الحل الوحيد السريع للازمة الاقتصادية الخانقة التى كانت تمر بها مصر أذاك .

وقد سافر عمر لطفى إلى إيطاليا حيث قابل « لويجى لوتسانى » أبى التعاون الإيطالى فلما عاد مضى يرتاد القرى والنجوع والدساكر يتحدث مع الفلاحين ويدعوهم إلى إنشاء جمعيات تعاونية . وعمر لطفى هو ثمرة المدرسة الوطنية التى عرفتها مصر بعد الاحتلال البريطانى . وقد شب فى ذلك الجو المشحون بآثار الاستعمار البريطانى وهزيمة عرابى ونفيه . وسمع وقع خطى جمال الدين الأفغانى على أديم الحياة المصرية ، وما كان لها من آثار ، وقرأ مجلة الأستاذ لعبد الله نديم وهو شاب ، ثم رأى مصطفى كامل وقاسم أمين ومحمد عبده بل إنه تخرج فى يوم واحد مع محمد فريد فى مايو ١٨٨٧ . ومن عصارة هذه الصيحات امتلأت روحه بالوطنية الصادقة فقد رأى وطنه مهينا وكرومر يضغط عليه بقوة ويذيقه ألوانا من التعذيب وشهد الفلاحين وهم يساقون إلى السخرة بالكرباج . وعندما وقع حادث دنشواى عام ١٩٠٦ هزه هزا واضطرمت نفسه حزنا وألما يحول هذه الطاقة الوطنية التى تملأ نفسه إلى عمل نافع إيجابى ، ثم أهل عام ١٩٠٧ فاذا بالأزمة تعصر الفلاحين عصرا وتأخذ برقابهم وكان لا بد من حل . ووجد عمر لطفى الحل فى التعاون فدعا إليه وكان عمر لطفى قد شغل بعض المناصب حتى بلغ وكيلا لمدرسة الحقوق ، كما أسس نادى المدارس العليا . توفى عام ١٤ نوفمبر ١٩١١

يوسف بن تاشفين

كان من الرجال الذين ينشئون الدول ، والذين خلقوا للزعامة . فيه ذكاء وفطنة وبعد نظر . وقد عرف فى التاريخ قائداً عظيما · وسياسيا جباراً ومتقشفا زاهداً · يعيش عيشة بسيطة وقد استطالت حياته إلى مائة عام وتوفى عام ١٩٠٦ بعد أن حكم أكثر من خمسين عاما وأنشأ امبراطورية المرابطين · وقد حارب فى الزلاقة وهو فى الثمانين ينتمى إلى قبيلة لمتونة من بطون صنهاجة إحدى قبائل البرانس الشامخة . وبرز أول ما برز قائداً لمقدمة جيش أبو بكر بن عمه وسار نحو الجنوب مفتتحا بلاد السوس ، فلما سار أبى بكر بن عمر اللمتونى فتوغل فى بلاد السودان مما يلى جنوب المغرب الأقصى ، استخلفه فى الحكم . فاختط مدينة مراكش لتكون قاعدة ومعقلا . وبينما كان أبو بكر مشغولا بحروبه فى الصحراء ، كان يوسف يفتح مدن الغرب واحدة بعد أخرى . فسار إلى فاس واخترق مفاوره وشق غمارة غازيا حتى طنجة ، واستمر يفتح القواعد والثغور . وخضعت له زناته ومصموده بعد حروب شديدة . ثم استولى على طنجة وزحف على المغرب الأوسط ففتح تلمسان ووهران ، واستمر فى فتوحه حتى بلغ الجزائر وتونس . وقد قضى يوسف على السلطان المحلى وبسط حكمه على جميع أقطار المغرب من تونس شرق المحيط الأطلسى غربا ولم يلبث عمه أبو بكر أن توفى وهو يجاهد فى غزواته فى الصحراء . وهكذا أقام يوسف دولة المرابطين الكبرى ولقب بأمير المسلمين . ورأى ما فى الأندلس من متاعب العرب هناك فى صراعهم مع الفرنجة وانقسامهم وتوائبهم إلى إقامة عروش متضاربة مما أجج الحرب الأهلية بلا انقطاع حتى سقطت طليطلة أول قاعدة إسلامية فى أيدى الفرنجة ١٠٨٥ وكان لسقوطها أثر أليم فى العالم الإسلامى كله . ولم تمض ثلاث سنوات (١٩٠٤) حتى كانت الأندلس فى قبضته .

واصل بن عطاء

وصفته زوجته فقالت : كان واصل إذا جن الليل صف قدميه يصلى . ولوح ودواة بجانبه فإذا مر بآية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ثم قام إلى الصلاة : إنه إمام المعتزلة الذى قيل فى وصفه أنه اعتزل مجلس الحسن البصرى وتبعه عمرو بن عبيد فقال الحسن البصرى « اعتزلنا واصل » ويقوم مذهبه على أساس تقديم العقل وتحكيمه . وقال وأصحابه بالمنزلة بين المنزلتين : أى بين الإيمان والكفر . وقالوا إن العبد يخلق أفعال نفسه . وقالوا بالتحسين والتقبيح العقليين . وينفى المعتزلة صفات الله من العلم والكلام والحياة ويقولون إن ذلك يقضى بتعدد القدماء والله واحد قديم لا شريك له . ولد واصل عام ٨٠ بالمدينة المنورة وتعلم بالعراق . وتتلمذ على الحسن البصرى . وألم بثقافات العراق فتكون له محصول ضخم ، فى فلسفة العقائد ، وعرف بقوة الجدل وإشراق البيان والرد على الفلسفات الزائغة حتى قيل أنه أعلم الناس بكلام غالية الشيعة ومارقه الخوارج وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة . وقد خاض فى المعقولات خوضا جعله يؤثر العقل ويحسن التأويل وقد ألفا كتابا فيه مسألة للرد على المانوية . وهو واضع علم الكلام على أصول النظر الاستدلالى والبحث المنطقى . وصف بأنه أقوى مناظر فى عصره لما عرف عنه من غزارة المادة وقوة البيان . وحضور البديهية . وإلمام بأدب المناظرة والحلم والصبر واللباقة وكان إلى ذلك زاهداً لا ينافس فى دنيا ولا يحرص على منصب . قال عنه الجاحظ « لم يشك أصحابنا أن واصلا لم يقبل ديناراً ولا درهما » وله خطبة طويلة أسقط فيها حرف « الراء » فقد كان الثغ . وقد ألقاها أمام عمر بن عبد العزيز ورأيه فى الدنيا كرأى أستاذه الحسن البصرى : إنها متاع قليل ومدة إلى حين . وقد توفى عام ١٣١ بعد أن ترك مدرسة ضخمة فى الاعتزال كانت بعيدة الأثر فى التفكير الإسلامى زمنا طويلا .

محمود ابو العيون

الخطيب الذى أوقد حماسة الشعب فى ثورة ١٩١٩ ، والكاتب الذى هاجم البغاء والعرى . وقاد المظاهرات الشعبية . وتعرض للرصاص والنى فى السجون والمعتقلات . كان مدرسا فى الأزهر إبان الحرب الأولى ، فلما انجلت عن ذلك الغدر لحقوق مصر ثار هو وحفنة من زملائه : دراز والزنكلونى وعبد ربه مفتاح وجعلوا من الازهر بؤرة الثورة وكان هو أفواهم حماساً وأنشطهم حركة . وفى يوم ١٤ مارس ١٩١٩ اجتمعوا لتدارس الموقف ، فقد أطلق الانجليز الرصاص على الخارجين من مسجد الحسين فقتل عدد كبير ، وما كاد الشيخ أبو العيون يلمح الجرحى والمصابين والقتلى حتى هزه الحادث ودعا إلى الأخذ بالثأر . وقال « أن هذه الدماء قليلة . ويجب أن تكون أكثر واغزر » ومضى يحرض على الانتقام . ومنذ ذلك اليوم بدأ منبر الأزهر يغذى الثورة . ورأى الانجليز خطره فاعتقلوه مرتين . وعلى منبر الأزهر التقى القمص سرجيوس ويوسف الجندى ونجيب اسكندر وعبد المجيد بدر وزكى مبارك ومحجوب ثابت . وفى يوم ١٨ ابريل خرجت من الأزهر مظاهرة رهيبة لم تستطع القوات البريطانية قمعها رغم ما لجأت إليه من وسائل العنف وقد سقط عشرات الشهداء . وقد أجمع خطباء الأزهر فى ذلك اليوم على إسقاط رشدى باشا فاضطر إلى الاستقالة . وفزع الانجليز لهذه القوة الحقيقة ، وطالبوا شيخ الأزهر — وكان الشيخ أبو الفضل الجيزاوى — بأن يكتفى بفتح الأزهر فى أوقات الصلاة فرفض . وقال أن من يعمل ذلك يخرج عن دينه ووطنه . وقد خدع ابو العيون وأصحابه الانجليز فاتجهوا إلى مسجد ابن طولون حيث عقدوا مؤتمرهم ثم عادوا إلى الأزهر مرة أخرى فدخلوه من طريق سرى غفل عنه الانجليز هو زاوية العميان الملحقة بالأزهر وفوجىء الانجليز بمظاهرة ضخمه خارجة من الأزهر لم يحسبوا لها حسابا . وكتب الشيخ بعد الثورة بعنوان «مذابح الأعراض» داعيا إلى إلغاء البغاء وقد توفى ٢١ نوفمبر ١٩٥١ .

الحسن البصرى

دخل « الإمام على » جامع البصرة فأخرج القصاص وهو يقول : القصص بدعة . حتى انتهى إلى حلقة شاب يتكلم على جماعة فاستمع إليه فأعجبه كلامه فقال : يا فتى أسألك عن شيء ؛ إن خرجت منه تركتك تتكلم على الناس وإلا أخرجتك كما أخرجت أصحابك فقال : سل يا أمير المؤمنين . فقال أخبرنى ما صلاح الدين وما فساده فقال : صلاحه الورع وفساده الطمع ، قال صدقت فتكلم فمثلك يصلح أن يتكلم على الناس . ذلك هو « الحسن البصرى » داعية الورع والزهد والتقى . أول من وضع قواعد الصوفية ورسم طرائق محاسبة النفس وأعلى من شأن فضائل الخوف والرجاء . ومضى يدعو إلى تخليص المجتمع من الفساد الذى دب فيه حينما بدا الرعيل الأول من الصحابة يجمعون الأموال ويبنون القصور ويتخذون الفراش الوثير . فبدأ يسخر من النفع المادى ، ويحارب المآرب الدنيوية ، ويجمع من حوله المريدين صارفا إياهم عن الانحراف والجشع والتطلع إلى الأثرياء . ونصب نفسه قاصاً بالمسجد ، مخالفا مذاهب القصاص من تهويل وإغراق ، وأخذ من حديث الرسول ذلك الجانب الذى يحمل الوعيد ورسم صورة الخوف والتحرز من الصغائر . وقال إن أساس الدين التقوى والحزن والخوف . ويعد الحسن البصرى المدرسة الفلسفية لمذهب أبى ذر . فقد ولد بعد الهجرة بعشرين عاما وبدأ يمتزج بالحياة فى عهد عثمان . وكان مقتل عثمان نفسه هو عقدة حياته وروح فلسفته . وكانت المثالية لعهد عمر هى التى رسمت طريقه ، وقد اجتمع بعدد من التابعين واستمع منهم إلى أحاديث الرسول وقصص ورعه فكونت فى مجموعها العوامل التى تتفق مع طبيعته فى الاتجاه إلى الزهد وقد أتيح له أن يشارك فى الجهاد ويذهب إلى أقصى المشرق مع الغزاة ، فحضر حصار كابل وفتحها وعمل مع بن زياد والى خراسان . توفى عام ٧٢٨

الشافعى

أبرز ملامح شخصية الشافعى : أنه غير مذهبه فى الفقه عند ما قدم إلى مصر . وتلك آية التجاوب مع البيئه والزمن وحاجات الناس . ولد بمكة ورحل إلى المدينة ثم سافر إلى اليمن ، ثم حمل إلى بغداد متهما بمعارضة الرشيد ، ثم عاد إلى مكة ، وقصد إلى بغداد ثم إلى مصر ، حيث أقام بها بقية حياته . وقد أتاحت له الرحلة خلال المنطقة كلها ، فرصة واسعةلدراسة طبائع الناس وأخلاقهم ومعرفة مصالحهم واتجاهاتهم ، ففهم الحياة ومشاكلها وقضاياها . كما أتاح له ذكاؤه وقدرته العقلية ، مرونة ولباقة جديرين بالتقدير . ولد فى العام الذى مات فيه أبو حنيفة ، وتلقى على مالك فى المدينة فبهره بجودة حفظه ثم كان ابن حنبل من تلاميذه . وحين قدم العراق التقى بأبى يوسف ووكيع ، وهو أول من وضع الموازين والمقاييس وضبط الفقه ، بعد أن جادل الفقهاء وقارعهم وانتصر عليهم . كان رياضيا تعلم الرماية وأغرم بها وأجادها ، وكان يرمى عشرة فى عشرة ، وقال عن نفسه « كانت همتى فى الرمى والعلم » وقد نقل أسلوب الرياضيين من ميدان الرمى إلى حلبة الفقه فكان واسع الصدر إزاء معارضية . قالوا إنه كان يقتصد فى لباسه ، ولم تعرف له صغيرة وكان يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل القرآن فيسألونه . فإذا طلعت الشمس قاموا . وجاء أهل الحديث يسألونه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا ، ثم تستوى الحلقة للمناظرة والمذاكرة فإذا ارتفع النهار تفرقوا ، ثم جاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يأتى المساء والشافعى جالس فى حلقته لا يضيق بالعلم ولا بالناس وكان الشافعى أديبا يتذوق الشعر ويقول أجوده ويقدر الجمال ويعجب به ، وروى أنه إذا تكلم كان صوته أشبه بالصنج أو الجرس وكان إذا قرأ القرآن التف حوله الناس وعجوا بالبكاء . ومات فقير ولم يترك شيئا . توفى عام ٨٢٠ م

عز الدين عبد السلام

أبرز مواقف عز الدين موقفه من أمراء المماليك حيث صمم على بيعهم وصرف ثمنهم فى مصالح المسلمين ، وقال لهم فى ذلك : إن الملك الصالح اشتراهم من بيت المال ، ولذلك فلا يجوز أن يحكموا مصر وهم أرقاء ، ولا بد أن يعقد لذلك مجلس وينادى عليهم وبذلك تعتقون .

وقد عارض الأمراء أولا . ولكنه أصر ، وصمم ، فلما أصروا غضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته حماراً آخر . ومضى حتى بلغ خارج القاهرة ، هنالك لحق به العلماء والتجار فردوه ونادى على الأمراء واحداً واحداً وباعهم وقبض ثمنهم وصرفه فى وجوه الخير .

ولما أراد السلطان قطز أن يأخذ من الناس ضرائب جديدة ليستعين بها على قتال التتار . اعترض عليه وقال إنه لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شىء إلا بعد أن يبيع العلماء ما عندهم من الطارف أولا .

وكان الشيخ عز الدين قد جاء مصر بعد أن اختلف مع السلطان فى دمشق فقد عقد نجم الدين صلحا مع الفرنجة وسلم إليها صيدا . وقلعة الشقيف من حصون المسلمين. ودخل الفرنج دمشق لشراء السلاح فشق ذلك على الشيخ مشقة عظيمة . وأفتى الناس بتحريم مبايعتهم لأنهم يقاتلون المسلمين . فاعتقلوه .

وعرف عز الدين بمواقفة الجرئية أمام ظلم السلاطين فى مصر والشام . واشترك محاربا خلال إقامته بمصر فى مقاومة الفرنجة فى المنصورة (١٢٥٠ م). واستطاع إبطال المكوس ورفع المظالم ورفض هدية السلطان وكانت ألف دينار وأنكر ولاية شجرة الدر وقد أقام بمصر عشرين عاما وبلغ مرتبة الاجتهاد، كما لبس خرقة التصوف . وكان ينادى الملوك بأسمائهم وأبطل صلاة الرغائب . ونصف شعبان . وسلمت إليه الفتيا . وأسقط شهادة الجائر وعزل نفسه عن القضاء .

عبد الكريم الخطابي

بلغ قمة البطولة فى معركة « أنوال » فقد قاوم الفرنسيين بقواته المحدودة وألحق الهزيمة بجيش قوامه ٢٠٠ ألف جندى كاملى العدة والعتاد . وكان نتيجة معركة أنوال (١٩٢١) أن اهتزت أسبانيا رعبا وفزعا واهتزت الدول الاستعمارية وبدأت فرنسا تجهز ١٠٠ ألف جندى لتطبق بهم من الشرق والغرب . وانتصر عبد الكريم على الأسبان ، هنالك عمدت فرنسا إلى خدعة ماكرة فقد وحدت صفوفها مع أسبانيا فأحكما معا الحصار على الوطنيين فى (مايو ١٩٢٤) وقاوم عبد الكريم ما وسعته المقاومة ، ولم يستسلم إلا بعد أن نفدت مؤنه ولم يعد هناك سبيل للمقاومة . . و لقد عاش فى معارك طوال حياته فقد احتل الأسبان شمال المغرب عام ١٩١٢ فهب والده للدفاع عنها واشترك معه وظل يحارب من بعده ١٩٢٤ وقد سجن فى فجر جهاده ووضع فى قلعة أحد عشر يوما لحاول الهرب فكسرت ساقة وفرض عليه السجن الانفرادى من جديد بضعة شهور . وقد عرف بالحذر واليقظة والكتمان ، لا يبوح بخطته إلا عند تنفيذها ، وعندما اعتقلته فرنسا ١٩٢٦ قدمت له عهدا مكتوبا بالأمان ولكنها لم تلبث أن أسرته ونفته إلى جزيرة رينيون حيث قضى عشرين عاما بها ، ثم تقرر نقله ١٩٤٧ إلى منفى آخر وأعلنت فرنسا كذبا أنها أطلقت سراحه شريطة أن يقيم فى باريس ، فلما بلغت الباخرة بورسعيد فى ٢٩ مايو ٩٤٧ نزل الأمير إلى الشاطىء وآثر الإقامة فى مصر وقد عرف عبد الكريم بأنه رجل حرب وجلاد ، وهو إلى ذلك زعيم مجاهدى يهز القلوب ويفعل بالنفوس فعل السحر ، وكان موضع إعجاب جنوده ، وحب شعبة وما زال يعيش عاملا فى ميدان الكفاح السياسى فى سبيل إكمال تحرير بلاده . وكان فى أول شبابه قد أعلن فى صراحه أنه ينادى بالجهاد ضد الحلفاء وقدم استقالته من الوظيفة لإداء الواجب الوطنى

مفكرون من الشرق

احمد حلمى

« ... لا شك ولا ريب أن سبب شقاء المصريين وتأخرهم وعدم تقدمهم هو عائلة محمد على سواء أكان ذلك أدبيا أم ماديا . وإذا عرف المصرى أن شقاءه وبلاءه ليس له من سبب سوى عائلة محمد على فقد وجب عليه أن يتخلص منها لأن هذه العائلة هى التى سامت مصر للانجليز » . كان هذا هو رأى « احمد حلمى » فى أسرة محمد على قبل أن يقضى عليها باكثر من أربعين سنة ، كتبه بقلمه جريئا غير هياب فى أبان صولة هذه الأسرة وصولة الاستعمار الذى يساندها . كان ذلك عام ١٩٠٩ فى أول عدد أصدره من جريدته « القطر المصرى » بعنوان مصر للمصريين هاجم فيه الخديو هجوما عنيفا مطالبا بالقضاء على هذه الأسرة . وقد قبض عليه بتهمة « التطاول على مسند الحضرة العلية الخديوية » وقدم للمحاكمة . وفى السجن زاره الشاعر احمد شوقى رسولا من الخديو طالبا إليه أن يقدم استرحاما يقبله الخديو على أن يصدر من بعد جريدة تدافع عن الخديو ويمولها بمبلغ كبير من المال .

ولكن حلمى رفض المساومة وقبل حكم السجن تسعة أشهر . وفى السجن ظل يعمل . كان ايمانه الصادق بوطنه يدفعه إلى كتابة المقالات وتهريبها إلى مجلة القطر المصرى مواصلا حملته على الخديو فكان أن صدر الأمر باغلاقها وسحب رخصتها وكان ينظم الأزجال الوطنية فى قصاصات تطير من بين قضبان السجن وتصل إلى أيدى الناس فيرددونها فتملأ المقاهى والأندية والبيوت كلماتها الصارخة فى حرب الخديو ولم يكن هذا هو كل تاريخ احمد حلمى ، فقد بدأ يكتب فى جريدة اللواء عام ١٩٠٠ وقد أثارت مقالاته دار المعتمد البريطانى فصدر أمر كرومر بنقله — وهو الموظف — إلى واحة سيوه ، ومن هناك كان يواصل إرسال كلماته النارية إلى اللواء . وقد ظل يصدر جريدته «الصاعقة» ويصب ناره على المستعمرين وأذنابهم حتى انحرفت الحركة الوطنية وتمزقت احزابا ، فأعتكف حتى توفى سنة ١٩٣٦ .

اديب اسحق

هناك طائفة من الكتاب عاشت فى جو جمال الدين الأفغانى وتأثرت به وملأت قلوبها من نبضه التحررى الجزىء ، ولعل أديب اسحق كان فى مقدمة هؤلاء . لقد استمع إلى أحاديثه عن الأدب والفلسفة والعقل والمنطق . ودوت فى أذنه صيحته إلى الحرية والقوة ومقاومة بريطانيا العظمى . وقد صدرت بتأثيره صحيفة « جريدة مصر » فصال فيها وجال . وكتب فيها بامضائه و رموز مختلفة ، ثم أصدر جريدة التجارة ثم ضاق به المجال فى مصر نتيجة لضغط الاستعمار فسافر إلى باريس وأسس مجلته السياسية « مصر القاهرة » حيث استطاع أن يكشف فيها عن خيانات الغاصبين وجنايات أعوانهم من الحكام الدكتاتوريين فى مصر . ولم يقف عند هذا الحد بل نشر مقالات جريئة فى شتى الصحف البارسية عن السياسة ولم يلبث أن عكف على البحث فى دار المكتبة الأهلية بباريس ، وأخذ يطالع فيها مختلف الكتب والف كتابا اسماه « تراجم مصر فى هذا العصر » ضاع ضمن ما كتبه . وعاد « أديب اسحق » إلى مصر بعد أن قوى نفوذ العرابيين وأصدر جريدة مصر مرة أخرى فلما اضطربت الأمور هاجر إلى بيروت وعاد كرة أخرى . وقد وقف قلمه على أثارة الحمية الوطنية وبعث الدعوة إلى الحرية فى شتى انحاء الوطن العربى . وقد ولد أديب اسحق فى دمشق عام ١٨٥٦ وأجاد الفرنسية والانجليزية والتركية وفى بيروت التقى بالأدباء وآثر العمل بالصحافة وهو شاعر وأديب . وقد تولى تحرير جريدة ثمرات الفنون وهى من أمهات صحف بيروت إذ ذاك ثم جريدة التقدم وله مؤلفات منها « نزهة الاحداق فى مصارع العشاق » وآثار الأدهار . والدرر وقد انتقل إلى الاسكندرية عام ١٨٧٦ حيث عمل مع سليم نقاش بفن التمثيل العربى وعرب « اندروماك » عن مؤلفات راسين . ومات فى بيروت ١٨٨٥ بعد أن أعلن ثورة الوعى العربى .

ابن حزم

« ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين. وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه » هكذا وصفه الحافظ بن أبي عبد الله ، وقد عاش على بن حزم كريم النفس عازفا عن صحبة الملوك . فكان ذلك من أسباب حقد العلماء عليه وايغارهم صدور الملوك عليه مما أدى إلى حرق مؤلفاته علانية فى أواخر حياته ، وكان من أجمل لذات حياته السعى وراء العلم حتى كان له من التآليف ما لم يعرف لغيره من علماء العرب باستثناء ابن جرير الطبرى وقد كان عصاميا فى ثقافته فقد علم نفسه وأكب على الدراسة غير مستعين إلا برغبته القوية. وقد أتاح له ذكاؤه أن يصل إلى ذروة العلم فاستوعب أعلام الفقه والتفسير والحديث والأدب والشعر والتاريخ من أطرافها . وقد كون رأيه المستقل وبلغ به مبلغ المجتهدين . وقد تالب عليه المعتضد بن عباد أمير إشبيلية بعد أن اشتغل ابن حزم بالوزارة وقاسى أهوال الملك وانهيار العروش ومتاعب التحول فى أمور السلطان . وقضى فى السجن فترات متعددة ، ولذلك فقد اعتزل السياسة وتفرغ للدرس والتأليف وزهد فى الدنيا ، وهنا تبلورت شخصيته فى صورتها الرائعة : العالم العامل القوى الايمان بالله الراغب عن متاع الدنيا وزخرفها ، وهو أول عالم جرىء القلب استطاع أن يكتب عن « الحب » فى جرأة وقوة وأن يصف عاطفته فى صدق وحرارة فى رسالته « طوق الحمامة » هذا بالاضافة إلى مؤلفاته الحافلة بالآراء الدقيقة فى مسائل الدين والفقه . ولم يأخذ المؤرخون على ابن حزم إلا صراحته الصريحة هذه التى جعلته لا يجامل ولا يأخذ الأمور فى شيء من الحكمة والمصانعة أو المرونة. وقد وصف لسانه بأنه شبيه بسيف الحجاج رهقا .

وقد اشترك فى حرب غرناطه . وهو فقيه وطبيب وشاعر وفيلسوف ومؤرخ وله الفضل فى الملل والنحل والاهواء (٩٩٤ — ١٠٦٤)

ابن القيم

« بالصبر والفقر تنال الإمامة فى الدين ؛ لابد للسالك من همة تسيره وترقيه ؛ وعلم يبصره ويهديه » ذلك هو رأى ابن القيم الجوزية ، صديق ابن تيمية وتلميذه، وصفيه ، والذى سجن معه فى القلعة وطيف به على جمل مضروبا بالعصى ، فلما توفى ابن تيمية أفرج عنه . قرأ العربية على ابن أبى الفتح . وقرأ الفقه والأصول على ابن تيمية . وعرف بجرأة اللسان وسعه العلم ، وكان كثير الصلاة والتلاوة. حسن الخلق ، كثير التودد ، لايحسد ولا يحقد . متعبدا يطيل ركوعه وسجوده ويجمع الكتب وقد جمع عنده مكتبة ضخمة لاحد لها وقد انتصر لابن تيمية . وهذب كتبه ونشر علمه ، ولكنه واضح الرأى مستقل الفكر له طابعه المستقل، وهو طويل النفس ، مسهب ، يتعمد التوضيح والافاضة . ويختلف عن ابن تيمية أن به نزعة إلى التصوف والزهد .

وقد غالى فى معاداة الفلسفة وعلومها وحط شـــأن المشتغلين بها وطعن فى عقيدتهم . وقد قاوم مع الفلاسفة النصارى واليهود أصحاب الافكار المسمومة والهادفة إلى تحريف الحقائق الانسانية .

وقال ابن القيم الجوزية المولود عام ١٢٩٢ والمتوفى ١٣٥٠ م ؛ « أن ثواب الجنة أبدى وعذاب النار مؤقت »

وله مصنفات كثيرة فى التصوف والجدل ، من أهمها الهدى وأعلام الوقعين ، وبدائع الفوائد ، والقضاء والقدر ، وحادى الأرواح ، وعلم البيان .

وقد عرف بمقاومة الفلاسفة والنصارى واليهود . وله فى التصوف والجدل مؤلفات منها الفوائد المشوقة فى علم القرآن وعلم البيان وشفاء العليل فى القضاء والقدر وهو فقيه حنبلى دمشق

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة
من أصل
المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة
من أصل
المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة
من أصل
المصدر

البلخى

قال أبو حيان الفارسى : لم أر كتابا فى القرآن مثل كتاب لأبى زيد البلخى ، ووصف بأنه أحد الثلاثة المتكلمين : الجاحظ وعلى بن عبيدة وأبو زيد البلخى كان يذهب مذهب الفلاسفة ويتكلم فى القرآن بكلام لطيف دقيق يكشف عن سرائره فى عمق وسماه نظم القرآن وقد وصف بأنه أعلم علماء المعرفة الموسوعية فى الأدب والفلك والجغرافية والتاريخ والفقه والمنطق والفلسفة . وقد عرفت خرائط أبى زيد البلخى أول ما عرف نسقه بين كتب الجغرافية الإسلامية . وقد اتهم بالالحاد والمروق مع أنه حسن الاعتقاد . وله كتاب شرائع الأديان والسياسة ومصالح الأبدان والأنفس ، وصناعة الشعر . وقد ولد « أبو زيد أحمد بن سهيل البلخى » فى إحدى قرى بلخ عام ٢٣٥ هجرية وبدأ حياته معلما للصبيان وشب على هذه الصناعة التى كان يحترفها أبوه . وقد وصف بأنه ربعة نحيفا مصفاراً أسمر اللون جاحظ العينين . ولولا همته العالية لقعد به الفقر ، ولما سمع به سامع . وقد اضطر إلى النزوح إلى العراق سيرا على قدميه ليلقى حكماءه ، فلقى الفيلسوف الكندى وأقام بالعراق ثمان سنوات . وزهد فى المناصب المعروضة عليه وعاش إلى قرابة التسعين وينسب البلخى إلى بلخ التى كانت القصبة السياسية لولاية خراسان : وقد ساح سياحة طويلة . سبق علماء البلدان فى الإسلام كافة إلى استعمال رسم الأرض ، فى كتابه صور الأقاليم الإسلامية .

قد جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون ووصفه النقاد بأنه من أصحاب الأسلوب البرق حيث يوافق لفظه معناه وعرض عليه منصب حاكم تخوم بلخ ولكنه فضل عليه الكتابة .

ولد عام ٨٤٩ وتوفى عام ٩٣٤ م .

الشدياق

قيل أنه لا يوجد كتاب مطبوع فى مطبعة مالطة إلا كان هو مؤلفه أومترجمه أو مصححه ، ذلك أنه سافر عام ١٨٣٤ إلى جزيرة مالطة وأقام بها أربعة عشر سنة يدرس فى مدارس المراسلين الأمريكيين .

كما ترجم التوراة إلى العربية . وقضى فى سـياحة فى أوربا بضع عشرة سنة متجولا كان يعود خلالها إلى مالطة دون أن يغير لباسه التركى . وأقام مدة بتونس وحرر جريدة الرائد التونسى . كما اقام بلندن وباريس فترات متفاوتة . وقد ألف فى ذلك كتاب « كشف المخبأ فى أحوال أوربا » المطبوع فى تونس والاستانة .

وأنشأ جريدة الجوائب فى الاستانة وقد ولع الناس بمطالعتها وذاع صيتها فى الآفاق فبلغت الهند وفارس والعراق وسائر بلاد العرب ومصر والشام والمغرب وقد نقل مقالاته فى « منتخبات الجوائب » .

ولد أحمد فارس الشـدياق (١٨٠٤ — ١٨٨٠) فى عشقوت بلبنان وتوفى فى استانبول وتعلم فى عين ورقه . وقرأ كتب الأدب العربى الكبيرة ، واولع باللغة ونظم فى الغزل والحماسة والمدح والهجاء . وقدم إلى مصر فى أواخر أيامه حيث أقام بها بعد وفاة أخيه وتولى كتابة الوقائع المصرية ، كتب بالتركية والعربية . وعرف بحلاوة الحديث وطلاوة العبارة ورقة الجانب مع ميل إلى المجون . وله كتاب الجاسوس على القاموس الذى انتقد فيه معجم القاموس المحيط ، وقد امتاز بمعرفته الواسعة فى مواد العربية وسهولة أسلوبه فى الانشاء ، وقد دعا فى كتابه « الساق على الساق فيما هو الفارياق » إلى تحرير المرأة قبل قاسم أمين بسنوات طوال .

ثابت بن قره

يرتبط اسم « ثابت بن قره » بالفلك وعلوم الأبراج والهندسة . فقد نبغ فى الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ، ووضع فى هذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة ودرس العلم للعلم وشعر باللذة العقلية فراح يطلبها فى الرياضيات والفلك وقطع فيها أشواطا بعيدة ، وأضاف إليها ومهد لإيجاد أهم فرع من فروع الرياضيات وهى نظرية « التكامل والتفاضل » وقد ترك مآثر جمة فى بعض العلوم .

وكان يحسن السريانية واليونانية والعبرية ، يجيد النقل إلى العربية ويعده «سارطون» من أعظم المترجمين وأعظم من عرف فى مدرسة «حران» فى العالم العربى . وقد ترجم كتبا كثيرة من علوم الأقدمين فى الرياضيات والمنطق والتنجيم والطب كما أصلح الترجمة العربية لمجسطى بطليموس وجعل متنها سهل التناول .

وله أرصاد تولاها ببغداد وجمعها فى كتاب بيّن فيه مذهبه فى سنه الشمس وما أدركه بالرصد فى سواضع منها . ووضع كتابا فى الجبر بين فيه علاقة الجبر بالهندسة وله مقالة فى الأعداد المتحابة وهو استنباط عربى يدل على قوة الابتكار واشتهر ببراعته فى الطب وله عشرات الكتب عن خسوف القمر والشمس وقطع الاسطوانة الهندسية . والمربع والمثلث . وابطاء الحركة فى فلك البروج وفى تركيب الأخلاق وصفة كون الجنين وأوجاع الكلى والمثانة .

ولد ثابت فى حران سنة ٢٢١ وتوفى سنة ٢٨٨ هـ وقد كان فى مبدأ أمره صيرفيا بحران ثم انتقل إلى بغداد فاشتغل بعلوم الأوائل فبرع فيها والتقى بمحمد ابن موسى الخوارزمى لدى رجوعه من بلاد الروم فاعجب هذا بفصاحة ثابت وذكائه فاستصحبه معه إلى بغداد ووصله بالخليفة المعتضد وأدخله فى جملة المنجمين وقد اقطع المعتضد ثابتا الضياع الجليلة تقديرا لمواهبه .

جلال الدين الرومى

« كن حديثا تستحسن روايته لأننا فى الدنيا لسنا سوى أحاديث » هذه كلمة والده التى وعاها قبل موته فكانت نبراس حياته . التقى فى مطلع حياته بالشاعر الصوفى « العطار » فى نيسابور حيث أهداه ديوان « العصافير » وتنبأ له بمستقبل . وقد تولى التدريس ولكنه كان يحس بحاجته إلى شىء أكثر من العلم ، كان يراه لا يروى ظمأ قلبه فكان يطمح إلى لون آخر من المعرفة ، تعلم على برهان الدين الروحانيات فلما توفى برهان أحس بالعزلة والانطواء فترك « قونية » وحمل عصاه وأخذ يجوب البلاد فقصد حلب وبغداد ودمشق وفيها عرف شمس الدين التبريزى الذى يسمى « الدرويش الطائر » ثم التقى به بعد خمسة عشر عاما فلازمه . وقال عنه أنه طهر قلبه من جميع العلوم . ثم بدأ يعلمه « المعرفة » ويكشف له عن أسرارها ورفع الحجب عن الأسرار وأصبح رمزا للحب ، وقد أصبح هو عنده « الانسان الكامل » .

وقد تبدلت حياته بعد أن التقى بشمس الدين فانقطع عن التدريس وانصرف إلى الصوفية ، وبعد أن فارق صديقه - الذى قتل — أخذ فى نظم الشعر الصوفى فى المثنوى والديوان ، وأسس طريقة المولوية ووضع نظمها .

ومن حكمه قوله « إذا شئت أن تصل إلى الجنات العليا يجب أن تكون صديقا لجميع الناس ولا تحفظ فى قلبك غلا على أحد . وأنت إذا تكلمت عن صديق شعرت بسرور هو الجنة نفسها لأن قلبك يطفح بسعادة ويمتلىء وردا وريحانا ولكنك عند ما تذكر عدوا تمتلىء حديقة قلبك أشواكا وثعابين » . ولد فى بلخ ومات فى مقدونية (٢٠٧ -- ١٢٧٣) وقد سافر إلى بغداد ومكة ودمشق وملطية ولاوندا وبقى فى قونية معلما وأسس الطريقة المولوية ومن مؤلفاته « المثنوى » فى تفسير المذاهب الصوفية وقال بالتناسخ ووحدة الوجود .

الجرجانى

« هو فرد الزمان ونادرة الفلك وإنسان حدقه العلم وقبة تاج الأدب وفارس عسكر الشعر ، جمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ إلى نظم البحترى » ذلك هو ماوصفه به الثعالبى فى كتابه يتيمة الدهر : إنه القاضى أبو الحسن بن عبد العزيز ولد فى تاجو قرب استراباز ، وندب للتدريس فى شيراز ثم سافر إلى سمرقند وكتب عدة رسائل فى الفلسفة باللغة العربية وبعضها بالفارسية وكتب شروحا على أهم الكتب فى أصول الفقه والفلسفة وعلم الهيئة .

وقد ولى الجرجانى قضاء الرى وقال عنه الشيخ أبو اسحق أنه كان فقيها شاعراً ، صنف كتاب الوكالة وفيه أربعة آلاف مسألة وله تفسير كبير . وله اختصار تاريخ أبى جعفر الطبرى فى مجلد سماه « صفوة التاريخ »

وقيل كان فى صباه خلف الخضر فى قطع الأرض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها .

وللجرجانى كتاب شهير خطير هو الوساطة بين المتنبى وخصومه فقد ظل الصراع قائما بين أنصار المتنبى وبين خصومه فترة طويلة من الزمن يتلقف كل فريق اتهامات الآخر ليزيد فيها أو ينقضها حتى جاء الجرجانى ففصل فى القضية على نحو غاية فى سمو القصد وسلامة الحكم والبعد عن الغرض ، والتجرد من الانتصار للمتنبى أو لخصومه . وما زال أسلوب الجرجانى مثلا عاليا فى النقد يحتذى لبعده عن الهوى والمهاترات .

وقد وصف النقاد الجرجانى بأنه قد اقتبس من أنواع الأدب ما صار به فى العلوم علما وفى الكلام عالما .

وتوفى الجرجانى فى نيسابور عن ٧٤ سنة (١٣٣٩ — ١٤١٣ م)

الخليل بن احمد

«لا تبكوا؛ فوالله ، مافعلت فعلا أخاف على نفسى منه . وما كان لى فضل فكر صرفته إلى وجهه . وددت بعد ذلك أنى كنت صرفته إلى غيرها . وما علمت أنى كذبت متعمداً قط وأرجو أن يغفر لى التأول » قام بأعمال ثلاثة ضخمة هى : رسم حركات الحروف لأول مرة بعد أن كانت العرب تضع نقطا فوق الحروف . وعلم العروض الذى حطم به نظرية القائلين بأن النظم العربى لا ضابط له ، ويدخل فى هذا اكتشافه سر الموسيقى وأصلها . أما عمله الكبير فهو أنه أول من صنف معجما عربيا هو كتاب « العين » حصر فيه لكل ما يمكن أن يتركب من ألفاظ العرب ورتبه على حرف الهجاء: إنه الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدى ، أخرجته البصرة كما أخرجت عدداً كبيرا من أعلام الفكر الإسلامى ، درس الفقه واللغة على أبى أيوب السختيانى ورأى الفرزدق فى صباه كما تلقى على عاصم الأحول والعوام ابن حوشب . وذهب فى شبابه إلى بلاد الروم مجاهدا للدفاع عن ثغور الإسلام وقد أمضى ثلاث سنوات يجلس إليهم فيسمع منهم ولا يشترك فى الجدل والمناظرة وقد عاصر شيخ العربية عمرو بن العلاء وحضر مجلسه . أما حياة الخليل فلم تكن صفوا كلها كانت حياة فقيرة يملؤها ورع عجيب . لا يقبل العطاء ولا يريد أن يكون خادما للملوك أو الأمراء . حتى قالوا عنه إنه أقام فى خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال . وقد كان سمح الوجه، صافى الذهن ، عبقريا ، لا يعادى أحداً ولا يتشفى بل يتغاضى دائما ويتسامى عن صغائر الأمور كانت آية ذهنه اللماح : إنه يحاول أن يستخرج من الظواهر أصولا تجمع فى قانون واحد . وبلغ من ورعه وزهده وقناعته فيما فى أيدى الناس قوله إنى لأغلق على بابى فما يجاوزه همى . وقد توفى الخليل عام ١٦٠ هـ عندما اصطدم بإحدى أعمده المسجد وهو مشغول بالبحث عن طريقة تحاسب بها الجارية البائع فلا يظلمها .

الرصافى

سكنت الخان فى بلدى كأنى أخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشة الغرباء فيه لأنى اليوم فى وطنى غريب

ذلك هو الرصافى الذى صور الظلم فى وطنه « العراق » قبل أن يشرق فجر ثورته المجيدة . وُصف بأنه شاعر قريحة لا عبقرية . وقيل أن الطابع الفنى عنده يتضاءل كثيرا بالنسبة للرنين اللفظى لأقرانه شـوقى ومطران . وقد اشتغل فى أول حياته مدرساً ثم بدأ ينشر فى صحف مصر وسوريا « المقتبس والمؤيد » . ثم سافر إلى القسطنطينية وبيروت وسلانيك . وتزوج من أزمير ثم عين مندوبا عن « المنتفق » فى مجلس المبعوثان وأمضى طيلة الحرب العظمى فى الاستانة . ولما عاد اتخذ داراً فى الأعظمية واضطر أن يؤجر حانوتا ليبيع فيه السجاير . وقد غير العمامة إلى الطربوش وخاض السياسة وهاجم الرجعيين ، وبعد أن استولى الانجليز على العراق غادر تركيا إلى الشام واستدعى إلى بيت المقدس للتدريس . وفى عام ١٩٢١ دعى إلى وطنه ليساهم فى النهضة وبعد أن ترك التعليم أصدر مجلة الأمل . وسافر إلى بيروت مؤثرا الهجرة ، وفى ١٩٣٠ عين نائبا فى المجلس النيابى العراقى وعارض المعاهدة وألف كتاب الشخصية المحمدية . وقد عرف بالاعتزاز بالنفس والحفاظ والكرامة . وكانت له جلسات ولهوات وصبوات . وأخذ طويلا بنظرية « وحدة الوجود » وآثار حوله الغبار وولع بأبى العلاء ، كان والزهاوى فرسى رهان ؛ وقد ظل يعانى العلل حتى توفى فوق فراش بعد أن نال منه الزمن وأبلاه . وليس فى غرفته إلا سرير وكرسيان وفراغ وبرد وصمت . ولم يجد ثمن الدواء . ولا شك أن التاريخ يذكر له أنه قارع عبد الحميد فى أوج عظمته ، وصاول الاستعمار البريطانى فى سطوته وقاوم حكام العراق المستبدين وقد كانت السلطات تمنعه حتى من حق العيش ــ توفى فى ١٦ أزار ١٩٤٥ .

الرازى

كان فى شبيبته يضرب بالعود ويغنى فلما التحى وجهه قال : كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستطرف . وعندما سئل عن أفضل مكان فى بغداد لإقامة بيمارستان عليه التجأ إلى طريقه علمية : علق قطعة لحم فى كل ناحية من نواحى بغداد . وأعلن أن أصلح مقام فيه هو الذى يتأخر فيه فساد قطعة اللحم من النواحى . وقد أقبل الرازى على دراسة كتب الطب والفلسفة فقرأها مستوعبا دقائقها . غادر الرى إلى بخارى يرتاد مناهل العلم ، ثم قصد خراسان وتعلم على ابن سينا والفارابى ووقف على تصانيفهما . وعبر إلى خوارزم حيث وقعت بينه وبين المعتزلة مناظرات فتعمق فى علم الكلام والمناظرة والجدل . وعندما خرج من خوارزم كان قد اعتزم الاتجاه إلى التصوف وفى الرى صافى الله فصوفى . ثم عاوده الحنين إلى الهجرة والشوق إلى التجوال والترحال فقصد إلى خراسان واتصل بالسلطان علاء الدين سلطان خوارزم. وابتسمت له الدنيا وتفتحت أبواب الثراء والشهرة. وقد ألف كتبا كثيرة فى علوم الفلسفة وله كتاب فى الهندسة . وكتاب الجامع فى الطب وهو طرفه من طرائف الفن وله شعر حيث كانت عاطفته تتحرك مع الأحداث . وله عقلية رياضية فذة ولم يأخذ الرازى بالتقليد ولكنه نقد آراء الأطباء قبله وله فى هذا بحث (شكوك الرازى على كلام جالينوس) وكتابه « الحاوى فى الطب » فى ثلاثين مجلدا . وهو أول من طبق علم الكيمياء فى علم الطب حتى أنه ينسب شفاء المريض إلى تفاعل كيمائى فى جسمه ويجعل مزاج الجسم تابعا لأخلاق النفس . وقد عرفت أوربا فى عصر النهضة للرازى فضله فترجمت كتبه إلى اللاتينية وظلت جامعات الطب فيها تعتمد عليها زمنا طويلا . وكانت كتبه مع كتب ابن سينا أساساً للتدريس فى الجامعات إلى القرن التاسع عشر . وتوفى فى هراة ٩٢٣ م .

الزبيدى

أول شاعر فى العربية قال شعرا فى وفاة زوجته الحبيبة التى فقدها فعصفت به المحنة فاعتزل الناس تسع سنوات كاملة . وهو الفقيه صاحب السفر اللغوى « تاج العروس » والمؤلفات المتعددة فى الفقه والحديث والتصوف والأدب .

وصف بأنه ربعة فى الرجال . نحيف البدن . ذهبى اللون متناسق الأعضاء برع فى علوم اللغة العربية والتركية والفارسية .

ولد فى زبيد من بلاد اليمن : ونزل الطائف وقرأ الفقه على علمائها : وقدم إلى القاهرة : وسكن بحى خان الصاغة بالقرب من الأزهر وحضر على علماء العصر . وشهد له كل من عرفه بالذكاء والحفظ والعلم وأقام بالقاهرة ثمانية وثلاثين عاما لم يبرحها إلا مرتحلا إلى الصعيد . وقد سجل رحلاته فى مصنفات حوت مدائح شعرية ومحاورات ولطائف . وزار الوجه البحرى . وكاتبه ملوك تركيا والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق والسودان ورفض زيارة السلطان عبد الحميد . وقد استغرق شرح القاموس عدة سنوات ففرغ منه فى نحو أربعة عشر عاما . وسماه تاج العروس . وعند الفراغ منه أولم فى سخاء نادر لطلاب العلم وعلماء العصر بغيط المعدية عام ١١٨١ وأطلعهم عليه . وحضره عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ الكبير ، ومنحه محمد أبو الذهب والى مصر مائة ألف درهم . واشترى منه تاج العروس حيث أودعه فى جامعه القريب من الأزهر . وشرح كتاب إحياء علوم الدين . ونشرت شروحه فى تركيا والشام وبلاد المغرب . وضرب بسهم وافر فى كل أبحاث الفقه والسيرة والعبادات والتصوف والتاريخ وقد حرر الأراجيز والمقامات ونظم الشعر وكتب تاريخ ملوك بنى أيوب . وكانت له جلسات مشهورة فى جامع شيخون بالصليبية ومات عام ١٢٠٥ .

سيد أمير على

« إذا كنا نريد أن نرتفع فى سلم المدينة والارتقاء وأردنا أن يحترمنا الناس فلا بد لنا من تربية بناتنا حتى يصلن إلى أن يكن « أمهات رجال » هده عبارات مفكر اسلامى مثالى عاش حياته كلها فى الدفاع عن المثل العليا ، أنه واحد من الأعلام الذين أخرجتهم الهند الاسلامية فتركوا فى الأدب العالمى أثرا لا يمحى ويكفى أن يكتب «سيد أمير على» كتبه الثلاثة الخالدة: محمد وتعاليمه ، مختصر تاريخ العرب ، روح الاسلام » عن العرب والاسلام باللغة الانجليزية لتكون خير سفارة عن أمجادنا ، فكان بذلك أول مسلم استطاع أن يخرج للغرب صورة صادقة عن هذه المبادىء . سواء أكان ذلك صادراً عن التعصب أو الجهل حتى جاء سيد أمير على وإقبال وأبو الكلام ازاد فادوا هذه الرسالة فى الدفاع عن كياننا وتاريخنا . وقد أسس سيد أمير على الجمعية الوطنية الاسلامية عام ١٨٧٨ للدفاع عن حقوق المسلمين فى الهند . واتصل بادباء الانجليز فى الهند ، ودرس الأداب الانجليزية دراسه عميقة وكتب بالانجليزية بأسلوب ممتاز كتبه الاسلامية التى تفيض حماسة وغيرة على الاسلام . كان قلمه سلاحا بتاراً يشهره فى وجه كل من يحاول أن ينال من الاسلام أو العرب ، وداعية صادقا فى انهاض المسلمين ودعوتهم إلى اليقظة لادراك حقوقهم

وقد دعا إلى إصلاح الأوقاف والمرأة وتعليمها . وكان إلى ذلك كله خطيبا بارعا وكاتبا بليغا ، استطاع أن يصل بكتاباته عن الاسلام ومحمد إلى عقول الأوربيين وفى جميع الأحداث التى ألمت بالاسلام والمسلمين كان صوت أمير على يرتفع فى بريطانيا وأوربا ولا ينسى نداءه المشهور الذى وجهه أيام الحرب الريفية إلى فرنسا وهو سليل أسرة عربية تنتمى إلى آل البيت . نال شهادة العالمية من كلية عليكره الاسلامية وذهب إلى لندن حيث درس القانون ونال إجازته عام ١٨٧٣ واشتغل بالمحاماه وأصبح يعد كبير قضاة كلكتا . وقد توفى فى ٤ أغسطس ١٩٢٨.

ساطع الحصرى

الرجل الذى شغل نفسه بقضية واحدة : هى القومية العربية ، خمسين عاما، طاف خلالها العالم العربى وأوربا سعيا وراء البحث ، وألف ثلاثين كتابا فى الدعوة إلى الوحدة وبيان حقيقتها فى أسلوب علمى ، ورد على كل من عارضها فى خلال هذه الفترة وقال عن نفسه «أنا عربى صميم أدين بدين العروبة بكل جوانحى واهتم بمصر قدر اهتمامى بسوريا والعراق . ولد عام ١٨٨٠ فى صنعاء باليمن ، وكان والده قاضى القضاة الشرعيين ، تنقل فى عدة ولايات منها أطنه وأنقرة وطرابلس الغرب وقونية ودخل المدرسة الملكية فى استانبول وبدأ حياته العامة عام ١٩٠٠ فى بلاد البلقان ثم انتقل إلى استانبول بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وبقى هناك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وفى خلال ذلك سافر إلى أوربا وزار أغلب عواصمها وقال أن تعدد هذه الزيارات ساعده على تفهم معنى القوميات على حقيقتها . كما أطلعه على الكثير من أساليب السيطرة المقنعة التى كانت تتوسل بها الدول الاستعمارية . وقد عمل بدار المعلمين باستانبول ودرس العلوم الاجتماعيه والتربية . ثم غادر تركيا للالتحاق بالحركة العربية فى سوريا وساهم فى تأسيس أول دولة عربية كوزير للمعارف فى الوزارة التى تألفت بعد إعلان الاستقلال حتى خرج مع فيصل عند دخول الفرنسيين وذهب معه إلى العراق حيث عمل مديرا للمعارف والآثار . وقد أسس نظم المعارف بالعراق على ضوء نظرته للقومية العربية . ولكنه اضطر للخروج من العراق عام ١٩٤١ بعد قضاء عشرين عاما بها مع نزع جنسيته العراقية وذلك عقب هزيمة ثورة رشيد عالى الكيلانى واحتلال الانجليز لبغداد وفى عام ١٩٤٤ بعد خروج الفرنسيين من سوريا عمل بها مستشاراً لوزارة المعارف ووضع القوانين الجديدة للثقافة وقدم إلى القاهرة عام ١٩٤٧ حيث عمل مستشاراً للثقافة فى الجامعة العربية وأسس معهد الدراسات العربية العالية ولقبه فى الكتابة أحيانا «أبو خلدون» وله عشرات المؤلفات أهمها « العروبة أولا » ويوم ميسلون .

سليمان البستاني

أعظم عمل أدبى قام به هو ترجمة « الياذة هوميروس » وقد أنفق فى نقلها فترة كبيرة من حياته وقد ظل الأدباء العرب يتحامونها وقتا طويلا لتصورها للمسلمين بصورة لاترضيهم . وتقع فى ١٢٦٠ صفحة كبيرة . وقد كتب تاريخ الالياذة وطرق النقل عن الغرب . وضروب الشعر العربى ومقابلة العربية باليونانية . قال « كانت الالياذة رفيقى · أختلس الأوقات خلسة ، فلا تفرغ اليد من عمل إلا عدت إليها عملت فيها على رءوس الجبال ومتون البواخر : وقطارات السكك الحديدية فهى بهذا وليده أقطار العالم » وكان سليمان البستانى قد طرف طويلا . وزار العراق وتركيا وأوربا وسافر إلى الولايات المتحدة ولم يبق بها أياما حتى وافته منيته . عرف ست لغات أجنبية حديثه وأربعا من اللغات القديمة بينها الأغريقية التى درسها لترجمة الالياذة . وله اطلاع واسع باللغة العربية ومعرفة أدابها وتاريخها . وقد اشتغل بالصحافة فى شبابه مع عمه بطرس البستانى ونجله سليم البستانى . الذى أخذ على عاتقه اتمام دائرة معارف والده وان لم يتمكن من ذلك . وقد اتصل ببعض أدباء اليونان عشاق هوميروس فكان يشاورهم فيما التبس أوأغلق عليه ولد فى بكشتين من قرى لبنان وتعلم فى بيروت وانتقل إلى البصرة وبغداد فأقام ثمانى سنوات · وقد أنتخب نائبا فى مجلس النواب العثمانى . وله عدد من المؤلفات منها تاريخ العرب فى أربع مجلدات والدولة العثمانية قبل الدستور وبعده والاختزال العربى وأسندت إليه زمنا وزارة التجارة والزراعة ثم استقال عام١٩١٨ وقصدأوربا فأقام فى سويسرة مدة الحرب وقدم مصر بعد انتهائها عاش بين عام ١٨٥٦ — ١٩٢٥ وهو من عائلة البستانى التى أظهرت عدداً من الأعلام منهم سليم وبطرس وعبد الله ووديع ولكل منهم أثره البعيد فى نهضة اللغة العربية وتأليف دائرة المعارف وقواميس محيط المحيط ·

الشافعى

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبى ، أى رجل كان الشافعى . قال : كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للبدن . وفى تذكره الحافظ : كان الشافعى من أحذق قريش بالرمى . وكان يصيب من العشرة عشره . وكان قد برع فى ذلك . وفى الشعر واللغة وأيام العرب ثم أقبل على الفقه والحديث وجود القرآن على إسماعيل بن قسطنطين مقرىء مكة وكان يختمه فى رمضان ستين مرة . ثم حفظ الموطأ . وعرضه على مالك . ولد فى غزة « فلسطين » ثم حمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ، ودخل إلى المدينة ثم سافر إلى اليمن . ثم حمل إلى بغداد أسيراً فى تهمة . ثم عاد إلى مكة . وقصد مرة أخرى إلى بغداد ثم إلى مصر حيث أقام بها بقيه حياته . وأتاحت له هذه الرحلة فرصة واسعة لدراسة طبائع الناس وأخلاقهم ومعرفة مصالحم واتجاهاتهم وفهم الحياة ومشا كلها وقضاياها . كان يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فيسألونه . فإذا طلعت الشمس قاموا . وجاء أهل الحديث يسألونه . فإذا ارتفعت الشمس قاموا . ثم تستوى الحلقة للمناظرة والمذاكرة . فإذا ارتفع النهار تفرقوا . وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يأتى المساء . والشافعى جالس فى حلقته لا يضيق بالعلم ولا بالناس وقيل أنه لما دخل بغداد وجد فى الجامع ما يقرب من خمسين حلقة . يقول لهم قال الله وقال الرسول وهم يقولون : قال أصحابنا . حتى ما بقى فى المسجد حلقة غير حلقته . وصف بأنه حسن الوجه والخلق فحبب إلى أهل مصر من الفقهاء والنبلاء والأعيان وقالوا إنه كان يقتصد فى لباسه ولم تعرف له صغيرة . وقال عنه ابن حجر إنه رجل قرشى العقل والفهم صافى الذهن سريع الإصابة . كما عرف بالعطاء والسخاء . وقد أملى خلال إقامته فى مصر وهى أربع سنوات — ألفا وخمسين ورقة وأخرج كتاب « الأم » فى الفى ورقةوقد حبب إليه الجهاد حتى قيل إنه لما قدم مصر سافر إلى الاسكندرية ليرابط فى ثغرها توفى ٨٢٠ م ومات فقيرا ولم يترك شيئا يذكر .

الشريف الأدريسى

علم من أعلام الفكر العربى الإسلامى تجاهلته المصادر العربية طويلا . بينما عنى به الغربيون . ونشروا ذكره وأشادوا بعمليه الكبيرين : خريطة الدنيا . وكتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » وهو واحد من الجوابين الذين طوفوا فى الأرض وذهبوا إلى أقصى مدى يمكن الذهاب إليه . ولد « أبو عبد الله محمد بن عبد الله الادريسى » فى ثغر سبتة من بيت مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب . وأحاط بالعلوم والفنون . ثم لم يلبث أن أزمع رحلة طويلة بدأها وهو فى سن السادسة عشرة حيث تجول فى بلاد شمال أفريقيا ميمماً مدنه وقراه ثم عبر إلى الأندلس وزار بعض مدنها . وقد وجد مكانه الحق عند ما قام بعمله الضخم الخطير حين اتصل بروجار الثانى ملك صقلية عام ٥٣٣ م حيث أخذ يعمل فى صمت ومثابرة خمسة عشر عاما حتى أتم مشروعه الخطير الذى لا زال حتى اليوم موضع تقدير الباحثين والعلماء . وقد حاط روجار الأول والى صقلية الشريف الادريسى بتقدير بالغ ورتب له كفاية لا تكون إلا للملوك . وطلب إليه تأليف كتاب فى وصف مملكته الواسعة مع بقية الممالك متجنباً المزاعم والخرافات والأوهام

وقام الادريسى بعمل ما أسماه « لوح الترسيم » وهو تصميم جغرافى للكرة الأرضية ومشروع خريطة للعالم . ورسم الشريف الادريسى خريطة جامعة على صفيحة لتكون بمنجاة من التلف . وقد أمر الملك أن تفرغ له دائرة من الفضة الخالصة عظيمة الجرم ضخمة الجسم فى وزن اربعمائة رطل بالرومى فى كل رطل منها مائة درهم واثنا عشر درهما فلما كملت أمر الفعلة أن ينقشوا فيها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وريفها وخلجانها وبحارها . وكانت هذه الخريطة الجامعة هى التصميم العام لكتاب« نزهة المشتاق » وقد منح روجار الشريف ثلاثمائة وخمسين ألف درهم من الفضة ومركبا مشحونا بأنواع الأحلاب الرومية جائزة على عمله العظيم توفى ١١٦٥ م .

الدكتور صروف

إذا ذكر الدكتور يعقوب صروف ذكر ذلك العمل الضخم الذى لا ينسى فى تاريخ الفكر العربى الحديث وهو إصدار المقتطف والقيامة عليه خمسين عاما أصدر خلالها ٥٠ ألف صفحة وقد عاش صروف ٧٥ عاما (١٨٥٢ — ١٩٢٧) قضى منها نحو خمسين عاما فى خدمة العلم. ولد بلبنان ودخل المدرسة الكلية السورية فى بيروت ونال شهادتها ١٨٧٠ واشتغل بالتدريس وانتقل بين طرابلس وبيروت . ثم أنشأ مع زميله ورفيقه مدى حياته الدكتور فارس نمر « المقتطف » ١٨٨٦ ثم نقلاه إلى مصر ١٨٨٥ وبقى صروف زمنا يكتب المقتطف بنفسه ولا يستخدم فيه محرراً . وقد اصطبغ خلال تلك الفترة بالصبغة العلمية . حيث كان يكتب عن الزراعة والتجارة والعلم والحديث . ولم يمنعه هذا من كتابه بعض الأبحاث التاريخية عن المقارنة بين المعرى وملتون . وبين صلاح الدين وقلب الأسد .

وكان صروف فيلسوفا تشبعت روحه بنظرية التطور والتحليل النفسى وكان يقول بالتدرج ويكره فلاسفة الطوبى أمثال نيتشة وولز وشو ويعدهم خياليين . ويؤمن بفلسفة النجاح ، وقد تأثر بهذه الفلسفة لاختلاطه بالامريكيين .

وقد دأب على بسط نظرية التطور نحوا من أربعين سنة يشرحها ويضرب عليها الأمثال وقد أفسح فيها المجال لشبلى شميل وسلامه موسى وإسماعيل مظهر . وله تحقيقات لغوية بعيدة المدى منها ما ذكره من أن لفظة « نحو » بمعنى قواعد ترجع إلى مدينة « نحو » فى القليوبية بمصر ، وإن يوحنا النحوى هو يوحنا (النخوى) كما شغل نفسه بالبحث عن الأرواح وقراءة كل ما يتصل بالحياة الأخرى . وقد عرف بمتانة الخلق وصلابة الرأى . كان يستيقظ فى الساعة الخامسة ويظل مكبا على العمل حتى المساء دون كل أو ملل . ولقد فتح المقتطف آفاقا للثقافة العلمية فى الوطن العربى كله وقد توفى الدكتور صرف فى ١٩٢٧ .

طاووس

انطلق أعوان هشام بن عبد الملك يبحثون عن تابعى يقدمون به عليه ، ولم يطل بهم الطواف حتى بصروا بطاووس جالسا فى المسجد يحدث الناس والناس من حوله يتدافعون بالمناكب لمشاهدته وسماعه . وكان كثير منهم يرغب فى أن يتمتع برؤيته قبل عودته لبلاده لما يسمع من فضله وعمله وورعه . إنه طاووس ابن كيسان الخولانى (٧٢٤) من أكابر التابعين تفقها فى الدين ورواية للحديث وتقشفا فى العيش وجرأة فى وعظ الخلفاء والملوك . فارسى الأصل . يمنى المولد . قال ابن عينية : متجنبو السلطان ثلاثه : أبو ذر ، وطاووس ، والثورى . وقد عرف عنه أنه صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة . رفض الصرة التى أرسلها إليه من صنعاء محمد بن يوسف الثقفى فطرحها رسول الأمير فى كوة بالبيت وخرج ، فلما كان بعد حين بلغ الأمير أنه ينكر عليه شيئا من أفعاله فأرسل إليه يطلب المال الذى أعطاه . فقال للرسول : أين جعلته . قال فى هذه الكوة . فقال خذه ، فمد يده فإذا هو بالصرة وقد نسج عليها العنكبوت فأخذها وذهب . ومما روى أنه دخل على هشام مرفوع الرأس موفور الكرامة وقال السلام عليك يا هشام : قال له هشام ؛ ما الذى حملك على ما فعلت : قال ما هو . قال خلعت نعليك بحاشية بساطى ، ولم تقبل يدى ولم تسلم على بأمرة المؤمنين . ولم تكننى . وجلست بازائى بغير إذنى . وقلت لى كيف أنت يا هشام ! قال انى أخلع نعلاى بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب على .. فاطرق هشام وقال عظنى : قال سمعت عليا يقول : إن فى جهنم حيات كالتلال ، وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته ومما روى عنه قوله : إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء فلا تتكلفوها .

الطبرى

« كان أبو جعفر ظريفا فى ظاهره ، نظيفا فى باطنة ، حسن العشرة لجالسه ، متفقدا لأحوال أصحابه . مهذبا فى جميع أحواله ، جميل الأدب فى مأ كله وملبسه وما يخصه من أحوال نفسه. منبسطا مع اخوانه حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة ، وكان إذا أهدى إليه مهد هدية مما يمكن المكافأة عليها قبلها وكافأه . وإلا ردها واعتذر إلى مهديها » ذلك هو ابن جرير الطبرى المحدث المؤرخ ، المنسوب إلى طبرستان حيث ولد ، والذى طوف بالعالم العربى الاسلامى فقصد إلى بغداد مثابة العلم وأقام بها حينا من الزمن يكتب عن شيوخها ، ثم انحدر إلى البصرة فسمع من بقى من شيوخها فى وقته ، وصار إلى الكوفة ليستوفى سماع الأحاديث من علمائها ثم عاد إلى مدينة السلام ، ثم لم يلبث أن خرج إلى مصر ماراً بأجناد الشام والسواحل والثغور ثم صار إلى الفسطاط عام ٢٥٣ هـ وفيها لقى الشيوخ وأهل العلم بها فواصل دراسة القرآن والفقه والحديث واللغة والنحو والشعر . واستوعب المعرفة والعلوم فى عصره وقد وصف بأنه أسمر إلى الأدمة ، أعين ، نحيف الجسم ، مديد القامة من أغزر المؤلفين انتاجا يقف فى صف الجاحظ وابن حزم . وقد عرف بالثقة بنفسه وعلو الهمة ، وسعة المعرفة ، وغزارة العلم ، والعزوف عن الدنيا والزهد والتقشف ، حيث كان له مال من ضيعة ورثها عن أبيه ، ورفض عطاء محمد بن عبيد الله الوزير وكان عشرة آلاف درهم . مهد الطريق للمؤرخين والمفسرين ، وأسلوبه يجمع بين السهولة والجزالة . وقد رصع كتبه بالشعر والأدب . وله مذهب الجريرية فى الفقه . وقد أقدم على تفسير القرآن فى ثلاثة آلاف ورقة . وقد أوحى إليه كتابة تاريخ العالم . عاش بين (٨٣٩ — ٩٢٣) ولد فى آمل (طبرستان) وتوفى فى بغداد . اشهر كتبه تاريخ الأمم والملوك . وجامع البيان فى تفسير القرآن .

عبد العزيز فهمى

أبرز ما عرف به عبد العزيز فهمى هو جرأته وقوة عارضته فقد خاصم سعد زغلول فى أوج مجده وسلطانه . وهاجم دستور ١٩٢٣ وهو أحد صانعيه . وهاجم السياسة كلها . وقد كان ثالث ثلاثة قابلوا المندوب البريطانى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ طالبين السفر إلى أوربا للسعى فى استقلال مصر ، وكان زميلاه هما : زغلول وشعراوى وقد كان رئيساً لمحكمة النقض ووزيراً للحقانية . فلما انصرف عن السياسة أثار الدنيا فى ميدان الفكر والاجتماع كثورته فى السياسة ولفت إليه الأنظار ، وظلت أفكاره وآراؤه حديث الناس حين طالب بالكتابة بالحروف اللاتينية . وحين طالب بإلغاء تعدد الزوجات . وحين حمل لواء المعارضة للامتيازات الأجنبية ، وحين وقف فى جمع حاشد فى عيد القضاء وطالب بإلغاء المحاكم المختلطة وقد عرف بقدرته الفائقة فى الترجمة إلى اللغة العربية ، وقد ترجم فى أواخر أيامه مدونه جوستنيان فى الفقه الرومانى فى عبارة دقيقة رصينة كما قرض الشعر فى أواخر أيامه وأحب العزلة . وكان بارع الأسلوب حلو الدعابة عميق الفهم للأدب والفقه والقانون . عاش إلى سن الثمانين ولكنه ظل إلى آخر أيامه يقظ العقل ، قوى البديهة . يضعه المفكرون فى صف لطفى السيد ويرونه أستاذهم . وقد قال طه حسين : أنه فى إبان محنته فى أزمة الشعر الجاهلى كان هناك رجل واحد لا ثانى له يلم بدارى مرات فى كل أسبوع فيتحدث إلى ثم يطيل الحديث . ثم يقول ما رأيك فى أن نخرج من هذه الدار فنشم الهواء . فإذا أظهرت تردداً . قال أنى قد استأجرت سيارة وهى تنتظرنا ثم يخرج وأخرج معه فنطوف ما شاء الله أن نطوف فإذا عاد قال لى : دع عنك الشعر الجاهلى ! ووصفه معاصروه بأنه كان ذا كبرياء وفيه تواضع وكلاهما يصدر من أصل واحد. ومما روى عن قوة عارضته أنه قاوم اتجاه المستشار القضائى « برونيات » فى عهد الحماية حين أراد وضع مشروع تحل به محل الدول الأجنبية فى امتيازاتها دولة أجنبية واحدة هى بريطانيا فطوى الرجل مشروعه . توفى فى ٢٦ فبراير ١٩٥١ .

عبد القادر المغربى

« عند ما اتصلت بالسيد الأفغانى وأنعمت النظر فى دراسة تعاليمه انتقلت فى حياتى الفكرية طوراً جديداً . وهو أن نفهم النص الدينى فهما صحيحاً . مراعى فيه قوانين اللغة ، ونستوثق من مطابقة النص للكتاب والسنة ثم نجرأ على التصريح بما فهمنا من النص سواء أوافق رأى غيرنا أم لا » .

هذا هو اتجاه عبد القادر المغربى العالم الأديب الشامى الذى ولد فى اللاذقية عام ١٨٦٧ محافظاً أشد المحافظة ، ثم اتصل بالسيد حسين الجسر عالم الشام العظيم قبل نهاية القرن التاسع عشر وكان ذا نزعة إصلاحية فكان من ألمع تلاميذه وكان زميله ورصيفه رشيد رضا ثم تأثر المغربى بجريدة العروة الوثقى وما جاء فيها من مبادىء وتعاليم . ولكنه لم يلبث أن اتصل بالشيخ الأفغانى نفسه حيث سافر عام ١٨٩٢ إلى القسطنطينية وظل فى جواره سنة كاملة أفاد منها فوائد جليلة وعاد إلى طرابلس عاكفاً على دراسة آثار الشيخ محمد عبده ومضى يدعو إلى الإصلاح الدينى والإجتماعى والسياسى ثم قدم القاهرة وانضم إلى ركب محمد عبده زمناً ثم انصرف إلى الصحافة فكتب فى المنار والظاهر والمؤيد مقالات كان لها دوى وأثر وقد أعلن المغربى هجومه على السلطان عبد الحميد وعهده وقال فيه شعراً جريئاً حاراً وقد كان من أثر هذا اعتقاله عام ١٩٠٤ وقد استطاع بعد ذلك أن يفلت من أيدى ظالميه مهاجراً إلى القاهرة وظل يحرر بالمؤيد إلى أن أعلن الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ حيث عاد إلى سورية وأنشأ فى طرابلس جريدة البرهان مضى فيها على طريقه ودعا إلى دعوته وقد أوقفها فى أوائل الحرب العالمية الأولى ثم اشترك فى إنشاء الكلية الصلاحية فى القدس ثم حرر جريدة الشرق عام ١٩١٦ فى دمشق ثم ترك الصحافة أواخر عام ١٩١٨ وعكف على الدراسات الإسلامية وتفسير القرآن ثم رأس المجمع العلمى العربى بدمشق واشترك فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة واختير عضوا فى المجمع العلمى العراقى ببغداد فأمد المجامع الثلاثة بأبحاثه . وقد عرف بطول باعه فى علوم اللغة العربية وأسرارها . عاش تسعة وثمانين عاما وتوفى ٧ يونية ١٩٥٦

عبد الله فكرى

صديق محمود سامى البارودى ، وصاحب جمال الدين الأفغانى وتلميذه ، وزميل على مبارك فى المعارف . ورفيق على الليثى وعلى فهمى رفاعه وحسين المرصفى وعثمان ممدوح وصف بأنه حامل لواء النثر . ورثاه البارودى صديقه وموضع سره وقيل أنه أمين على غيب الصديق . اشتهر برسائله الإخوانية التى بعث بها إلى عديد من أصدقائه . تلقى العلم فى الأزهر فألم باللغة والفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق وتعلم اللغة التركية . عين مترجماً فى الحكومة يترجم من التركية إلى العربية ، وقد ظل يرقى حتى وصل إلى منصب وكيل لنظارة المعارف ، فناظراً لها عام ١٨٨١ .

طوف بالعالم العربى حيث زار مكة وأدّى فريضة الحج . والتقى عدداً من علماء مكة والمدينة ، كما ذهب إلى بيت المقدس فبيروت فدمشق وزار آثار بعلبك . ثم قصد أوربا حيث رأس الوفد العلمى المصرى فى مؤتمر استوكهلم ومر بالنمسا وفينسيا وميلانو ولوسرن وباريس ولندن وبرلين وفيينا ونوتردام ولاهاى وليدن . وقد زار بها المطابع والمكاتب والصحف ، ودون رحلته فى كتاب « إرشاد الألبا إلى محاسن أوربا » .

كان شاعراً مطبوعا ، وكاتباً فصيحاً ، يميل إلى السجع وله كتاب « المقامة الفكرية فى المملكة الباطنية » و « الفوائد الفكرية » . ولقد لقى عناء فى سبيل تعليم الناس أن الأرض كروية لا مسطحة ، وأن السماء فضاء ولم ينجح حتى ساق الأدلة على ذلك من قول فخر الدين الرازى والغزالى والشهاب الخفاجى .

هو عبد الله بن محمد بليغ بن عبد الله بن محمد ، ولد بمكة ، أمه من جزيرة المورة ، والده مهندس فى الجيش وقد اشترك فى الثورة العرابية وسجن ثم برىء (١٨٣٤ — ١٨٩٠) .

عبد القادر حمزة

عرفه الناس صحفيا ولكنه يقف فى صف الأدباء والمترجمين والمؤرخين بآثاره الفكرية التى خلدت اسمه وقلمه وفى مقدمتها كتابه الممتاز « على هامش التاريخ المصرى القديم » وقد عمل عبد القادر حمزة فى صحيفة « الجريدة » مع لطفى السيد السيد عام ١٩٠٧ وترجم طائفة من القصص فى شبابه وعارض مشروع ملنر ثم أصدر صحف المحروسة والأفكار والرشيد والبلاغ وترجم كتاب التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر الذى ألفه ويلفريد بلنت وكتاب السيف والنار فى السودان الذى ألفه سلاطين باشا . وقد وصف بأنه كان يحترم أصحاب المبادىء ولو كانوا من خصومه الألداء .

عرف بالأسلوب الهادىء العميق ، اختاره سعد زغلول ليعمل معه بعد أن اختلف مع أمين الرافعى عام ١٩٢١ فانشأ البلاغ عام ١٩٢٢ وسجل له مؤرخوه أنه كان يؤمن بالصراع القائم على أساس من البراهين والأسانيد وأنه اتخذ هذا الأسلوب فى خضم السجال الحزبى ولم يتخل عنه مرة واحدة ، وعرفت مقالاته باسم « العصا » لأنها كانت غالبا فى مساحتها تملأ عاموداً وربع عمود .

وقيل أنه كان لا يكتب فى موضوع حتى يجمع الحجج الدامغة والأسانيد المفحمة ويسدد الضربة فى الصميم ولم ينس فى خلال خصومته عفة قلمه ولسانه فى الخصومة. وهو فى كتابته دائما ينقل حماسته للفكرة وإيمانه بها إلى أسلوب من أساليب العقل والحجة والمنطق ولا يدع العاطفة تدفعه مجرده .

وقد عالج المحاماة فى مقتبل عمره ثم دفعته الظروف بمعونة ميله الفطرى إلى الصحافة فبرز فيها تبريزا دل على أنه من أصحاب الملكات القادرة على النجاح فى هذا المضمار . توفى فى ٦ يونيه ١٩٤١ .

عبد المحسن الكاظمى

قالوا : رأيناه يحضر الحفل العام أو المجلس الخاص وتطرؤ مناسبة يدعى لأن ينشد فيها شعرا فما هو إلا أن يطرق اطراقة تسكن أطرافه فيها لحظة ثم يأخذ فى الانشاد فلا تلمح أثر الارتجال فى تلك القصائد الطوال المجودة ولا تلمح أثراً للتكلف والجهد فى ذلك الشاعر العربى الذى يفيض شعره عن بديهه وارتجال وكأنه الهام » ذلك هو الشاعر العربى العراقى عبد المحسن الكاظمى ، من طلائع شعراء الحرية ودعاتها فى أرض العرب ، والذى هاجر من وطنه فى سبيل الحرية فعاش حياته غريبا فقيرا عزوفا عن التكسب بالشعر أو الهوان بالعطاء . اتصل بالسيد جمال الدين الأفغانى عندما نفى من إيران فأقام معه قليلا فكان لهذا الاتصال أثره فى أن جعل من الشاب الوديع ربيب النعمة بطلا من أبطال الحرية يتغنى بأناشيدها ويرفع لواءها . ولقد نال الكاظمى ما نال دعاة الحرية من كيد وأذى وحاق به الخطر من كل جانب فهاجر من وطنه عام ١٨٩٧ إلى إيران فالهند وانتهى به المطاف إلى مصر ١٨٩٩ فبقى بها حتى توفى . أول ما ألف قصيدة غزلية عدد أبياتها ٥٥ بيتا « أيها الرامى وما أجرى دما» وعندما قدم مصر كان يتجه إلى أوربا ولكنه بقى بها وأقام وقد لقى الحفاوة والتقدير من أهل الفكر والأدب وكان أول ما نظم فى مصر مصوراً حيرته ومشاعره .

إلى كم تجيل الطرف والدار بلقع أما شفات عينيك بالجزع أدمع

أأنت معيرى عبرة كلما ونت يحفزها برح الغرام فتسرع

وقد وصف شعر الكاظمى بأنه من الطراز الأول فى روعة أسلوبه وفى سلطانه على القلوب ، وقد أحب مصر ولم ينس العراق ولد عبد المحسن الكاظمى عام ١٢٨٩ ببغداد فى محلة الدهانة وينتهى نسبه من جهة الأم إلى الإمام موسى الكاظمى جد الشريف الرضى ، درس الفارسية فى أول شبابه توفى يونية ١٩٣٥

٧ عبد اللطيف البغدادى

« أوصيك ألا تأخذ العلوم من الكتب . وإن وثقت بنفسك من قوة الفهم . وينبغى أن تكثر اتهامك لنفسك . ولا تحسن الظن بها . وتعرض خواطرك على العلماء . وعلى تصانيفهم « وتتثبت » ولا تتعجل فمع العجلة العثار . ومع الاستبداد الزلل . ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء ، لم يعرق فى الفضيلة . ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم . وإذا تمكن الرجل من العلم ، وشهر به خطب من كل وجهة وعرضت عليه المناصب . وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه مصون » هذه عصارة من تجارب عبد اللطيف البغدادى الرحالة الجوال الذى طاف بالعالم العربى وزار مصر وأمضى بها زمنا ثم رحل إلى بيت المقدس حيث قابل صلاح الدين . ودرس فى الأزهر حينا . ثم سافر إلى دمشق ، حيث درس هناك علوم الطب وبرز فيها وقال إنها صناعة تحتاج إلى علم وفن .

وقد قرأ البغدادى كتب ابن سينا فى الطب ودرس قانونه المشهور ، وتركت رحلته إلى مصر أثرا كبيرا فى نفسه ، حتى أنه ظل يذكرها فى دروسه وتصانيفه ورسائله زمنا طويلا فقد تحدث عن النيل والأهرام واسماها معجزة الدهر . وقال عن قراقوش أنه رجل عظيم خلد أعمالا باهرة فى مصر وبنى من حجارة الأهرام نحو أربعين قنطرة كانت من العجائب . ووصف عامود السوارى . وزار جامعة الاسكندرية التى بناها الاسكندر .

وقد وصف صلاح الدين فقال إنه بطل يملأ العين روعة والقلب محبة . وقد ولد البغدادى فى بغداد وأقام فى مصر وتعاطى التطبيب فى حلب وقام برحلة إلى كاخ ودبرك فى منغوليا ومن مؤلفاته الإفادة بأرض مصر وشرح فصول إبقراط وعاش بين عامى ١١٦٢ — ١٢٣١ .

عمر بن الفارض

ولو خطرت لى فى سـواك ارادة
على خاطرى سهـواً قضيت بردتى
لك الحـكم فى أمرىء فما شئت فاصنع
فلم تك إلا فيـك لا عنـك رغبتى

كان ينزع إلى العزلة فيخرج إلى واد قريب من جبل المقطم فيقضى هناك وقتا وقد أقام بالحجاز خمسة عشر عاماً . أكثر الخلوة والسـياحة فى أودية مكة . وفى مهبط الوحى . وقد أحب الله أصدق الحب ولـكنه لم يهجر الحياة .

وقد تزوج وأنجب ووصف بالاحساس المرهف والنفس الشاعرية . كما عرف بالتجرد وجمع الهمة والعبادة ورياضة النفس ومحبة الله وأخذ نفس الطريق الذى سار فيه سعدى وجلال الدين الرومى وابن العطار ؛ طريق الحب الإلهى وشعره بسيط نقى بعيد عن التـكلف

وهو مصرى المولد . اشـتغل أبوه بالقضاء . وعمل هو نائبا عن الخليفة فى القاهرة ثم اعتذر عن قبول منصب قاضى القضاة . وقد اتصل منذ شبابه الباكر بالعلماء . وأخذ عن ابن عساكر والحافظ المنذرى وقبل كانت له صلة بالشيخ محي الدين بن العربى

وأبرز قصائده التائية الـكبرى فى نظم السلوك . وقد وصف بأنه أشعر المتصوفين ولقب سلطان العاشقين . وهو من حماه أصلا وقد ولد وتوفى فى القاهرة (١١٨١ — ١٢٣٥) م واسمه عمر بن على بن مرشد .

على مصطفى مشرفة

عندما هوجم فى البرلمان فى العهد الماضى قال : أن ما قيل يعتبر مدحا لنا ؟

وإذا أتتــــك مذمتى من ناقص فهى الشهـــادة لى بأنى كامل

فقد لقى من حاسديه متاعب جمة . وذلك لشدته فى الحق وكراهيته للرياء والوساطة . وقد شغل كرسى الأستاذية للرياضة التطبيقية زهاء ربع قرن من الزمان.

عرف بشخصية قوية لا نظير لها . ذكيا المعيا . نادر المثال . ثاقب الفكر. بعيد النظر حازما . إذا اقتنع برأى سار فى تنفيذه إلى آخر الشوط . كان منزله منتدى علميا . وكانت الموسيقى هوايته المفضلة ، وقد عرف بحماسته فى نشر الثقافة العلمية باللغة العربية . وبطمع فى أن يدرس فى كلية العلوم باللغة العربية . وقد كون اللجان فى الكلية لترجمة المصطلحات العلمية . وانشأ قسما للترجمة بالكلية . وله كتابان بضمان نحوا من ٥٠ حديثا فى مختلف فنون العلوم وقد أسس مع نفر من العلماء المجمع المصرى للثقافة العلمية وانتخب رئيسا له . واشترك فى تأسيس الأكاديمية المصرية للعلوم . والمجلس القومى للبحوث . والجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية . وقد اشترك فى أكثر من ثلاثين هيئة ونشر أكثر من ثلاثين بحثا مبتكرا فى نظرية الكم والنسبية والطاقة الذرية . وعين سنة ١٩٣٦ عميداً لكلية العلوم فكان أول عميد مصرى لها . ولد بدمياط فى ١١ يوليو ١٨٩٨ تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ١٩١٧ . حصل على بكالوريوس العلوم فى جامعة لندن ١٩٢٠ . دكتور فى الفلسفه ١٩٢٣ . دكتور فى العلوم ١٩٢٤ . وهو أول مصرى حصل على هذه الدرجة العلمية الرفيعة . وقد عمل مدرسا بمدرسة المعلمين العليا أثر عودته من البعثة . ثم نقل إلى الجامعة سنة ١٩٢٥ بمجرد انشائها . فعين أستاذا مساعدا للرياضة . وتوفى فى ١٦ يناير ١٩٥٠ وقد ناهز الحادية والخمسين من العمر .

الفارابي

قيل أنه أحب أن يصل إلى كمال الوجود الإنساني بالتجلي بصفات الوجود الإلهي . كان مؤثرا للوحدة لا يجالس الناس ، وكان يفضل صفاء النفس على كل صفه . عرف بهدوء الطبع وكثرة التأمل والعكوف على الفلسفة . كان يستضيء بمصابيح الحراس فيما يقرأ . متجنبا عن الدنيا ، مقتنعا فيها بما يقيم أوده . أنه « أبو النصر بن محمد الفارابي » : ولد في مقاطعة فاراب بخراسان ٩٥٠ م كان والده من قادة الجيش . غادر مسقط رأسه إلى بغداد ثم إلى حلب حيث التحق بحاشية الأمير سيف الدولة من بني حمدان . صال في الرياضة والطب والموسيقى وبرع في اللغات . تعلم التركية والفارسية والعربيه واليونانية والسريانية يمتاز أسلوبه بجزالة العبارة . ووضوح المعاني . قال قرأت « السماع الطبيعي » لأرسطو الحكيم أربعين مرة وارى أني محتاج إلى معاودة قراءته . دخل عليه العلماء عند سيف الدولة فأخذ يكلمهم في كل فن حتى سكتوا عن الكلام . وأخذوا يكتبون ما يقول . وكان سيف الدولة من المعجبين به وقصد إلى دمشق فأقام بها مكتفيا براتب قدره أربعين درهما في اليوم ، لقب بالمعلم الثاني ، ووصف بأنه مؤسس الفلسفة . العربية وقد جمع ما ترجم إلى العربية من علوم الفلسفة وهذبه ورتبه . وقيل إن أثره في الفلسفة طغى على أثره في الموسيقى وقيل أنه بذ جميع الفلاسفة في صنعة المنطق وأربى عليهم في التحقيق . وقد صنع الفارابي آلات الطرب ووضع قواعد التوقيع . وروى ابن أبي صبيعة أنه صنع آلة إذا وقع عليها أحدثت انفعالا في النفس فيضحك السامع ويبكيه ويستخفه ويستفزه وقال بعضهم إنها شبيهة بالقانون المعروف لعهدنا هذا . وشرح تموج الهواء في رنات الأوتار . وقيل تأثر في كتابه « المدينة الفاضلة » بما كتبه أفلاطون في جمهوريته وكان يحلم بتنظيم المجتمع الإنساني وحاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية والعقائد الإسلامية ولد عام ٧٧٣ وتوفى عام ٩٥٠ .

فرح أنطون

الكاتب الذى جدد الفكر العربى ودفعه فى جرأة ؛ شهد نهاية القرن التاسع عشر والعشرينيات من القرن العشرين . ولد فى مدينة طرابلس وتعلم فى « دير كفتين » وتتلمذ على جبر ضومط وأنطون شحيبر . مارس التعليم . وتضلع فى الفرنسية . وأحب الأدب وشغف بالمطالعة وهاجر إلى مصر معقل الفكر العربى الحر عام ١٨٩٧ فأنشأ « الجامعة » ثالثة المقتطف والهلال وسافر إلى أمريكا وعاد فكتب المسرحية وعاش حتى ٣ يوليو ١٩٢٢ عرف العربية بروسو وابن رشد وعمر الخيام ونيتشة وغوركى وترجم لهم ونظر فى تعاليم كارل ماركس . وأذاع شريعة حمورابى . أسلوبه بسيط موجز . لم يهتم بالبلاغة ولا القوالب . عكف على الفكر وهجر السياسة . ترجم الثورة الفرنسية لديماس وبولس وفرجينى وألف صلاح الدين ومملكة أورشليم وزك من الجامعة سبعة مجلدات . وكتب عن ابن رشد وفلسفته وتاريخ المسيح ولم يتزوج لأنه لم يجد وقتا . قال عنه معاصروه إنه طليعة مبكرة من طلائع النهضة . وقال له العقاد سيعرف لك المستقبل عملك ما لم يعرفه الحاضر . فقال ماذا يحفل المستقبل بالحاضر وماذا يبالى السائر للغد عن كان قبله فى مفترق الطرق » وقد رأى فرح فى القصة معلما للناس فدعا إليها وأنشأ منها عدداً وجعلها هادفة إلى الخير وقصته « الحب حتى الموت » مثل لذلك . دعا إلى العثمانية أولا ثم هجرها إلى الفلسفة فأحب مبادىء جول سيمون ثم أحب نيتشة وأحب تولستوى ودعوة قاسم أمين . ولخص فى مجلته أشهر الكتب العالمية وكتب عن أعلام الفكر والثورة الوطنية والعصامية وقد كان كلفا بكل جديد وكل دعوة مستحدثة وكل فكرة ثائرة غربية وقد أكمل اتجاهه ومضى فيه إلى نهايته «سلامة موسى» أحب اتجاه الرومانتيكيين فى قصته « أورشليم الجديدة » وجعل القصة معرضا لآرائه الجديدة وهو فى جملته كاتب اشتراكى محموم على حد تعبير مارون عبود .

كمال الدين يونس

قال ابن خلكان إنه «من كان يدرى فى الحكمة والمنطق والطبيعى والإلهى . وكذلك الطب . ويعرف فنون الرياضة من أقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطى ، وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة وطريق الخطأ بين الموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره ، إلا فى ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخرج من علم الأوفاق طرقا لم يهتد إليها أحد » ذلك هو كمال الدين يونس ، أحد عباقرة علماء العرب ، الذى ولد فى الموصل (١١٥٦) وتفقه على والده فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ثم قصد إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية ، ثم عاد إلى الموصل حيث عكف على الاشتغال بالعلوم الدينية والعقلية . وكان يدرس فى المسجد ، ويرجع إليه الأمراء والملوك فى المسائل العلمية ، وقد استعان به ملوك الأفرنج فى مسائل النجوم ، وقد أرسل إليه الامبراطور فردريك الثانى فقصد إليه فى ثياب رثة ، وما عنده خير من أموال الدنيا . وحل المسألة الهندسية التى طرحها على العلماء وكان هو صاحب الرأى الأصح . وكان متواضعا ذو روح علمى صحيح ، سما العلم بنفسه وصقل روحه ، آمن بأن العلم يزكو بالانفاق ، ولذلك كان يجيب على كل ما يصله من مسائل من بغداد أو غيرها . وقد عنى بتاريخ العرب وأيامهم ، فقد كان يحفظ الشىء الكثير من أشعارهم ووقائعهم بالجملة فإن مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه أنه جمعه وقد سبق كمال « غاليلو » فى معرفة بعض القوانين التى تتعلق بالرقاص . وقال عبد اللطيف البغدادى إنه لما لم يجد فى بغداد من يأخذ من علمه ويملأ عينيه ويحل ما أشكل عليه قصد إلى الموصل (٥٨٥ هـ) حيث لقى فيها كمال الدين يونس فوجده متبحرا فى الرياضيات والفقه عالما . وقال معاصروه إنه يدرى أربعة وعشرين فنا دراية متقنة .

كونفوشيوس

علم المعلم الأكبر للصين تلاميذه أربعة أشياء هى قوام شخصية الإنسان الأعلى « التاريخ » كى يلموا بالأمور العظيمة من أعمال الإنسان . « والشعر » كى يكونوا ذوى خيال . « والموسيقى » كى يتطرق الانسجام والرشاقة إلى نفوسهم و « حسن الطباع » كى يكونوا سادة . وقد صور نفسه فقال إن رسالته هى الوصول إلى الحقيقة . وكانت أمنيته أن يجد الحاكم الذى يستطيع أن ينقد تعاليمه فى أرضه ، وقد التف حوله الشباب وطافوا معه البلاد ، باحثين عن هذا الحاكم ، وقد سنحت له الفرصة لأول مرة وهو فى الثانية والخمسين إذ تألق نجمه بعد أن ظل فترة طويلة مغموراً . ووافق أمير دولة « لو » على أن يتخذه رئيس القضاة فى مدينة شونج تو ثم أصبح وزيراً فاستطاع أن يحقق ما كان يدعو إليه من آراء واختفت الجرائم ، وبدأت المدينة تعيش حياة مثالية ونجح الفيلسوف فى عمله ، واستمع الأمير إلى رأيه ، غير أن الأمراء المجاورون أزعجهم تغلغل نفوذ كونفوشيوس وخافوا أن تمتد موجة حركة « المدينة الفاضلة » إليهم فلجأوا إلى حيلة بارعة ، هى أن بعث أحدهم إلى أمير « لو » ثمانون فتاة جميلة كلهن ماهرات فى الحديث والرقص والعزف على الآلات فانصرف إليهن الأمير ، ولم يعد يهتم بكونفوشيوس ، ولا بآرائه ولم يلبث أن أصم أذنيه عن دعوته . عندئذ غضب الفيلسوف المعلم وآثر أن يترك موطنه مستصحبا تلاميذه مسافراً من دولة إلى دولة وكانت سنه إذ ذاك فى حدود الستين ، ولم يلبث أن تجول فى مناطق كثيرة من الصين خلال أربعة عشر عاما امتلأت بالمآسى والأحزان وعاد بعد أن عدا السبعين إلى وطنه يائسا وقد ألف كتبه الستة فى خلال السنوات الخمسة الأخيرة من حياته وعرفت باسم الروائع الخمس وقد مات كونفوشيوس وهو فى الثالثة والسبعين عام ٤٧٩ ق . م دون أن يجد تقديرا من معاصريه .

الـكندى

« اعتزل الشر فأن الشر للشر خالق ، ومن لم ينبسط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك . اعص الهوى ، وأطع من شئت . لا تطلب الحاجة إلى كذوب فإنه يبعدها وهى قريبة ولا إلى جاهل فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته . لا تنج مما تكره حتى تمتنع عن كثير مما تحب : إنه مذهب أبو سيف الـكندى فى فهم الحياة : الفيلسوف النابغ ، العربى الصميم ، الذى عاش بين البصرة والكوفة وبغداد حيث تبحر فى العلوم كلها وفى فنون الحكمة اليونانية والهندية والفارسية . لم يترك ناحية من نواحى الأبحاث العلمية والفلسفية إلا ألف فيها . اختاره المعتصم مؤدبا لابنه أحمد ، وقد ألف بعض كتبه باسم المعتصم وابنه ، وقد ظل الـكندى مرموق المكانة إلى أن جاءت أيام المتوكل عندئذ وجد خصومه الفرصة للكيد له فانصرف عن دوائر الخلافة واكتفى بعمله الفكرى وحده . وقد اثبت أن الفلسفة ما دامت هى العلم بحقائق الأشياء عن أمور الربوبية والوحدانية والفضيلة فإنها لا يمكن أن تعارض الدين . كما أتيح له أن يعرض الفلسفة اليونانية بصورة واضحة فى أكثر من مائتى وخمسين مصنفا حتى أطلق عليه « معلم العرب » عرف أسلوبه بالوضوح والاشراق إذ رسم فكرة كاملة عن الوجود وتصوراً علميا للكون نقيا من الخلط والتناقض والتكلف . كما ترجم كثيرا من كتب الفلسفة النظرية وعلم النفس والطبيعة إلى اللاتينية ومن مظاهر حياته أن حول عدوه « أبو معشر » إلى صديق له حين وجهه إلى الفلسفة فأعجبته واشتغل بها . وأصبح الرياضى المنطقى والحاسب المشهور كما أنه عالج نفسه بالفلسفة حينما وقع فى أزمته بعد مؤامرات خصومه ، وذلك بتأليف رسالته عن بيان الحيلة للتغلب على الأحزان ، ولطالما حاول المتزمتون الإيقاع به لاشتغاله بالفلسفة . توفى عام ٨٧٣ م .

لسان الدين الخطيب

جادك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

هذه زفرته الحارة التى أرسلها عندما اضطر إلى الحرب مخلفا أرض أندلس الحبيبة على نفسه بعد أن وقع فى قبضة السلطان الجديد لولا أن سلطان المغرب مهد له فى مدينة فاس أرضا صالحة خصبة ذلك أنه كان مقربا إلى أبو الحجاج يوسف فلما خلفه ابنه اختلف معه وأراد التنكيل به وتأزم الوضع فى غرناطة ضد لسان الدين ، وعمل الفقهاء والعلماء من أعدائه ضده ، يرسلون عنه هجر القول ويروجون حوله التهم . وقد قاد الفتنة العمياء ضده تلميذه « ابن زمرك » الذى نشأ وترعرع على يديه ويعود لسان الدين وهو لا يدرى ماذا حدث ، ويجتمع له العلماء يقررون مصيره . وحملت إليه الفتيا وهو فى السجن : لقد أفتوا بقتله وجاءه قوم غلاظ يحملون المشاعل . وكان فى الثالثة والستين من عمره وتقدم منه أحدهم ليخيفه ولكنه كان ثابت الجنان ... فلما قتل أخرجت جثته وأحرقت واتشحت ابنته بالبياض حداداً . إنه لسان الدين أبو عبد الله المشهور بابن الخطيب ؛ أهله من اليمنية الذين وفدوا على الأندلس بعد الفتح . ولد عام ٧١٣ فى مدينة لوشه لقب بالخطيب لأن جده سعيد كان عالما وواعظا وخطيبا. تعلم الكتابة والشعر على يد أستاذه ابن الجياب. تقلد الوزارة وديوان الانشاء للسلطان أبى الحجاج فكان موضع ثقته . كما سفر فى بلاد المغرب عند السلطان أبى عنان المرينى ملك المغرب رأس وفد أندلسى للاستنصار به على مقاومة ملوك الفرنجة . ولما ساءت العلاقات بين بلاط غرناطة وبلاد فاس بالمغرب كان ضحية هذا الخلاف فعزر وعذب أمام الملأ . ثم دس عليه من قتله خنقا عام ٧٧٦ هـ . من كتبه الاحاطة فى أخبار غرناطة ، وأعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام .

ميخائيل نعيمة

ثلاثة أشياء فى حياة ميخائيل نعيمة : الصداقة الخالدة والوحدة الصوفية والتعمق فى فهم الحب . صداقته لجبران . ووحدته فى صومعته فى الشخروب . وحبه للطبيعة . كان من أولئك الرواد الأوائل الذين قصدوا إلى نيويورك وأقاموا مدرسة جديدة فى الفكر والشعر والأدب هى الربطة القلمية . ولكنه عاد بعد عشرين عاما إلى صومعته فى جبال لبنان الاشم . « إننى بعد عشرين سنة قضيتها فى الولايات المتحدة شعرت بحاجة إلى الاستجمام فى نور البساطة العارية من زخرف المدنية وغشها وتشويشها . فقد أبصرت الحياة حقيقة بسيطة عارية . ورأيت الناس فى كل ما يعملون ويقولون ويؤمنون إنما يسبرون عرى الحياة بأقيسة لا تحصى من أوهام تقاليدهم ومعتقداتهم فيخسرونها من حيث لا يعلمون . ولذلك يتألمون ويشقون وقد وجدت أن الله يبدو سافرا فى هذه البلاد السافرة ، حيث إنه فى مدينة كنيويوك تحجبه طبقات كثيفة من ضباب الأوهام والتقاليد الكثيفة فلا تلمحه البصيرة حتى يخفيه البصر ولا تقترب منه الروح حتى تقصيه أهواء الجسد ونزعات النفس ولميخائيل عدد من النتاج الضخم منه « الآباء والبنون . وزاد الميعاد . وهمس الجفون والبيادر والنور والديجور . وكتابه « الغربال » فى النقد والذى يعد ركيزة من ركائز الاتجاه الجديد فى الأدب العربى المعاصر . ولعل صداقته بجبران من أروع الصداقات الأدبية الخالدة فى الأدب العربى ، وإن الكثيرين ليربطون بين موت جبران وعودة نعيمة إلى لبنان : ورأى ميخائيل فى الحب يبدو فيه ذلك العمق الذى يعرف فى كل آثاره « ما انفك الحب منذ أن كان الناس ، يجعل من الصعاليك ملوكا . ومن الشياطين ملائكة . ومن الانذال أبطالا . ومن سلالة آدم وحواء آلهة خليقة بالتسبيح والعبادة ، إلى حد أن يجعله يخاطب إنسانا نظيره بكلمة « معبودى »

المقرى

كل مفكر يعرف بعمل واحد من أعماله فينسب إليه ويذكر به . وكذلك أحمد بن محمد « أبو العباس المقرى التلمسانى المولد المالكى الأشعرى نزيل فاس ثم القاهرة » كما وصفته كتب التراجم يعرف بكتابه الخالد « نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب » كان آية باهرة فى علم الكلام والتفسير والحديث . وفى الأدب والمحاضرات والمؤلفات . ولد فى تلمسان ونشأ بها وقرأ وحصل علمه على عمه الشيخ أبى عثمان مفتى تلمسان ، رحل إلى فاس مرتين وكانت دار الخلافة فى المغرب ثم ارتحل قاصداً مكة فبيت المقدس ، ورجع القاهرة ، ثم كرر الذهاب إلى مكة وأملى بها دروسا عديدة ثم ورد منها إلى دمشق فأقام بها أربعين يوما وأملى صحيح البخارى ثم رحل منها إلى مصر وعاد إلى دمشق مرة ثانية وهكذا حتى أكمل خمس مرات فى الحج وله من المؤلفات غير نفح الطيب عدد من المؤلفات فى مقدمته أزهار الرياض من أخبار القاضى عياض . وقد استقر بالقاهرة فترة درس خلالها فى الأزهر وأحبه أهل مصر وعرفوا له قدره كما ألقى بعض دروسه فى المسجد الأموى . وقالوا كان يبكى السامعين بخطبه ومواعظه فيتسابق الناس إليها وقد تحدث فى حلقاته هذه عن الأندلس ومحاسنها وتاريخها وذكرياتها ، ووزيرها ابن الطيب . وكتابه نفح الطيب الذى عرف به جدير بأن ينسب لاسمه لأنه موسوعة ضخمة عن جغرافية الأندلس وتاريخها وآدابها . فى أربع مجلدات ضخمة حشد بها المقرى كل الشذور والوثائق والرسائل والمختارات بحيث يعد مرجعا لكل سائل عن شأن من شئون الأندلس . ويرى بعض المؤرخين أن المقرى ليس مؤرخا بالمعنى الحقيقى وإنما هو أديب مصنف وكتابه هذا بما حشد فيه من الألوان المختلفة آية ذلك وحجتهم عليه وقد توفى المقرى بمصر فى يناير ١٦٣٢ ودفن بقرافة المجاورين بالقاهرة .

محمود الفلكى

أول خريطة فلكية عن مصر كان واضعها هو محمود حمدى الفلكى العالم المصرى كان قد سافر إلى أوربا بين ١٨٥٠ — ١٨٥٩ واتصل بكبار العلماء المشتغلين بالفلك والمباحث الرياضية . وقد استطاع بحث المجال المغناطيسى للأرض فى بلجيكا وألمانيا وفرنسا يقارن بين العلماء الأوربيين . وقد درس الهجرة وميلاد النبى استناداً إلى بعض الظواهر الفلكية كما رصد الكسوف الكلى للشمس الذى وقع فى ١٨ يولية ١٨٦٠ حيث سافر إلى دنقلة لهذا الغرض . وطبع رسالة عن مدينة الاسكندرية القديمة وكنوزها وضواحيها سنة ١٨٧٢ وجمع بيانات عن فيضانات النيل وتحاريقه كانت أساساً لتقديرات الرى . ورسم عدة مزاول شمسية . ورصد مرور كوكب الزهرة على قرص الشمس يوم ٩ ديسمبر ١٨٧٤ . ووضع مدفع الظهر فى خط الزوال عند القلعة وكان يطلق تركيز أشعة الشمس على الفتيل عندما تكون على خط الزوال . وأنشأ على سطح بيته مزولة على مجسم القطع الزائد تبين ساعات النهار وأنصاف وأرباع الساعات ووقتى الظهر والعصر . وقد أثبت فى أبحاثه أن العرب قبل الإسلام كانوا يعملون بالحساب القمرى الصرف ووضع رسالة عن الظواهر الفلكية المتصلة ببناء الهرم قادته إلى معرفة أنه بنى عام ٣٣٠٠ ق. م وأنه بنى لغرض فلكى وله مباحث علميه: إنه محمود حمدى الفلكى المولود فى بلدة الحصة غربية بمصر عام ١٧١٥ والذى تخرج فى مدرسة المهندسخانة المصرية وعين مدرسا بها وكان على مبارك من تلاميذه وقد عرف بمتانة الخلق والاستمساك بالدين والاعتزاز بالقومية . وقد مثل مصر فى عدد من المؤتمرات الجغرافية وحضر المجمع الجغرافى فى أوربا . وعين ناظرا للأشغال العمومية فوكيلا لوزارة المعارف فناظراً للمعارف وله رسالة التقاويم الإسلامية والإسرائيلية . والتنبؤ عن ارتفاع النيل . عاش سبعين عاما وتوفى ١٨٨٥ .

مصطفى عبد الرزاق

« المرأة هى المنبع الفياض لما فى الحياة الإنسانيه من حب هو أساس النظام والعدل والرحمة والسعادة ، على أن فى فطرة المرأة نوعا من السحر والخلابة والجمال هو الذى يسمو بخيال أهل الفن إلى ما يبدعونه فى آثارهم الفنية وتلهم الشعراء روائع الشعر . وتذكى فى قلوب المستنيرين نار العشق العظيم وإذا كان جمال الحياة فنا وشعرا وحبا فإن المرأة هى التى تبنى كل ما فى الحياة من معانى الجمال » ذلك هو رأى مصطفى عبد الرزاق الذى بدأ حياته فى الأزهر ، والذى نشأ فى أعماق الصعيد . وقد عرف بأنه مثال الأنافة والرقة والهدوء . عرف عنه حب الجزالة والإعادة والمراجعة . وقد أعجب بالبهاء زهير وأفرد له دراسة كاملة . تعلم فى أوربا ودرس فى باريس واحتفظ بعمامته . والتقى فى فجر حياته بالشيخ محمد عبده الذى كان بعيد الأثر فى تحويل مجرى هذه الحياة ، فلما عاد من السربون درس الفلسفة فى الجامعة المصرية ثم ولى قريبا من نهاية حياته منصب شيخ الأزهر وقد دفعه حيائه إلى تصوير آرائه فى صورة مذكرات نسبها إلى الشيخ ابراهيم الفزارى نشر بعضها فى السياسة الأسبوعية . وكان فى دراساته الفلسفية يحمل رسالة الأنبياء والحكماء وهى ما عنى به بكلمة « الأريحية » تلك حال النفوس التى تعطى ولا تأخذ وتسعى إلى اسعاد الغير مهما كابدت من عناء » وقد صور حياته فى الأزهر فقال « أصبحت لا أجد لما أحضره من دروس الأزهر طعما ولا أشعر بفائدة فى تكوين ملكة أو تهذيب ذوق لهذه الأبحاث المجدبة التى فيها حياتى جاهدا ... ثم إن فى أعماق نفسى قلقا ينزع بى إلى أمانى لا موضع لتحقيقها فى هذا الوسط . » وقد تحقق له هدفه بأوسع معنى حين أتيح له أن يسافر إلى باريس ويدرس فى السربون ويعود فيحمل رسالة الدن والعلم ممتزجين معا . توفى فى ١٥ فبراير ١٩٤٧ .

الشيخ محمد رفعت

نشأ الفتى الضرير الذى كان يذهب كل أسبوع إلى حديقة الحيوان بالجيزة ليسمع صوت الأسد وليروض طبقات صوته ونغماته على « القرار » الذى يعرفه الفقهاء . والذى يمثله فى أقوى صورة الأسد — نشأ فى حى البغالة بالسيدة زينب .

وهو واحد من أولئك الأبرار الذى لم يعرف قدرهم خلال حياتهم فعاشوا حياة الشظف والفقر والحرمان . فلما ماتوا ذكرهم الناس .

لقد راح الشيخ محمد رفعت ينهل من الفن الكلاسيكى الرفيع . وكان يحصل دائما على أسطوانات جديدة لباخ وموزارت ويتهوفن ويست ، ويقضى أمسيات طويلة فى الاستماع إلى النغم الرائع .

وليس أدل على عظمة صوت الشيخ رفعت من قصة الضابط الكندى الذى انتهز فرصة وجوده فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية ، وطلب إلى مدير الإذاعة أن يسهل له مقابلة الشيخ . وعندما التقى به بكى الضابط الكندى وقال : لم أكن أعلم أنه أعمى والآن عرفت سر الألم العظيم الذى يفيض به صوته الرائع .

ولقد كان رفعت بالرغم من فقره عزيزاً عالى النفس عزوفا عن المادة وإلا لما رفض دعوة حيدر أباد الذى طلب منه السفر إلى الهند مع عطاء قدره مائة جنيه فى اليوم الواحد ، وفضل على هذه الدعوة إحياء ليالى الفقراء بالمجان .

وكان رفعت يقرأ فى جامع فاضل باشا . وهو من أوائل قراء القرآن بالإذاعة . ثم حيل بينه وبينها فترة طويلة . وقد ترك مدرسة تدين له بالفضل وتراه مذهبا جديدا فى تلاوة القرآن وفق أصوله بصورة تهز القلوب وتملؤها إيمانا وثقة . ومهما يكن قد قضى حياته مريضا لا يجد ثمن الدواء فإن صوته الخالد فرض نفسه بعد مماته توفى فى ١٥ مايو ١٩٥٠

محمد رضا الشبيبي

شاعر وطني . وزعيم وطني كان من أئمة المعارضة في ظلام العهد البائد في العراق ، ولد في النجف في أواخر العقد الأخير من القرن الماضي . موهبته الشعرية موروثة عن الآباء والأجداد . انخرط في السياسة وعمل وزيرا فعضوا في مجلس الشيوخ والنواب العراق . وهو إلى ذلك عضو في مجمع اللغة العربية وله فيه أبحاث قيمة ... وهو من الشعراء الذين جهروا بالشعر العاطفي السامي منذ ربع قرن فكان بذلك مثيرا للرجعيين . وشعره تنتظمه أغراض الأخلاقيات والوطنيات على وجه العموم يقول « علمتني الحياة إنها تريد أن ترى كلاً منا مقداما مخاطراً بالنفس والنفيس . لا يتردد في اقتحام الأهوال كلما اقتضى الأمر ذلك كما علمتني أن من يهجم على المخاوف يغنم الأمان . وعلمتني أيضا أن البصيرة النافذة والحذر والاحتياط من أمنع المعاقل والحصون في معتركها . » وقد شارك الشبيبي في معارك تحرير العرب من العثمانية التركية، كما شارك في التحرير من الاستعمار البريطاني وقاوم كذلك الاستبداد السياسي للاحزاب والحكام عملاء الاستعمار . وفي عمله بالمعارف هيء للمناهج العربية جوها التحرري ولم يخضع لتيارات التغريب أو الاحتلال . وهو من المؤمنين بالقومية العربية . كما قاوم طغيان نوري السعيد وأسرة الهاشميين وكان دائما لسان صدق يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم . وعاش الشبيبي عزوفا عن الأهواء ، صلبا لا يغرى ولا يخاف . وقد صور ذلك في قوله « قدر لى أن أنال بعض أوطار النفوس ومطالبها ، نلتها بالترفع عنها والزهد فيها ، لا بالاسفاف إليها أو التهالك عليها »وقد طوف الشبيبي ببلاد العروبة والعالم الإسلامي وله في أنحاء بلاد الضاد قراء معجبون لا لشعره وحده ، ولكن لإثاره الأدبية المتعددة وأبحاثه العلمية التي ألقاها في مجمعي دمشق والقاهرة . وهو محب للشام ومصر حبه للعراق . وله أبحاث في أصول اللزوميات لابى العلاء . كما حقق عدداً من المخطوطات .

المعرى

أوانى فى الثلاثة من سجـــونى فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظـــرى ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسم الخبيث

عندما بلغ الثلاثين من عمره غـيّر أسلوب حياته . توقف عن المضى فى الحياة وبدأ يتحول ثمة عن الخط الطبيعى له . كان قد عاد من بغداد وفى نفسه الاتجاه إلى العزلة . « عزلة تجعلنى من الناس كبارح الاروى فى سانح النعام » وقيل كان قد ذهب إلى بغداد للشهرة وسعة العيش فلم يتيسر له ما أراد فعاد يائسا راغبا فى الفرار من الحياة السياسية . عاش ينظر إلى الحياة من خلال منظار أسود . إذ يراها سلسلة من آلام طويلة متصلة الحلقات . وعرف بالتشاؤم والتطير إلى جانب السخط والتبرم . وأساء الظن بالمرأة . وقال عن النساء انهن حبال غى بهن يضيع الشرف التليد . عاش متقلبا بين الإيمان والشك يرضى ويسخط . وقد حير الناس فى معتقده فى الدين . لتناقض آرائه . ووصف بأنه كان نحيلا ضئيلا وعرف بدمامة الوجه . وضآلة البدن وقصر القامة وانطفاء البصر طوف بالشام وتلقى العلم وأحب اللغة وعدها فنه الأول . وكان قد أصيب بالعمى فى سن الثالثة على أثر إصابته بالجدرى وعاش حتى نيف على الثمانين . وكان يتناول طعامه متخفيا متحرجا من علته كتب خلال اعتكافه ديوانيه « سقط الزند » و « لزوم مالا يلزم » وألف « الفصول والغايات » على نسق القرآن يثنى فيه على الله . ووصف نفسه بأنه وحشى الغريزة . أنسى الولادة . استطاع أن يقضى على لذاته الجنسية والغريزيةوأن يقتلها . وقد أنكر ذبح الحيوان ولم يأكله . ولد ببلدة معرة النعمان فى بيت علم وفضل . نبغ فى الشعر والفلسفة . وحمل على التناسل ودعا إلىالنباتية . ورغب عن الضرب فى الأرض وكان أعجوبة الأعاجيب فى اللغة وحفظ الشواهد وتوفى١٠٥٨ م .

نصيف اليازجى

واحد من أولئك الأبرار الذين خدموا العربية وخلّفوا فيها آثاراً حية قوية عاش واحد وسبعين عاما ، خلف فيها عدداً ضخما من التآليف النافعة . اتصل بالأمير بشير الشهابى فقربه إليه وجعله كاتبا ليده ، وقد لبث فى خدمته اثنتى عشرة سنة . ثم انتقل إلى بيروت فأقام فيها ، وتفرغ للمطالعة والتأليف والتدريس ونظم الشعر ومراسلة الأدباء . وقد أقبل أكابر الشعراء من جميع الأنحاء العربية على مراسلاته . وقد ظل عاكفا على التعليم والتصنيف والنظم والنثر حتى أصيب بمرض عضال عام ١٨٦٩ حيث أصيب بالفالج ولكنه ما برح ينظم الشعر وعند ما مات ابنه وقع عليه الحادث وقوع الصاعقة ولم يعش بعد ذلك إلا أربعين يوما وكان قد بدأ ينظم قصيدة يرثيه بها ثم غلب عليه الحزن . ولليازجى ثلاثة دواوين شعرية تعد من عيون الشعر ، وله المقامات المعروفة باسم معجم البحرين فى ستين مقامة . وله الجوهر الفرد فى فن الصرف ونار القرى فى شرح جوف الفرا وكلاهما مخطوط وله شرح لديوان أبى الطيب وقيل فى ذكائه إنه كان يروى القصة بتواريخها وأسماء أصحابها وأسماء بلدانهم وكان يحفظ القرآن بتمامه . ويعى من الشعر شيئا كثيراً ولا سيما شعر المتنبى لشدة إعجابه به ، ومن قوله فيه : كان المتنبى يمشى فى الجو وسائر الشعراء يمشون على الأرض .

وكان حلو الحديث ذكيا قوى الذاكرة إذا حدث أخذ بمجامع القلوب لكثرة نوادره ونكاته .

ولد فى كفر عشما (لبنان) وعاش بين ١٨٠٠ — ١٨٧١ وتعلم مبادىء العربية على راهب من بيت شباب وأكمل ثقافته . وقد أكمل رسالتة ابنه ابراهيم اليازجى الذى أخذ علوم العربية عن أبيه وكان من أئمة النهضة الأدبية .

ياقوت الحموى

هذا « المولى » الذى استطاع أن يتحرر من العبودية ، وإن يشتغل بنسخ الـكتب عند الوراقين ثم يصل إلى أرقى درجة من العلم ويبلغ الهمة العالية فى تحصيل المعارف فيترك للتراث العربى هذين الـكتابين العظيمين: معجم الأدباء ومعجم البلدان :
إنه أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس الحموى المولد البغدادى الدار الملقب بشهاب الدين ، ولد ببلاد الروم وأسر فى بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبى نصر الحموى . ولما كبر ياقوت قرأ شيئا من النحو واللغة وشغله مولاه بالأسفار فـكان يتردد فى بعض النواحى ويعود إلى الشام ثم استطاع بعد أن يترك مولاه ويشتغل بالنسخ ويحصل بالمطالعة على عديد من الفوائد ثم سافر وجعل بعض تجارته كتبا ، وكان على مذهب الخوارج فتوجه إلى دمشق ٦١٣ وقعد فى بعض أسواقها يناظر بعض المتعصبين لعلى فثار الناس عليه ثورة اضطرته إلى الخروج من دمشق فقد ظل يطوف سنوات طويلة من حلب إلى أربل إلى خوازم إلى خراسان إلى مرو وتردد بين عمان والشام واستوطن كلا من هذه البلاد فترة من الوقت ودخل دور كتبها واستفاد منها وصادفه فى خوارزم خروج التتار وقد كتب رسالة تاريخية يصف فيها هروبه من التتار تصور هذا الأعصار الجبار الذى اجتاح بلاد العرب والعالم الإسلامى . ثم لم يلبث بعد هذه الجولة الطويلة أن عاد إلى حلب فأقام بظاهرها إلى أن توفى سنة ٦٢٦ م وفى خلال هذه الفترة جمع معلومات كثيرة — يقول المؤرخون إنه جمع أغلبها فى مرو — ضمنها كتابيه معجم البلدان ومعجم الأدباء وقد وضع كتابه الأول بمساعدة الوزير جمال الدين القفطى وأهداه إليه وقد تضمن معلومات ضخمة عن المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر فى كل مكان وتتبع ياقوت التواريخ وله مؤلفات فى التاريخ وأنساب العرب وأخبار المتنبى .

يعقوب صنوع

إنه واحد من الذين علمهم جمال الدين الأفغانى كيف يقاومون الاستعمار البريطانى . أطلقوا عليه لقب « موليير مصر » أصدر عدة صحف هزلية باللغة العامية بين القاهرة وباريس . قاوم الظلمة من حكام مصر ولم يقبل الانضمام إلى موكب المنافقين الذين كانوا من حول الحكام (١٨٧٨ — ١٩١٠) ولد يعقوب صنوع فى القاهرة ٨٣٩، وتلقى تعليمه بالمدارس الأجنبية وكان يجيد أربع لغات وسافر إلى إيطاليا حيث درس الموسيقى والأدب والرسم ، وأكب على دراسة المسرح واستوعب أعمال طائفة من كتاب المسرح ثم عاد إلى القاهرة ليكون مدرساً للغات والفنون الجميلة . نشر تراجم لقصائد عربية كلاسيكية إلى اللغة الإيطالية . ونشر أبحاثا فى المجلات الأوربية عن حضارة الشرق والإسلام . وأصدر على أثر اتصاله بالأفغانى صحيفة عربية باللغة العامية « أبو نظارة » ١٨٧٧ رسالتها نقد مساوىء الحكم فى مصر وتصوير مدى الظلم الذى يقاسيه أهل البلاد ، وحمل بقلمه على عوامل الفساد والرشوة والمحسوبية المتغلغلة ، وقد ضاق به الخديوى وحاول اغتياله عدة مرات تحت جنح الظلام فاضطر إلى مغادرة القاهرة فى أواخر يونية ١٨٧٨ إلى إيطاليا ففرنسا . وهناك واصل حملته وثابر على إصدار جريدته تحت أسماء مختلفة متابعا حملاته على الخديوى ورجاله وعلى الحكومة وقناصل الدول الأوربية وفى سنة ١٨٨٢ أخذ يندد بالاحتلال الانجليزى وقد تحايل على إدخال جريدته إلى مصر بشتى الوسائل . وكانت النسخة الواحدة توزع سراً بضعف ثمنها . وتحدث عن ظلم إسماعيل ، والأزمة المالية ، وانهيار اقتصاديات البلاد ومآسى القروض الأجنبية ، كما هاجم توفيق . وتعتبر جريدة يعقوب صنوع هى الجريدة الوحيدة فى أوربا التى ناصرت الثورة العرابية وأخذت بيدها . وهو أول من انشأ مسرحا عربيا فى القاهرة ١٨٧٠ — ١٨٧٤ وقد كف بصره سنة ١٩١٠، فأوقف إصدار جريدته ومات عام ١٩١٢ ودفن فى باريس .

الجاحظ

قيل لم ير قط من أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان . حتى أنه كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها . بدأ حياته فى البصرة فقيرا يتيما . توفى والده وهو حدث السن فراح يعيش بعمل يده ، ومضى يعلم نفسه بنفسه . فلما اجتمع له قدر صالح من الثقافة قصد إلى بغداد . وقد بلغ به الأمر أن أصبح دائرة معارف حيه . وعى فى صدره جميع معارف عصره فى الدين والأدب والعلم والفلسفة وطالع كتب العرب واليونان والفرس والهنود . وقد وصف أسلوب الجاحظ بالحياة والبعد عن الجفاف والتعقيد . حتى إذا تحدث فى العلم لَيَّنَهُ بنادرة أو فكرة أو سخرية . وقد كان الجاحظ أميل إلى التفاؤل . يرى الدنيا بعين المغتبط لا بعين المغيظ ، يبدو عليه السرور إذا كتب ، وتعتاده الدعابة والتنادر . مفطور على الوفاء لأصحابه والثبات على الود .

كان فى أول أمره يؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النظم فينسبه إلى نفسه فلا يرى الاسماع تصغى إليه . ثم يؤلف ما هو انقص منه مرتبة وأقل فائدة ثم ينحله عبدالله بن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين فيقبلون على نسخها . واتصل الجاحظ بالخلفاء والوزراء وقرأ له المأمون فأعجبه فطلب إليه كتابة رسالة عن العباسية ثم أسند إليه ديوان الرسائل . ولكنه مالبث أن خلف منصبه . كما اتصل بمحمد بن الزيات وزير المعتصم والفتح بن خاقان وزير المتوكل .

وقد ألف الجاحظ أكثر من ثلاثمائه كتاب فى الفلسفة والدين والسياسة والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والاجتماع والأدب . وإذا كان الجاحظ قد رؤى يبيع الخبز والسمك بسجيان فانه لم يلبث أن بلغ به الثراء مداه فانهالت عليه الهدايا والعطايا من العظماء وأرباب الدولة . وقد أصيب الجاحظ بالفالج وعاش به ثمانى سنوات لم ينقطع فيها عن العلم والتأليف . ومات فى البصرة عام ٨٦٨ م .

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

التنوخى

عرف بصلابته فى الحق وصراحته . دون مبالاة أو خوف من حاكم أو سلطان . ولقد وقف مرتين فى قضايا ملفقة موقف الجرىء إذ كان كل وزير يحاول أن ينكل بمن سبقه فيخلق له الاتهامات الخطيرة التى تذهب به . وقد فعلها حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر حين لفق التهمة للحسن بن الفرات فصنع له مؤامرة تتضمن عثوره على وثائق تثبت اتصال ابن الفرات ببعض الطالبين بالخلافة . وفى المرة الثانية عندما جاء أبو الحسن بن الفرات وزيراً أراد أن ينتقم من الوزراء الذين سبقوه وتآمروا به فدبر لهم مثل ما فعلوا له ، فأعلن أن على بن عيسى له اتصال بالقرامطة أعداء الدولة . وفى كلا المرتين كان القضاة يقفون موقفا سلبيا ، ما عداه : أبو جعفر أحمد بن اسحق بن البهلول التنوخى الأنبارى : فكشف عن كذب هذه المؤمرات واحدة بعد أخرى دون أن يخشى شيئا . وقد عرف التنوخى بأنه إلى مركزه الضخم كقاض ، كان أديبا شاعراً اخباريا . سمع بالبصرة من أبى العباس والأشرم وأبى بكر الصورى . ونزل بغداد وأقام بها وحدث إلى حين وفاته وقد عمل بالقضاء فى واسط والأهواز وبغداد . ثم منع من القضاء ثلاث سنوات ورحل إلى مصر وعاد إلى القضاء مرة أخرى وقيل سجن وقتا ما واحتمل كثيرا من الشدة والاضطهاد فى سبيل حرية رأيه وايمانه بالحق.

كتب إليه أبو العلاء المعرى قصيدته التى أولها « هات الحديث عن الزوراء أو هيتا » عرف بكتابه « الفرج بعدة الشدة » وهو أول ما كتب عن القصة فى الأدب العربى ويتضمن مجموعة أمثال وأقوال وقصص تصف الفرج بعد الشدة وذاع ذيوعا كبيرا . وكان أبوه من قضاة البصرة وقد دفعه إلى تلقى العلم على الصولى وأبى الفرح الأصفهانى . توفى ٩٥٣ م .

كامل كيلانى

قال أحمد شوقى يصف كامل كيلانى « : إنه كمقرب الثوانى قصير ولـكنه سريع الخطى . منتج يأتى بدقائق الأمور . » بدأ حياته الأدبية وفق أسلوب يوحى بأن مكانه الطبيعى بين صفوف الأدباء . وكان اتجاهه إلى التاريخ أغلب حيث كتب عن ملوك الطوائف ومصارع الخلفاء ومصارع الأعيان . ولـكنه اتجه إلى الشعر فقال شعراً ما زال يخفى أغلبه ويحتفظ به . ثم بدأ يراجع ابن زيدون وابن الرومى . ثم اتصل بالأدب الأندلسى واتجه بعد ذلك بعنف إلى المعرى حيث عاش معه طويلا وتأثر به حتى غدا رفيقه فى كل لحظات حياته . ولـكن كامل كيلانى قفز مرة واحدة إلى فن قصص الأطفال بعد أن أنفق صدراً من حياته وأرسى أمكانياته الفـكرية جميعا فى جوها وكرس لها وقته وجهده منذ أكثر من ثلاثين عاما . وقد بلغ به الجهد أن توقف بصره فجأة ثم رده الله إليه فى شبه أعجوبة أسطورية مصدرها إيمانه وشغفه بالعمل الذى كان رائده الأول وأبرع فرسانه. وهناك ميادين كثيرة اقتحمها رواد أبرار وما زالون يمسكون بزعامتها : التاريخ القومى والرافعى . قضية قناة السويس ومصطفى الحفناوى . الحوار وتوفيق الحـكيم . قصص الأطفال وكامل كيلانى . ولم يكن الاتجاه جديدا عنده أو دفعه مصدرها الإحساس بالفراغ فى مجاله ، ولـكن كيلانى كان قد عاش مع الأسطورة منذ فجر حياته : قرأ ذات الهمة وعنترة وسيف بن يزن وفيروز شاه وحمزة البهلوان والظاهر بيبرس وهى فى مجموعها ١٧٠ كتابا تبلغ مائتى ألف صفحة . وقد تمددت هذه الرؤى وتجمعت واختلطت فى أعماقه وعاشت فترة حضانة طويلة ثم لم تلبث أن انبعثت فى عمل ضخم بلغ حتى الآن ألف قصة لم يطبع منها أكثر من مائتين • وقد أعانه على ذلك الجهد دأب متصل وإطلاع واسع، وإلمام وافر باللغتين الفرنسية والانجليزية إلى عمق فى اللغة العربية لا يقل فيه عن مقام الخليل بن أحمد أوسيبويه إلى ذهن لماح يجمع بين المتشابه والمتناقض على السواء يحب فى العربية شخصيتين :المعرى وجحا ولعل أبرز أعماله الجديدة هو تقديم القصة مع ترجمتها الفرنسية والانجليزية حتى ينتفع بها من الدار البيضاء إلى أندونيسيا

محى الدين بن العربى

« رأيت فى منامى كأنى أدخلت الجنة · ولم أكن رأيت ناراً ولا حشراً ولا حسابا ولا شيئا من أهوال القيامة . ووجدت فى نفسى راحة عظيمة · فلما استيقظت علمت أن فى حالى بعض اختلال . وأن نفسى أدّعت فوق حالها من جهة ما أعطاها الله من العلم . ولو كانت متحققة بالحق تحققا عقليا مقدسا إلهيا يغنيها عنها لم تلتذ بدخول الجنة » ذلك هو محى الدين العربى : أطلقوا عليه لقب الحكيم الإلهى : وقالوا إنه كان ذا توسيع فى الكلام وذكاء وقوة خاطر · وحافظة . وتدقيق فى التصوف . وقد بلغت مؤلفاته مائتى كتاب وأكثرها فى التصوف وبعضها فى الجفر وأسرار الحروف · وأشهر كتبه « الفتوحات المكية فى معرفة الأسرار الملكية . » فى ثلاثة آلاف صفحة » كما أن له ديوانا من الشعر . ولد محمد بن على بن محمد المعروف بابن عربى فى شهر رمضان سنة ٥٦٠ هـ بمرسية بالأندلس . تلقى مبادىء العلم على ابن بشكوال · ثم سافر إلى مصر ودمشق ومكة وبغداد وأقام فى بلاد الروم فى طلب العلم والرحال والسياحة . وحضر مجالس العلماء واستمع إلى ذوى الرأى · وفى بلاد الروم سمع حاكمها به فانتقل إليه فلما رآه قال لأصحابه « هذا رجل تذعر لرؤيته الأسود ! » ثم أمر له بدار تساوى مائة ألف درهم . وتوفى محى الدين فى ٢٨ ربيع الآخر سنة ٦٣٨ عن سن الثامنة بعد السبعين · وقبره الآن بالشام بالصالحية فى مسجد يعرف باسمه بجوار قبر الأمير عبد القادر الجزائرى وله رسالة « الروح القدس » ضمنها مناجاته لنفسه وهى اعتراف وتعنيف وتهذيب . كما تضم أسماء الرجال الذين لقيهم وتلقى عنهم وصحبهم قال « ولقد لقينا من المشايخ والأخوان والنساء مالو دونت أحوالهم وسطرت كما سطرت أحوال من تقدم لرأيت الحال الحال والعين العين فى الأعمال والجد والإشارات وصحة القصد . توفى ٦٨٣ م ولمحى الدين ديوان شعر·

مصطفى لطفى المنفلوطى

عندما بلغ المنفلوطى الأربعين كتب يقول « الآن وصلت إلى قمة هرم الحياة . والآن بدأت أنحدر إلى جانبه الآخر . ولا أعلم هل أستطيع أن أهبط بهدوء وسكون حتى أصل إلى السفح بسلام أو أعثر فى طريقى عثرة تهوى إلى المصرع الأخير هويا . وما أنا بآسف على الموت يأتينى . فالموت غاية كل حى ، ولكن أرى أمامى عالما مجهولا . لا أعلم ما يكون حظى منه وأترك ورائى أطفالا صغاراً ، أما من ورائى فالله يتولى السائمة فى مرتعها . والقطا فى أفحوصتها والعصفور فى عشه والفرخ فى وكره . » هكذا كان ينظر المنفلوطى إلى الحياة نظرة الخوف والتوجس من الموت . وقد فتن أسلوبه الشباب فى مطلع هذا القرن ويعد الزيات وطه حسين والرافعى والبشرى من تلاميذه مع فوارق لها مصدرها الآخر . والمنفلوطى علم على رأس مرحلة من مراحل الإنشاء الأدبى وعلى قمة طريقة فى الأدب ، وأسلوب فى التعبير ومدرسة فى البؤس والحزن والحرمان . فقد خرج المنفلوطى عن الأسلوب التقليدى فأدخل إلى الأدب المعانى والصور . بعد أن كان الزخرف هو كل شىء . وهو وإن كان قد عاصر المدرسة المهجرية إلا أنه تحرر منها وظل محتفظا بطابعه الخاص . بدأ حياته الأدبية عام ١٩٠٨ ناثرا وكاتبا . وقد نظم الشعر ، وكانت له قصائد شهر فيها بالاحتلال أبرزها قصيدته فى هجاء الخديو وقد سجن من أجلها وهو من المنشئين وإن لم يكن من أصحاب المذاهب الفكرية فهو من كتاب المعانى . وإن كان قد أخفق فى دراسته الأزهرية فقد فتح بابا لقراءة متصلة فى الأدب العربى القديم مما أتاح له القدرة على أن يكون مجدداً فى الأدب . واتصل المنفلوطى بالشيخ على يوسف . وكتب فى المؤيد فصول النظرات التى اشتهر بها . كما اتصل بسعد زغلول وكان صديقا لحافظ إبراهيم وإمام العبد وأحمد نسيم وأحمد فؤاد يساهرهم فى قهوة أفندية. واتصل بالشيخ محمد عبده . توفى فى ١٢ يوليه ١٩٢٤ .

٧ مصطفى صادق الرافعى

« وأنا على كل أحوالى إنما أنظر إلى الجمال كما استنشى المطر يكون متضوعاً فى الهواء ، لا أنا أستطيع أن أمسه ولا أحد يستطيع لمن يقول أخذت منى . ثم لا يدفعنى إليه إلا فطرة الشعر والاحساس الروحانى ، دون فطرة الشر والحيوانية . ومتى أحسست جمال المرأة ، أحسست فيه بمعنى أكبر من المرأة . أكبر منها غير أنه هو منها » . هذه هى نفسية الرافعى فى جوهرها. نفسية الشاعر الذى بدأ حياته يقول الشعر ثم تحول إلى النثر ، ولكنه ظل على عاطفته النقية المتصلة بالسماء . وأسلوب الرافعى يدل عليه ولو أخفى اسمه . وقد تأتى هذا الأسلوب البليغ العميق المجلل بالغموض من بيئة العلم والفقه والدين التى نشأ فيها حين تفتحت حياته على كتب الأدب القديم إذ أتاحت له آفته « صمم أذنيه » أن يعتكف ، فقرأ فنوناً من البلاغة واللغة والفقه . فإذا به عالما فيها يصاول أقطابها . وهو الذى تعلم فى مدرسة الفرير . لقد كان الرافعى يحس بالنقص الطبيعى فى حاسة سمعه فيعوضه بالتبرز فى ميدان الحياة بالحب وفى ميدان الأدب بالصراع . وهو يؤمن « بأن ذا الفن لا يفيد من الحب فائدته الصحيحة إلا إذا جعله تحت عقله فيكون فى حبه عاقلا بجنون لطيف ويترك العاطفة تدخل فى التفكير وتضع فيه جمالها وثورتها وقوتها » . قرأ الرافعى فى فجر شبابه جمال الدين ومحمد عبده وصروف وغوستاف لوبون وتأثر بهم . وعرف بالقوة البالغة فى ميدان النقد حينما يتصل ذلك بأدبه . عرف ذلك فى موقفه من العقاد وطه حسين وزكى مبارك وله كتابه « على السفود » الذى تناول فيه الكتاب بقسوة ، وقد رفض الرافعى أن يعمل فى الصحف وعاش حياته موظفاً بسيطاً فى محكمة طنطا . حمل لواء التوجيه للتيارات الحديثة التى دعا إليها طه حسين والعقاد وقاومها فى عنف وكان مؤمنا بأنه يدافع عن العروبة والعربية والقرآن والإسلام . توفى ١٠ مايو ١٩٣٧

المـازنى

فى حياة المازنى ثلاثة أحداث ضخمة : وفاة أمه وحادث ساقه ووفاة زوجته الأولى . وكان يحب أمه فى عنف وبصورة لم تعرف إلا عند جبران .

أما ساقه فقد كانت له منها عقدة إلى جوار عقدته من قصر قامته وقد أصيب بالعرج بلا موجب . « كانت زوجتى مريضة فأجريت لهـا عملية جراحية وفى صباح اليوم الثانى وقفت إلى سريرها وفى يمناى الدواء ممزوجا بالماء فى كوب من الزجاج . وحاولت أن أرفعها بيسراى . ولـكن السرير كان عاليا وأنا قصير القامة فشببت . فسمعت شيئاً يطق . فظننت الـكوب قد انـكسر ونظرت إليه فإذا هو سليم فحاولت أن أدور على قدمى لأرى ما حدث فإذا بساق اليمنى تخذلنى ولا تحملنى فسقطت على الأرض ثم تبينت أن حُـق الحرقفة هو الذى انـكسر وعولجت ثلاثة أشهر ولـكن العلاج كان فيه بعض الخطأ فانحرفت عظمة الساق عن استقامتها فقصرت عن اختها فـكان هذا العرج . كان هذا فى عام ١٩١٤ فتغيرت الدنيا فى عينى وزاد عمرى عشر سنوات فى لحظة وادركتنى الشيخوخة فى عنفوان شبابى فاحتشمت وصدفت مضطراً عن مناعم الحياة وملاهى العيش وغمرت نفسى مرارة كان يخيل إلى أنى أحسها على لسانى » . . لقد كان المازنى شديد التعلق بالحياة فدفعته عاهته إلى الانطواء وإيثار فلسفة الزهد والسخرية ولـكنه كان من أنفذ كتابنا فى مسائل المرأة وأمور الحب والعاطفة والزواج .

بدأ المازنى حياته مدرساً . ثم آثر الصحافة والأدب . فانصرف عن التدريس مبكراً وظل يتقلب فى دوامة الصحافة ثلاثين عاما مجافا لم ينقطع فيها عن الـكتابة والإنشاء والترجمة يوماً واحداً وهو أحد الرواد الذين صنعوا هذا الأدب المعاصر وأحد أصحاب المذهب الحديث فى الشعر وأحد صاحبى « الديوان » الذى هاجم شوقى والرافعى . سكن فى مطلع شبابه فى الصحراء . أسلوبه يقوم على الازدواج ، برع فى الترجمة بصورة لا تبارى ثانى رواد القصة الحديثة بقصته إبراهيم الـكاتب . أنـكر شاعريته وشعره وبرع فى الترجمة من الانجليزية توفى عام ١٩٤٩ .

مفكرون من الغرب



اكسيل مونتى

فى أكثر من مرة ثبت أن الطبيب يكون بارعا فى القصة والكتابة الواقعية . ومصدر ذلك أن التجربة تعطى الطبيب قوة باطنة عميقة ضخمة إذا أتيح أن يكون صاحب قلم .

« ربما كانت القصة حقيقية : قصة الموت . فقلما غادرت فكرة الموت ذهنى بعد أن قضيت عهداً طويلا أصارع ذلك العدو الرهيب . ورأيته يختطف منى مرضاى الواحد بعد الآخر . رغم ما كنت أبذله من جهد فى سبيل انقاذهم . ولقد وصفت بعضهم فى هذا الكتاب كما رأيتهم يعيشون وكما رأيتهم يتعذبون . »

هكذا بدأ قصة الموت الطبيب الكاتب « اكسيل مونتى » مؤلف قصة سانت ميكيلى التى ضمنها تاريخ حياته منذ رأى قلعة « ماتا رينا » إلى ذلك اليوم المشئوم الذى خطفت شمس إيطاليا نور عينيه . وقد وصف الموت فى كتابه بالزميل المقبض الذى اختار المستشفيات مقرا دائما له. وقد عاش الموت شبحا رهيبا يطوف فى جو القصة كلها .

«لم يكن الموت فى المستشفيات أكثر من عبث أطفال إذا قورن بما رأيته بعد ذلك . لقد رأيته فى مدينة نابلى يقضى على أكثر من ألف نفس فى اليوم الواحد . ورأيته فى مسينا يدفن فى دقيقة واحدة مئات من الرجال والنساء والأطفال تحت البيوت المتهدمة وكذلك فعل فى زلزال مسينا ليساهم متطوعا فى محاربة المرض . »

لقد تجمعت فى نفس اكسيل مونتى خمائر قوية للتجربة دفعت به إلى الكتابة دفعا فخلف أثراً أدبياقويا ما زال مرجعا لتحليل حياة الأطباء

وقد عاش اكسيل مونتى منذ عام ١٨٩٠ طبيبا خاصا لملك السويد . كما تفرغ أحد عشر عاما لعلاج الملكة فكتوريا ملكة السويد .

ولد فى استوكهلم . ودرس فى باريس . وتوفى فى فبراير ١٩٤٩ .

بوشكين

امتلأت حياته القصيرة بأمجاد الأدب والفكر . كان طليعة دستوفسكي وتشيكوف وتولستوي . انحدر من أصل حبشي . فقد كانت والدته حفيدة الأمير الحبشي الذى خطفه القرصان وباعوه فى تركيا . وقدم هدية إلى القيصر بطرس الأكبر . ولد فى موسكو فى ٢٦ مايو ١٧٩٩ . كان ينهض من فراشه ليلا ليدخل مكتبة أبيه فيلتهم الكتب قراءة . وجد فى أساتذته روح الجرأة على مغالبة الاستبداد التى كان يحسه الشعب الروسى من القيصرية الطاغية . بدأ حياته بقصائد تهتف بالحرية وسيادة الشعب فغضب عليه القيصر وأمر بنفيه . وكان بوشكين يأمل الخير على يد نيقولا الأول . ولكن ثورة الدسمبريين ما كادت تندلع حتى أخمدها القيصر وبحث عن أدلة لإعدام بوشكين وعندما علم أنه كان غائبا عن بطرسبورج سأله القيصر عما كان يفعل لو كان موجوداً فقال بدون تردد « لو كنت فى العاصمة لا نضممت إلى العصاة » هنالك استخدم القيصر أبشع وسائل التنكيل والارهاب مع الشاعر بعد أن عجز أن يضمه إلى البلاط كشاعر له . وكان كل ما يكتبه بوشكين يقع تحت طائلة العقاب . وأمضى بوشكين أكثر من ست سنوات من حياته منفيا مبعدا ، ولكنه استطاع فى منفاه أن يكتب فى براعة كل ما أراد أن يقوله للشعب الروسى على مدى الأجيال . وظل بوشكين يحارب الظلم والاستبداد حتى مات فى مطالع شبابه ، فى السابعة والثلاثين فى يناير ١٣٧ . وقد مات فى مبارزة من أجل شرفه ، بعد أن رغب إلى القيصر فى رسالة له بأن يجنبه هذه الدسائس المسمومة فكان جواب القيصر عليها : آمرك بالصمت .

وقد صمت هذا الشاعر إلى الأبد بعد ذلك ولكن روائع عبقريته بقيت حية وستظل مشعلا من مشاعل الفكر الحر .

تشيكوف

« إن الإنسان لا يحتاج الا إلى مترين من الأرض . ولـكن هذه الحاجة هى حاجة الخشبة الهامدة . لأن حاجة الإنسان الحى الذى لا يكفيه إلا هذا الفضاء لا يطلب قيد أقدام . وإنما يطلب الأرض بأسرها والطبيعة بسعتها لـكى تتفتح على آفاقها كل خصائصه ومزاياه بحريته »

ولد أنطون تشيكوف عام ١٨٦٠ وأتم دراسة الطب فى موسكو . ثم استهواه الأدب .

وقد وصف اتجاهه : لست بالمحرر ولا بالمحافظ . لست بالراهب ولا بالخلى . وإنما أنا رجل أمقت الـكذب والصولة فى أى مكان وتحت أى مظهر : لا أريد أن أكون إلا فنانا . وهو محب للتأمل : إننى إذا ما حشيت الحياة لم أفهمها . فعندما أرقد على بساط من الأعشاب . وأتأمل طويلا فى حسرة . ولدت فى مطلع الليل لا تفهم شيئا من وجودها . يخيل إلى أن حياتها ليست إلا مرحلة من الرعب والذعر فيها أرى نفسى وأتمثل خاطراتى . كل شىء يروعنى لأنى لا أفهم العقل ولا نهاية الأشياء » وهو شاعر متأمل « حين ينظر الإنسان طويلا فى السماء الزرقاء المترامية فالأفـكار المنبثقة والنفس تتحد اتحادا خفيا فى عاطفة غزله عميقة . وخلال لحظة واحدة يشعر الفـكر بوحدة الموت ولغز الحياة البائسة المروعة » .

وهو من غير المؤمنين بالغائية . « ليس لى من العمر إلا ست وعشرون . ولـكن أرانى لا أجهل أن الوجود يمشى بلا غاية خاليا من أى غرض وكل شىء فيه باطل زائل . تتشابه فيه حياة ساكن جزيرة سخالين مع حياة ساكن بنس . والفرق بين دماغ « كانت » ودماغ ذبابة ما ليس له قيمة حقيقية . وأن لا شخص فى هذا الـكون على ضلال ولا على صواب .

جوركى

« إن الفكر يمكن أن تكون له قيمة حقيقية فعالة إذا ارتبط بأمنيات الناس . أما الانعزال فإنه يؤدى إلى سيادة النزعة الفردية والأخلاق المنافية لمصالح المجتمع . وإن فى موقف الفرد موقفا يناهض الشعب . ويؤدى بالضرورة إلى ضعف شخصيته وانعدام مثله ومبادئه » مكسيم جوركى : كان أبوه صانعا . فى مدينة نجنى نوفجورود . ورحل من مدينة إلى أخرى فى طلب القوت . ورسم الايقونات (الصور المقدسة) واشتغل عند خباز مثقف . فقرأ ما عنده من كتب كانت غراسا للثورة فى نفسه . وألف القصص . وحكم على جوركى بالحبس سنة . ولما أحس بمرض صدره انتقل إلى إيطاليا حيث عاش بقية حياته ثم عاد إلى روسيا بعد الثورة ١٩١٨ وأسس بيت العلم لإيواء العلماء والنفقة عليهم . وقصص جوركى الاسطورية الأولى تنبىء عن ثقته فى إرادة الانسان وذكائه وتعرب عن حبه للحرية وهو يعرض الإنسان فى هذه القصص على أنه ليس كائنا خاملا بل هو صانع الحياة . وتنزع مؤلفاته إلى الإكبار من شأن الشجاعة والجرأة والمجازفة . وكتب عن الفقراء والصعاليك . وطبع من مؤلفاته فى ثلاث سنوات أكثر من مليونى مجلد . وجميع أبطال قصصه يمثلون المصدر الحقيق للشجاعة والقوة والحكمة وقد عادى كل اتجاه فكرى ارستقراطى يزدرى الناس . وهو أحد مؤسسى المنهج الواقعى الاشتراكى فى التفكير وقد صور السر فى نفوذه إلى النفوس فقال : ثقتى فى الخير الكامن فى نفوس الناس . وفى التغلب على جميع العقبات لم يخب أبدا ، والسبب فى ذلك يرجع إلى أننى أعرف الناس معرفة وثيقة . أعرف عدداً كبيرا منهم وقد خالطتهم فى ظروف شتى فى الحزن وفى الفرح . فى الشر وفى أحوال تدعو إلى الاستهجان وأخرى تدعو إلى الاشفاق . وبلوتهم وهم فى الحضيض وفى قمة المجد وفى خلال ذلك تعلمت منهم.

جرمانوس

« فى عام ۱۹۲۳ دعانى رانبدرانات طاغور إلى البنجال لتدريس تاريخ الإسلام لطلاب جامعة (سانيتكانان) وبعد أن أقمت خمسة أعوام هناك أزمعت عائداً إلى بلادى ماراً بنيودلهى يوم جمعة . والمسجد محتشد فى آلاف المصلين . فدخلت المسجد وأعلنت إسلامى وألقيت خطبة الجمعة وكان حدثا اهتز له العالم كله . وأديت فريضة الحج » : هذا هو أكبر تطور فى تاريخ « عبد الكريم جرمانوس » المستشرق المجرى : وقد أصدر كتابه « الله أكبر » الذى كان له دوى كبير فى المجتمعات العالمية فى أوربا وقد عمل أستاذا للغات الشرقية والأدب العربى فى جامعة بودابست . يكتب ويقرأ سبع لغات . وحقق فى حياته سلسلة طويلة من المغامرات وحين التحق بجامعة استانبول اتصل بأعضاء حزب تركيا الفتاة الذى كان يناضل مظالم السلطان عبد الحميد وكان العضو العربى الوحيد الذى يعمل مع أنور وجمال وجاويد وعزيز المصرى . وقد عرفه رجال السلطان وكشفوا حقيقته . كان مكلفا بمهمة فألقوا القبض عليه وقدموه للمحاكم العسكرية . وصدر الحكم عليه بالاعدام شنقا ، غير أن الامتيازات الأجنبية انقذت رقبته وأمضى فى السجن ۲۲ يوما . وبدأ فى دراسة الآثار الإسلامية فى منطقة الأناضول . ودرس الآداب العربية والتركية والفارسية وحصل على الدكتوراه من بودابست . وسافر إلى لندن . وعكف على دراسة المخطوطات الإسلامية فى المتحف البريطانى . وسافر فى أبان الحرب العالمية متطوعا فى الهلال الأحمر إلى الدردنيل والتقى برجال حزب تركيا الفتاة الذين أصبحوا من كبار قواد الحرب ووقع أسير حرب فى أيدى الإنجليز . وله كتاب تحت الطبع فى ألف صفحة عن الأدب العربى الحديث لخص فيه لأعلام الأدب العربى الحديث .

ميكافيلي

إذا ذكر « ميكافيلي » ذكر كتاب الأمير الذى عرض فيه آراءه فى الملك والحكم الذى ما زال يضرب به المثل فى أساليب الحكم الدكتاتورى وسيطرة الفرد . ولد عام ١٤٦٩ فى فلورنسا من أسرة نبيلة شهد سقوط حكومة الطغيان التى أقامها آل مدتيشى فى فلورنسا قبل ذلك بنحو ربع قرن . وعادت الجمهورية عام ١٤٩٢ وانتظم فى خدمتها حتى سقوطها وعودة آل مدتشى مرة أخرى إلى الحكم عام ١٥١٢ . وقد وصل إلى منصب أمين مجلس الحكم من رجال الدولة البارزين. ثم عمل سفيرا للجمهورية إلى فرنسا حيث عقد مع مليكها لويس الثانى عشر بعض الاتفاقيات كانت إيطاليا تضطرم بمشاريع البابا اسكندر بورجيا ومضى يدرس الأحداث ويدون مذكراته وكان هذا كتابه « الأمير » حيث اتصل « بشيرازى بورجيا » ذلك الأمير الذى أعجب ميكافيلي بجرأته واعتبره أميره الأمثل وخصه بفصل شائق من كتابه . وقد عكف ميكافيلي خلال عمله الدبلوماسى وسياحاته المتعددة على درس أخلاق الملوك وطبائع القادة فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا . وشهد أحداث الحرب والسياسة . وشهد الحوادث الإيطالية بقضاء البابا جوليوس الثانى على الفرنسيين تحت رحمة الظافرين . فأملى عليها البابا شروطه ومنها عودة آل مدتشى إلى الحكم . وقد عاش فى عصر الجمهورية فلما عاد عرش آل مدتشى للحكم يصفحوا عن الذين أقاموا الجمهورية على أنقاض سلطانهم ولم يطمئنوا إلى ميكافيلي فنفى فى نوفمبر ١٥١٢ إلى خارج البلاد ثم قبض عليه وحوكم فى فبراير ١٥١٣ وشد إلى جهنمية للتعذيب وقد لقى من العذاب أهوالا واتهم بالتآمر وظل ملقى فى السجن حيث عفا عنه البابا ليون العاشر وبعد أن خرج من السجن كتب « الأمير » وقدمه إلى آل مدتشى وكتب بعد ذلك (تاريخ فلورنسا) وتوفى فى ٢٣ يونية ١٥٢٧ .

والتر سكوت

الرجل الذى خلق من الأساطير المتناثرة التى تتردد على أفواه الناس عملا ضخما اقترن باسمه وعاش حيا يذكر الناس به وخلد تاريخ وطنه . جمع بين الشعر والقصة والتاريخ والقضاء .

كان مرضه سر عبقريته . فعندما مرض فى طليعة شبابه مرضا روع أسرته وجعلها تخشى على صحته من العمل المتواصل . فرض عليه أن ينحى الكتب الجادة العقلية المجهدة . . فاتجه إلى قراءة الأساطير وأوغل فيها . وكانت أمه قد غرست حب الأساطير فى نفسه فدفعه هذا إلى الاتجاه نحو أهالى القرى فى مقاطعته . يسألهم ويستقصيهم ما حدث فى شبابهم وما سمعوه من آبائهم وأجدادهم من قصص وروايات وأساطير ولعل حبه للشعر والخيال هو الذى دفع به أن يكون شاعراً ثم انقطع عن الشعر نهائيا بعد صدور ديوان بيرون . واتجه نحو النثر . فأنشأ عدداً ضخما من الروايات . كان يكتب كل يوم عشرين صفحة . معنيا فى كتبه التاريخية بتحقيق الحوادث . أما فى رواياته وقصصه فقد أطلق العنان لخياله . وكانت آثاره بعيدة الأثر فى عديد من كتاب فرنسا من بعد فكتور هيجو ولامارتين والفريد دى فينى .

وقد اشتغل فى مطلع حياته بدراسة القانون حتى حصل على أجازتها وعين قاضيا عام ١٧٩٩ .

ولكنه فى أوائل القرن التاسع عشر بدأ يكتب سلسلة كتبه التى أحاطت اسمه فى خلال ثلاث سنوات بهالة من الشهرة والمجد فى عالم الفكر . وسكبت عليه ثروة طائلة . فاشترى قصراً فخما وعاش حياة طيبة حتى توفى عام ١٨٣٢ .

وأكبر كتابيه شهرة تاريخ نابليون وتاريخ الايكوسيين وهو مضرب المثل فى كتابة التاريخ القومى

شعراء وفنانون

ادجار ألان بو

عند ما نظم قصيدة « الغراب » ونقحها فى عشر سنوات دون انقطاع ، لم يزد ما حصل عليه منها عن جنيهين وبعد موته بيعت نسختها المخطوطة بعشرات الألوف من الجنيهات وعاش عاجزا عن دفع اثنى عشر شلنا فى الشهر أجراً لكوخه . عاجزا عن توفير الغذاء لزوجته الحبيبة التى أوحت إليه قصيدة « فرجينيا » . ثم فجع فى هذه الزوجة التى ظلت شهوراً طريحة فراشها المصنوع من القش لا يستر جسدها من الملابس ما يكفى لتدفئتها . وهكذا عانى « ادجار ألان بو » الفقر والمسغبة منذ مطلع شبابه . ونشر أشعاره عام ١٧٢٧ فلم تلق نجاحا . ثم نجح ككاتب قصصى وأفسحت له المجلات صدرها . وبرع فى كتابة قصص الذعر والارهاب وانحدرت صحته بسبب إفراطه فى الخمر ولما ماتت زوجته سنة ١٧٤٧ ازداد إقبالا على الخمر والمخدرات . وكان قد طرد من الجامعة لميله إلى المقامرة وإدمان الشراب وبالرغم من أنه نظم من القصص والشعر الروائع فإنه لم يستطع أن يجد من هذه الأمجاد ما يكفيه لشراء الخبز . وقال النقاد إن الاضطراب الذى تولاه خلال حياته القصيرة — حيث مات فى الأربعين من العمر سنة ١٤٨٩ — يبدو منعكسا على آثاره الأدبية نثرية وشعرية . وقد اعترف « شارل بود يلار » بأنه من أعظم جبابرة الفن والبيان فى العالم ومن أعاظم الشعراء وصفوة قصاصى المعمورة . وقد عاش مرتحلا من مدينة إلى مدينة وفى نفسه ثمالة بؤس وشقاء ساعيا وراء كسب رزقه بالكتابة فى مختلف الصحف . ومقالاته تنم عن حرية فكر وتفوق إنشاء وله ديوان تمارين وقصائد وكان يرفض حضور الحفلات لأنه لا يملك لباسا يليق بها . وفى أواخر أيامه رأى هربا من العوز الشديد أن يقوم برحلة فى ولايات الجنوب الامريكية ثم مالبث أن قضى نحبه فى ٧ — أكتوبر ١٨٤٩ وكان قد ولد فى مدينة بوسطن .

ايليا أبو ماضي

ثالث ثلاثة هاجروا إلى أمريكا . وكان لهم أثرهم البعيد فى خلق الأدب المهجرى . جبران ونعيمة وايليا . شعره عميق يهز النفس ويصل إلى حنايا المشاعر ويفيض بالسخرية بالحياة . مفتاح شخصيته « لست أدرى » . عاش عالما خليطا من التشاؤم والتفاؤل . شاكا لايؤمن إلا بوحى عقله . يدعو إلى التمتع بالحياة قبل الغروب . وإلى التملى من خرير الجداول وأريج الأزهار والتمتع بمرأى الشهب فى الأفلاك قبل أن تغيب هذه المشاهد الرائعة عن « عيوننا الترابية »

كل نجم لا اهتداء به   لا أبالى لاح أو غربا
كل نهر لا ارتواء به   لا أبالى سال أم نضبا

وقد استقرت فى ذهنه فكرة الفناء بعد الموت . وكان لمحاوراته مع جبران ونعيمةورفاقهما أثر بين خواطرهالعميقةالتى رددها فى قصائده وقدظل يؤمن بواقعية الحياة لم ينحرف إلى تيار الصوفية الذهنى الذى عشقه جبران ولم يصل إلى شكه السوداوى . وإن كان قد غلب عليه الشك فى كل ما انتهى إليه الناس من نتائج ومضى يلقى أسئلة محيرة . ولد فى مصر من أبوين لبنانيين . ١٠٨٩ . وهاجر من مصر عام ١٩١١ وهو فى سن العشرين ثم استقر فى نيويورك عام ١٩١٦ واتصل بجبران ونعمية وعريضة واشترك فى الرابطة القلمية وأصدر عام ١٩٢٩ مجلة السمير . وأصدر ديوانى الجداول — والخمائل . وتأثر بالمتنبى وبشعر أبى المعرى حتى أنه أخذ عنه تشاؤمه . ثم خلع عن نفسه هذا التشاؤم وسار خلف موكب الحياة المشرق . وهو مقل فى شعره وقال فى تعليل ذلك « لأن ليس هناك شىء يثير العاطفة » وقال إن الأديب العربى فى أمريكا يعطى ولا يأخذ لأن البيئة التى يحيا فيها لا تنفعل به وإن المادة طغت على الروح . وإن العالم الحاضر هو عصر الآلات . وقد اخترع الإنسان الآلة ليستعبدها فإذا بها تستعبده .

بوشكين

بوشكين للروس . كالمتنبي للعرب . وشكسبير للانجليز . ودانتي للايطاليين . وجوته الألمان . إنه يمثل الأدب الروسى منذ بطرس الأكبر حتى نيقولا الأول . تأثر بالأدب الفرنسي . ثم اتجه إلى الأدب الانجليزى . وأخذ ينحو نحو شكسبير مع محافظة تامة على الروح الروسى . وتأثر بالمحيط الإسلامى على أثر زيارته للقرم والقوقاز وحفلت حياته بالمشقات والمحن . وشعر بالحياة الزوجية تغمر نفسه بالهناء رغم الضائقة المالية « إننى أشعر كأننى ولدت ثانية » كانت زوجته لؤلؤة المجتمعات الروسية . وباقة زهرها . وصف بأنه بداية الانطلاق الروحى للأدب الروسى . كان غزير المادة وافر الانتاج . وبوشكين « نبيل » كان ناقما على مجتمعه الاستبدادى يوم كان مالك الأرض يملك الفلاحين كما يملك الماشية . طالب بالحد من سيادة النبلاء فى روسيا . وقد تلاه تولستوى الذى كان آخر من اختتم تلك الدعوة بانفصاله عن بيئته ومحاولة توزيع أراضيه بين الفلاحين الروس . وكان بوشكين ذا إرادة قوية طموحا . محبا للعمل . عظيم الحيوية . ومع ذلك فقد كانت تزعجه صغائر الأمور . وكان عرضة للنزعات الداخلية المتقلبة . وهو يتجه أحيانا نحو غاية ثم ينصرف عنها تارة أخرى . وقد اتسم إلى ذلك التردد بقوة معنوية خارقة يرجع إليها الفضل الأكبر فى المحافظة على مستواه الأدبى . فقد كان محبا . مندفعا نحو الانتاج . يصل حياته بالنظم والتأليف . حتى وصف العمل الفكرى بأنه هيكله المقدس . حيث كان ينسى متاعبه وتضيع الآمة وتتجدد روحه وقواه . وقد أصدر عام ١٩٣٥ مجلة « المعاصر » ونشر فيها عدداً كبيرا من كتاباته وقصائده ومقالاته . أبرز قصصه « الأرواح الميتة » وقد انتقد فيها المجتمع الروسى نقداً لاذعا . « وابنة الربان » واستطاع بوشكين أن يجدد الأدب الروسى وأن يترك فيه آثاراً حية عميقة وقد عاش سبعا وثلاثين سنة .

بيكاسو

« الرسام . الشاعر . الأسبانى . » الذى انقسم الناس فى فهم حقيقته . فقال بعضهم « عبقرى فذ » وقال آخرون « مهرج مهذار » ووصف بأنه رجل المعجزات فى توافق الألوان وتركيب الأشكال : ولد فى ٢٥ أكتوبر ١٨٨١ فى « ملقا » من أعمال أسبانيا . أمضى شبابه فى برشلونة . تأثر هناك بطبائع أهلها . أثر هذا فى رسومه . أحب الأندلس وزخارف الأندلس وأحب البحر بدأ هوايته للرسم فى سن مبكرة . مصدر ذلك أن أباه كان مدرسا تعلم فى أكاديمية برشلونة . ثم درّس بها . ترك أساليب الرسم الاتباعية المعروفة . وتحرر منها وأزمع أن يتوفر على الرسم حسب وحيه وحسه . ولما وصل باريس فى سن التاسعة عشرة رفض ممارسة الرسم عند الرسامين وفضل الاتصال بالكتاب والفلاسفة . حيث تكشف له ميدان جديد من صراع الأفكار والفلسفات . وصادق « ماكس جاكوب » ولكنه لم يلبث أن عاد إلى أسبانيا حيث آثر الكسل والتشرد . كانت هذه فترة إعداد وتهيؤ لحواسه الفنية جميعا فإنه لم يلبث أن عاد إلى باريس من جديد خالى الوفاض . وشارك صديقه ماكس غرفته . وبدأ يعمل . وعرف عنه من بعد أنه رسام ثورى . حتى قيل إنه لم يزر أوربا من لا يشاهد شيئين : البابا فى قصره وبيكاسو فى مرسمه . ولما زار هولندا تأثرت طريقته بالفن الهولندى وتطورت وكان يحب اللون الأزرق . ووصف بأنه أحد كبار مستعملى التكعيب فى التصوير . وفى عام ١٩٣٦ أهمل الرسم واتجه نحو الشعر ثم لم يلبث أن عاد إلى الرسم أحب الحياة على البحر المتوسط الذى أوحى إليه الكثير من رسوم إلهات البحر وجنياته التى صورتها أساطير اليونان .

كان يقول « إن الفن هو كذب بصورة الحقيقية »

جبران خليل جبران

عاش جبران بين الحب والألم حياته كلها . ثمانيا وأربعين عاما من جبل لبنان الخالد إلى بوسطن ونيويورك وباريس . يكتب ويرسم . بالعربية والانجليزية . كان في قلب جبران وعقله شيء واحد : الفن سواء كان رسما يرسم أو كلاما يكتب . ولما قصد إلى بيروت ليدخل مدرسة الحكمة ويتعلم العربية أحس بالفشل . ثم ذهب في موكب المهاجرين إلى أمريكا ثم قصد إلى باريس يرتاد المتاحف ويشاهد آثار ميكلانجو ورمبرانت وروبنسن . ثم عاد إلى بوسطن حيث وجد أمه واخوته في أشد حالات الألم لقد مات بطرس وماتت الأم بالسل وبقيت أخته مريانا تنفق عليه من ثقب إبرتها وعرف في بوسطن الحب الذي يعطي الروح والجسد الذي يعطي المادة . عرف ميشلين الجميلة وماري هاسكل الثرية وتمنى لو أن الله مزجهما في امرأة واحدة . « كان حبي للاثنتين خالصا وفيا . ماري هاسكل لتجردها من الرزائل . فقد امدتني بالمال وقت حاجتي لها . وكانت أمنيتها أن تراني أرتقي مدارج الشهرة والمجد في الرسم . أما الثانية فقد أحببتها لجمال روحها وجسدها . كانت ماري أكبر مني وميشلين أصغر مني » وأرسلته ماري إلى باريس على نفقتها وهناك قال « يا ليت روح ماري كانت في جسد ميشلين » وعاد بعد جولة في أوربا ليبدأ حياة جديدة كتب عرائس المروج والأرواح المتمردة . وبدأ ينشيء أدبه المتمرد الملىء بالحرية والصراع والثورة . أحب نيتشة وفتنته دعوته إلى الإنسان الأعلى . وكان من جرأة رأيه أن حرمته الكنيسة من حقوقه وحكمت عليه بالنفي . وكان كتابه « النبي » أقوى كتبه . كانت شخصية النبي هي خلاصة أفكاره فقد كتبه بالانجليزية وطبعت منه مئات الألوف . وأثرى جبران وتحولت حياته . وكثر المعجبون به وانطوى اللون الجريء من أدبه وبدأ أدب المجاملة . ومضى يكتب ويرسم وروحه القوية تنازع الداء وتصارع الألم . ولم يلبث أن عاد ولكنه عاد جدثا بعد ثمان وأربعين عاما قضاها على الأرض . توفي عام ١٩٣١ .

روفائيل

عاش حياة قصيرة كعمر الزهر . مات فى السابعة والثلاثين من عمره أحاطت به ظروف قاسية أدت إلى صقل نفسه وإبراز مواهبه . ماتت أمه وهو فى سن الثامنة وتزوج أبوه من أخرى كانت تعامله بكل قسوة . مات أبوه وهو فى الحادية عشرة تحققت أكبر أمانيه فى سن الحادية والعشرين إذ سافر إلى فلورنسا حيث شهد المنافسة الفنية بين ليوناردى فينشى . وميكال انجلو . دعاه البابا بيوس الثانى إلى تزيين قصر الفاتيكان بصور من ريشته . كما أحبه وقربه البابا ليو العاشر : ولد « أمير المصورين » فى أوربينو (ابريل ١٤٨٣) وعرف برقة الاحساس وطيب القلب وحب الفن . محبا للخير يقبل على عمله بشغف وكان إلى ذلك جميل الصورة عذب اللسان حلو الحديث راضيا عن الدنيا غير متبرم بها وكان أبوه شاعراً مصوراً وقد أتم لوحة «الفارس» وهو فى السابعة عشرة من عمره . وأستاذاه هما : ديلافيت و «بيتر وبيروجينو» وقد استطاع أن يصل إلى درجة أستاذه من البراعة والاتقان .

وعندما سافر إلى فلورنسا أحبها وقرر الاقامة فيها . وقد كان لمشاهداته هناك من مختلف الدرر الفنية الثمينة فى عالم الفن أثره فى اتجاهه الجديد فى التصوير .

وقد صور عام ١٥٠٥ «العذراء» و« البستانية الحسناء» وعرف روفائيل بالمقدرة الفائقة على استعمال الألوان ومعرفة فنيتها . كما جمع بين المذهب المثالى والمذهب الواقعى فى الرسم » وتعد صورة العائلة المقدسة أبرز صوره فى اتجاهه الدينى الواضح . وعرف روفائيل غادة إيطالية حسناء أحبها فكانت ينبوع شعوره وإحساسه وملهمة روحه ووحى نفسه وقد صورها فى لوحة « الفورنارينا » أو الفتاة المتشحه .

وعرف عنه أنه كان لا يحب الوحدة . ولا يسير إلا وسط حاشية من محبيه والمعجبين بشخصه وفنه وقد أقام فى روما فترة من الزمن .

توفى فى ٦ أبريل ١٥٢٠ .

الشريف الرضى

أنا النضار الذى يضن به   لو قلبتنى يمين منتقـــد

شاعر الرافدين الذى جهله زمانه . ولقى عقوقا من قومه . ومازال قبره مجهولا . له ضريح فى الكاظمية ويقول مترجموه أنه دفن فى كربلاء . قيل أنه هو الذى كتب « نهج البلاغة » المنسوب إلى الإمام على . وهو أعظم شاعر تغنى الحب والجمال وهو نقيب الاشراف . وله قصائد اسمها « الحجازيات » وقال الشريف فى الصداقة شعراً رائعا . واهتم بالعلا والمعالى . وكان عفيفا كافح فى سبيل المجد . وقيل إن الذى أخمله هو « النشيم » وكان فارسا لايشق له غبار ، عاشقا ، سياسيا ، شاعراً رحالة ، حمله التعفف على هجر أبواب الرؤساء . اعتقل أبوه وحبس فى قلعة فاس سبع سنوات نتيجة للخلافات السياسية مع عضد الدولة ، وصودرت أملاكه . وبدأت أعوام البؤس فى حياة الشريف . درس العلوم العقلية والنقلية . وعرف بالنبوغ الشعرى الباكر . ولكنه أصبح ذليلا بعد العز والغنى فكان يرى الدنيا بعين الشيوخ وهو فى الشباب . وقد أفاد من أعوام البؤس نعما باقية . وأحب أباه حبا كان يتلهف عليه تلهفا موجعا على حد تعبير الدكتور زكى مبارك الذى ألف عنه كتابا ضخما . وقد أحس بالفقر والضنك نتيجة لتصونه عن السؤال . فاضطر إلى بيع ما تملك أمه فغلب عليه التبرم والضجر وأصبح رجلا يعطف على مصائب الناس . وكان الشريف حر العقل فلم يستسلم للخلاف بين السنة والشيعة . ومضى يدرس فى نزاهة وسماحة كل المذاهب ليزداد قوة بمعرفة العلم . وله شعر فى مدح العروبة والإسلام . واتسم أدبه بالقوة والعزة . وهو إلى ذلك كاتب بليغ الأسلوب لا يطنب ولا يستطرد . وله كتاب «المجازات النبوية» وكتاب « حقائق التأويل » . وقد كتب فى الفقه والتوحيد والنحو والبيان . وقد قيل أنه هو الذى كتب « نهج البلاغة » المنسوب إلى الإمام على .

توفى ١٠١٦

شتراوس

عرف بلحنه الرائع « الدنواب الأزرق » الذى خلد اسمه وكتب اسم « ڤينا » فوق هام الدهر . وقد عاش جوهان ستراوس الفنان الرقيق إلى سن الأربعين عاطشا إلى الحب . فلما جاءه الحب اندفع يعب منه فى قوة وعنف .

ولكن أيام حبه لم تكن خيرا على الفن ، فقد كانت تأخذ بمجامع روحه حين يهب لها عواطفه كلها فلا يفرغ إلا لذلك الإله الاسر الذى يكبل النفس ويذهب بها .

كان أبوه موسيقيا . قاد فرقة صغيرة وهو يخطو نحو العاشرة من عمره وقد أجاد معظم الآلات فى سن مبكرة . وعرف بسرعة الإنتاج . كما عرف من بعد بحبه لزوجته وخضوعه لها وسيطرتها عليه . وقد ظهر أثر هذه السيطرة فى ألحان إحدى أوبراته التى صور فيها لحظات حياته ولونا من الروح الذى يسود الحياة العائلية وقد صور فيها جهاده فى شبابه وكفاحه وقد جاهد وثابر وواصل العمل ليلا ونهاراً حتى وصل إلى النصر .

وهو من المؤمنين بضرورة وجود موضوع لكل دور موسيقى ولا يفهم الموسيقى على أنها مجرد أداة للتسلية أو الطرب وإنما لمعنى أعظم من ذلك وأكبر . حفظ فى شبابه أنغام فاجنر ومن أقواله : الموسيقى هى التى تشرف المكان وليس هو الذى يشرف الموسيقى وقد سميت موسيقاه « صور متحركة » أمام الأذن حيث كان يصور الحياة تصويرا دقيقا مفصلا ويكاد شتراوس يحلق إلى بتهوفن وهو فى نظر ناقديه قد سبق باخ وموزار . وتملأ موسيقى شتراوس القارات الخمسة .

عبد الرحمن شكرى

الرجل الذى ظلمه قومه ومعاصروه وزملاؤه فاعتزل . وهو الذى فتح الباب أمام الشعراء المعاصرين بعد ثورة ١٩١٩ على الآفاق الجديدة للأدب الإنسانى . ولد شكرى ١٨٨٦ بالاسكندرية . ونشأ فى بيئة فيها شعر وأدب . وفى مكتبة أبيه وجد ديوان ابن الرومى وابن الفارض والبهاء زهير وقرأ الوسيلة الأدبية للمرصفى والشريف الرضى ورأى عبد الله نديم وتعلم فى القاهرة وسافر إلى أوربا وأوغل فى دراسة الأدب الانجليزى فاتسعت آفاق ثقافته وتحول تفكيره واتجه إلى الشعر الفلسفى وبدأ ينظر إلى الأدب نظرة جديدة . واشتغل بالتعليم ثلاثين عاما . لم يكن محبا للشهرة عازفا عن الظهور . بلغ السبعين ولم يتزوج . وقال العقاد عن شعره « إنه لا ينحدر انحدار السيل فى شدة وصخب وانصباب ولكنه ينبسط انبساط البحر فى عمق وسعه وسكون . أصدر سبعة دواوين وكتب الصحائف والاعترافات وحديث ابليس والثمرات آخر مؤلفاته طبع عام ١٩١٩ لم تتجدد طبعات كتبه بعد . وقد هاجمه العقاد والمازنى وحملا عليه حملة قاسية اضطرته إلى اعتزال الأدب . وأن ظل حياته فى سلك التعليم حتى بلغ الغاية . وكتب فى المقتطف والهلال والرسالة حتى عام ١٩٣٦ وقد رسم فى كتابه « الاعترافات » مشاعره وقد نشره فى الجريدة عام ١٩١٣ وهو فى سن العشرين ووصف شكرى نفسه بأنه سوادى المزاج فقال « كنت أتمنى أن أقطف أزهار الحياة كلها . وأن أخرج من الحياة عطرها . كنت أتمنى أن أمتع نفسى بكل شيء فى هذا الوجود وفى كل وجود تتصوره وتتوق إليه النفس . كنت أتمنى أن أعانق الوجود وأن أقبله قبلة أسقى بها كل ما فى روحه من الجمال والجلال » ومما يذكر أن عبد الرحمن شكرى عندما أحس بالظلم حول معاركه إلى دراسات نفسية ومباحث قائمة على أصول من العلم وهو فى هذا لم يواجه خصومه بالنقد أو السجال أو الهجاء . توفى فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٨

هوجو

« البراءة أعلى من الفضيلة . البراءة جهل مقدس . قد تدل الابتسامة على الموافقة . ولـكن الضحكة فى الغالب رفض . فى الدنيا شىء يقال له غضب الوضاعة . الفرق بين الزعيم والفيلسوف أن الفيلسوف كثير التأمل والتأمل يؤدى إلى الشك ، أيها المسيح إن كلامك قديم لا ينفعنى ولا يصلح لجيل جديد » عاش « فـكتور هيجو » حياة صاخبة مضطربة بين الحب والبغض وبين النفى والاختفاء وقد كان لآلامه واحزانه اثرها فى شعره . فقد كان يطلق العنان للتنفيس عن ألمه المكبوت فى قصائد رائعة ما زالت من أقوى تراثه مؤلف البؤساء الشاعر الذى صور الألم والفقر والحزن فى صورة عميقة مثيرة ظلت طوال الأيام قوية حية . وأحد أعلام الأدب الرومانتيكى .

وقد نادى هوجو بالملـكية فى قوة وجرأة وأعلن الحرب على الجمهورية وانقلب على لويس بونابرت وخطب وسط الشعب خمس ساعات متوالية . وهرب بعد الانقلاب السياسى . والهمه النفى كما ألهم شوقى . وفى حوالى الثمانين بدأ يتشكك فى العقائد فوضع كتاب الخليفة عن البابوية .

وقد سافر إلى أسبانيا للمرة الأولى فى حياته فأحب هناك الجمال الأسبانى . وفى ١٨٥٢ استقر فـكتور هيجو فى منفاه ولحقت به أسرته وعاد ١٨٧١ إلى فرنسا وكانت الشيخوخة قد اثقلت كاهلة . توفى ١٨٨٥ وكان قد ولد ١٨٠٢ .

وله كتاب مأساة « هنرانى » وقد ترجمت مؤلفاته إلى عدد من اللغات واستطاع بكفاحه الأدبى وتفوقه البالغ أن يصبح عضوا فى الاكاديميه الفرنسية حيث ضم إلى موكب الخالدين فى ١٥ ابريل ١٨٤٥ .

ثم اختير عضوا فى الجمعيتين التأسيسية والتشريعية ومجمع بوردو ومجلس الشيوخ

الهمشرى

شاعر الطبيعة المصرية الذى مات فى صباه قبل الثلاثين · ولد بالسنبلاوين فى يولية عام ١٩٠٨ ومات فى ديسمبر ١٩٣٨ على أثر عملية جراحية .

وأبرز مميزات الهمشرى الواضحة فى شعره : الكآبة والحزن العميق وذكر الموت بمناسبة وغير مناسبة · ثم التدين والالحاد فى نفس الوقت · وهو يمثل الفترة التى عاشها الشباب منذ ربع قرن ، عندما لم يكن فى استطاعته التصريح بعواطفه والكشف عن أهوائه ·

وهو من تيار مدرسة مطران الرومانتيكية المجددة فى المعنى · ومن المعجبين بالأدب الانجليزى والشعراء السكسون أمثال شيلى وبيرون وجولد سميث وقد ترجم لشلى قصيدة القبرة شعراً وترجم لجولد سميث قصيدة القرية المهجورة · وكتب نقداً للعقاد قارن فيه بين كروانيات العقاد وأفراح القبرة لشلى ·

وكان الهمشرى من دارسى علم العروض · وقد أبدع ملحمة « شاطىء الاعراف » التى كشفت عن قدرته على البناء الفنى · ووقف شعره على الفن وحده فلم يمدح ولم يسخر شعره لغرض من الأغراض · وله قصيدة النارنجة الذابلة وقصائد عن النخيل وحدائق الشفق وليس له ديوان مطبوع . وقد استقبلت قصائده فى السياسية الأسبوعية عند نشرها بالتقدير من الدكتور هيكل . ويعد الهمشرى من شعراء الطبيعة الذين يستأثر بهم الهرب من الواقع إلى الشغف بالعودة إلى الماضى والطفولة وصور المهد الأول ·

والتحق الهمشرى بكلية الآداب ولم يتم دراسته وكان يعمل كاتبا بوزارة الزراعة وأبرز معالم شعره الحنين إلى المجهول . والقلق من الواقع · والهروب من الحياة إلى الطبيعة متطلعا إلى العزاء والسلوى ·

الجواهري

أنا العراق لساني قلبه ودمي   فراته وكياني منه أشطار

عاش محمد مهدى الجواهرى معاصراً لثورات العراق ، جاعلا شعره مرآة الوطنية الثائرة ضد الاحتلال . معاصراً للقديم والحديث آخذاً من الجيل القديم أسلوبه .

وقد طرده الاستبداد من العراق فعاش فترة فى مصر ثم فى سوريا وفى عام ١٩٤٨ عندما قامت فى العراق ثورة كبرى ضد معاهدة « بورتثموث » فى عهد وزارة صالح جبر ، استشهد شقيقه فيها فاندلعت فى نفسه نار محرقة كان يصبها دائما على الاستعمار وعملائه من حكام العراق قبل ثورة تموز ١٩٥٨ .

وهو يصور نفسه حين يقول : « أنا خصم الاقطاع والادقاع » وقد عاش معركة الحرية والقومية العربية ، قلقا مشرداً مهاجرا من قطر إلى قطر يلقى من كل الحكومات الرجعية الاضطهاد وقد تكلف من أجل ذلك حياة خشنة وهجرة وغربة وقد ربط « الجواهرى » نفسه بقضايا الحرية والاستقلال وآمن بالحرية والكرامة والقومية العربية وأول ديوان له « قارعة الطريق » وقد قدمه بكلمات صور فيها حياته على هيئة حوار بينه وبين عابر سبيل كان مجمله قوله « هم يريدوننى أن أرقص . مثل القرود تماما ولكنى لم أوهب سعة حيلة القرد . وحاكمهم هو الذى يدفعهم إلى حلبة الرقص» ولب آراء الشاعر أنه يحلم بمستقبل لوطنه لاعبودية فيه ولا كهانة ولا جوع ولا عرى

وقد هاجم الجواهرى البيت الهاشمى فى ابانه وفى عنفوانه كما هاجم الاقطاع والاستبداد والحزبية ومن ذلك قوله :

مل المقام بموطن مستعمر   صافى به سراقه الخفراء

وأعلن كراهته للمترفين والظرفاء والمجاملين الذين يماونون الاستعمار بهذه السلبية . وقد عاش الجواهرى حتى شهد فجر الثورة وعاد إلى العراق منتصراً .

عمر فاخورى

« ليست سنة الوجود المحافظة ولا البقاء ولا الجمود بل التطور والتحول والصيرورة . وهل التاريخ الانسانى إلا حكاية النزاع المستمر بين قوى الرجعية ونزعة التقدم فى فكر الانسان وفى أوضاعه » ذلك هو منطق عمر فاخورى أديب لبنان الذى توفى فى ربيع عام ١٩٤٦ بعد حياة زاخرة بالقيم الأدبية والسياسية قدم إلى المطبعة أول انتاجه عام ١٩١٣ وكان كتاباً صغير عنوانه « كيف ينهض العرب » أعلن فيه إيمانه بأن الرابطة القومية بين العرب أشد وأقوى من الرابطة الدينية . عندئذ ثار عليه رجال الدين وشكوه إلى الوالى التركى الذى أصدر أمراً بمحاكمة عمر فاخورى ودرس عمر الصيدلة حتى عام ١٩١٨ ثم تقلب فى بعض الأعمال الصحفية حتى سافر ١٩٢٠ إلى باريس لدراسة القانون . ولما عاد إلى بيروت بعد عامين بدأ حياة جديدة أصدر كتابه « لاهواده » هاجم فيه النازية والفاشية . وكان قلمه سيفا مصلتا على الرجعية والاستبداد والاستعمار حارب أدب الألفاظ . وجدد أسلوب التعبير . غلّب المعنى على الزخرف . وحمل دعوة الأدب فى سبيل الحياة وندد بدعوات اعتزال الأدباء عن المجتمع . وآمن بالتطور . وكان انسانى النزعة . يحب المنطق العلمى ولعل أبرز أحداث حياة عمر فارخورى أن شاهد اخوته عمر حمد وعبدالغنى العريسى ومحمد ومحمود المحمصانى وهم يستشهدون على مشانق احمد جمال السفاح . وقال عمر وهو يبكى صديقه عمر حمد : إن موته فى سبيل الحرية هو أعظم قصيدة نظمها وأروع نشيد ترفعه الأرض إلى السماء وفى الوقت الذى كان عمر حمد يمد قصائده الوطنية الحارة ، كان هو يضع الخطط العقلية للثورة العربية فى كتابه حيث قال الطالب ذى السبعة عشر عاما لأهل وطنه إنهم لن ينهضوا من وهدتهم ويستعيدوا حريتهم حتى يتمسكوا بقوميتهم العربية وكان ان اتهم باهانة الدين وكادوا ينفونه لولا انقذه قريبه « محمد فاخورى » ومن أبرز عبارات فاخورى قوله : ليس حسبنا أن نعيش كما نعيش . ينبغى أن نفكر كيف يصح أن نعيش .

ابن الرومى

لم تعرف شخصية جمعت الكثير من المتناقضات مثل ما عرفت شخصية ابن الرومى . فهو غريب الأطوار والأدوار . لا يستقر على حالة واحدة . يمدح انسانا ثم لا يلبث أن يذمه . وقد ذم البخل ثم مدحه . وكذلك فعل فى الزهر والورد . وقد رد علماء النفس ذلك إلى طبيعته المتناقضة وأعصابه المضطربة . وعرف ابن الرومى بالتطير . وقد استطاع الأخفش أن ينال منه كثيرا لهذا التطير فكان يرسل من يقرع عليه باب داره باكرا ويتسمى له بأقبح الأسماء فيمنعه ذلك من الحركة طوال يومه . بل لقد تجرا عليه كثير من الناس بما يكره من الأسماء لاثارة طيرته وتشاؤمه . فيحبس نفسه فى بيته ولا يخرج . ورد ذلك إلى أنه كان مريضا ضعيف الأعصاب وكانت به علة السوداوية . وقد وصفه أبو العلاء المعرى فقال إن خياله أكثر من قوة العقل والتحليل فيه . فهو لا يعلل الأشياء بعللها الطبيعية . وعرف ابن الرومى بحب الحياة وبلغ غاية النهم فى المشرب والمآكل . وقيل إنها هى التى قتلته . وقد هجا شهر رمضان لأنه يحول بينه وبين الطعام . وصف الأطعمة وصفا يدل على حبه لها . وقال عن العنب أنه مخازن البلور وأن له مذاق العسل ونفحة المسك ورقة الماء على الصدور . وقد عرف ابن الرومى بالتشيع . وقد مدح آل البيت ودافع عن العلويين وأعلن عداءه للعباسيين . وقد جمع الاعتزال إلى التشيع . وكان يملك ضيعة ودارين وبعض التحف وقد طلب الرزق بشعره . ووصف بأنه ساهم النظرة يلوح عليه الوجوم ناحلا تبين فيه العصبية . كث اللحية ، اصلع أشيب . ضعيف البناء اصطلحت عليه العلل والأسقام . مقوس الظهر . وقد وصفه ابن رشيق القيروانى بأنه أولى الناس باسم الشاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه . وأجمع النقاد على أنه يتقصى المعانى ويخترعها ويولدها . وقد أشتهر بالوصف والتصوير . وصف أهوال الماء فى بحر دجله وريح ايلول . عاش من ٨٣٦ إلى ٨٩٦ م

علماء ومخترعون

أديسون

قضت ظروف معيشة أسرته أن يعمل باكراً بائعاً للصحف سعياً وراء القوت بين الشوارع ومحطات السكة الحديدية كما باع الكتب والحلوى فلما بلغ العشرين من العمر تحول من بائع صحف إلى صحفي فاصدر مجلة صغيرة سماها « ويكلى هيرالد » كان يحررها ويصفها ويطبعها بنفسه على آلة طباعة صغيرة اشتراها ظهر العدد الأول (٣ فبراير ١٨٦٢) ولم يلبث ربحه من مجلته أن بلغ ٤٥ دولاراً فى الشهر . ولكنه سرعان ما اتجه نحو آلات التلغراف والأسلاك وزجاجات بعض المواد الكيماوية حيث كان يقضى فراغه فى اختراع آلة تلغرافية من نوع جديد . فلما مضى فى عمله قليلا وأحس بالنجاح الحق نفسه بوظيفة عامل تلغراف ليلى فى محطة بورت هوردن . وتنقل فى عمله بين مدن كثيرة ، إذ كان رؤساؤه يضيقون بانكبابه على المطالعة والتجارب العلمية ثم اعتزم السفر إلى « بوسطن » لاستكمال ابحاثه فى الكهرباء . يعمل ليلا ويطالع ويجرب نهاراً فى معمله الصغير . حتى سجل أول اختراع كبير له فى سنة ١٨٦٩ وهو فى سن الثانية والعشرين « جهاز كهربائى لتسجيل أصوات الناخبين » وحصل بعد ذلك على ٤٠ ألف دولار من اختراع له قدمه إلى إحدى الشركات . هنالك جهز مصنعا جديدا فى مدينة نيوجرسى واستخدم نحو ثلاثمائة عامل وتوالت مخترعاته التلغرافية . ثم اخترع آلة تلغرافية تسجل مائتى كلمة فى الدقيقة وترسلها فى سلك واحد طوله مائتا ميل ثم حسن استقبالها فصارت تسجل فى الدقيقة ٣٢٠٠ كلمة . وفى سبيل إخراج هذا الجهاز قرأ أكداساً من الكتب وأجرى أكثر من ألفى تجربة كان يأكل أثناء قراءته وينام على الكرسى الذى يجلس عليه . وفى عام ١٨٨٠ بلغ القمة إذ اخترع المصباح الكهربائى والفونغراف والسينما وكان قد أمضى فى تجارب المصباح ثلاثة عشر شهرا متواصلة وأنفق مائة ألف ريال وسجل ابتكاراً لتحسين البطارية الكهربائية وعدداً من المخترعات الدقيقة وتوفى فى ١٨ اكتوبر ١٩٣١ فى الرابعة والثمانين من العمر .

المكفوف الذى وهب النور للمكفوفين · فقد عينيه عندما وقع على الأرض وأصاب أحد المثقابين عينه حيث فقئت أحداهما وجرحت الأخرى جرحا بالغا ألحقها بأختها بعد أيام ولما بلغ العاشرة أرسل إلى معهد للعميان فى باريس حيث بدأ يتعلم القراءة والكتابة بواسطة الحروف البارزة التى كانت معروفة حينئذاك · وكانت ضخامة الحروف المستعملة فيها تحول دون الانتفاع بها إلا بمقدار وكانت كتابة قصة قصيرة بواسطتها تستغرق عدة مجلدات كل منها يزيد على بضعة أرطال وأصبح برايل مدرسا بالمعهد الذى تخرج منه . وفى خلال هذه الفترة كانت فكرة تيسير القراءة للمكفوفين تشغله وتملأ عليه وقته وحياته . وقرأ أن هناك طريقة رمزية للكتابة تستعمل فيها نقط وعلامات خاصة بدلا من الحروف وذلك لكى يتمكن الضباط والجنود من قراءة الرسائل التى يتلقونها فى الخنادق المظلمة ونحوها دون الحاجة إلى إضاءة المكان ومضى على الإثر خمس سنوات يحاول . بين النجاح والفشل ، دون أن يتراجع أو ييأس . ولم يلبث أن وفق إلى وضع رموز سهلة للحروف الأبجدية والعلامات الموسيقية والأعداد الحسابية · وفى عام ١٨٣٦ كان برايل قد أعد فى طريقته هذه كتابا ضخما من مختارات شعر « ملتون » الشاعر الأعمى ثم أخذ يلقى محاضرات عن طريقته الجديدة بالمعهد الذى يعمل فيه ويدعو الأساتذة فى معاهد العميان بفرنسا ليشرح لهم طريقته ؛ ويبين لهم كيف يستطيع أن يكتب بها أى قطعة تملى عليه ثم يتلوها بنفس السرعة التى يكتبها بها المبصرون ولكن الحقد والغيرة دبت فى نفوس أولئك الأساتذة فسفهوا آراءه واتهموه بالغش ولكن بريل لم ييأس ومضى يلقن كل من يتصل به وقد استطاع الكثيرون العزف على البيان بواسطة علاماته المميزة ومات بريل فى الثامنة والأربعين من عمره وعرف قدره بعد موته بقليل فاقيمت له التماثيل فى كثير من معاهد العميان (توفى ١٨٦٠)

باستير

تعلم من أبيه « دباغ الجلود » الصبر والجلد . وكان قد اتجه منذ صباه إلى تعلم الـكيمياء . وهو يقول « ليس بين الدباغة وبين الـكيمياء إلا خطوة قصـيرة . وفى سبيل حصول باستير على الدكتوراه اضطر إلى تقليل كمية طعامه ونفقاته .

عين «لويس باستير» فى عام ١٨٤٩ أستاذا للـكيمياء فى جامعة «ستراسبورج» وأحب مارى ابنة عميد الجامعة . « ليس فى هيأتى مايجذب الفتيات ولـكن ذاكرتى تقول لى أن جميع الذين عاشرونى مدة كافية أحبونى . وسوف تظهر لك الأيام أن خلف هذا المظهر البارد قلبا يفيض بالعاطفة المتأججة !

وتزوج . وفى لحظة الزواج كان فى معمله يحاول أن ينتهى تجربة خطيرة . ومضت مارى تساعد زوجها على شق طريق الخلود والمجد .

ومضى باستير فى معركة الجراثيم والمـكروب واهتدى إلى « التعقيم » وهو طريقه البستره بتسخين السائل إلى الدرجة التى يموت منها الجراثيم دون أن تضار خواص السائل ذاتها بأى سوء .

وواصل ابحاثه حتى قضى على حمى النفاس التى تصاب بها النساء عادة عقب الولادة وبذلك أنقذ ملايين النساء . كما تم له اكتشاف نظرية التلقيح بالأمصال للوقاية من الأمراض الخطرة .

قال باستير «أن أهم ثلاث كلمات هى : «العزيمة والعمل والصبر» وهى الدعائم الثلاث التى بنيت عليها هرم نجاحى » .

وكان باستير هو ثالث اخوته وقد تنازل لهم عن نصيبه من الميراث . وكان يفخر بذلك ويقول إنى لا أملك إلا صحتى وشجاعتى وعقلى . وقد لاقيت النجاح لأنى حافظت على أملاكى هذه .

تسيولوفسكى

أبو القمر الصناعى: العالم الذى سبق زمانه وكرس حياته للبحث عن وسائل السفر إلى الكواكب مؤسس نظرية المحركات النفاثة . وصاحب النظريات التى مهدت الطريق أمام العلماء للسيطرة على الفضاء وغزوه . ولد فى ١٧ سبتمبر ١٨٥٧ فى قرية أزيفسكايا من أعمال مقاطعة ريازان . أصيب بفقد سمعه وهو طفل فعلم نفسه بنفسه . ونزح إلى موسكو يقضى وقته فى المكتبات العامة . ونجح فى امتحان التدريس وعين مدرسا للرياضيات والطبيعيات وعاش حياته فى مدينة كالوجا . دارت فى رأسه منذ سن السابعة عشرة نظرية الطيران خارج جاذبية الأرض : يقول « إن الأمر يبدأ فكرة تتطور إلى خيال ثم أسطورة . ولكن التفكير العلمى يحولها إلى التنفيذ والنجاح » ومضى فى تجاربه الرياضية والطبيعية . فاحرز انتصارات باهرة فى علوم والصواريخ ونظريات السفر بين الكواكب . كان يصنع أجهزته بيده لأنه لم يكن يملك إلا مرتبه الضئيل وفى الوقت الذى كان العلماء يصممون أول طائرة ذات محرك عادى كان هو يفكر فى إمكان صنع طائرة موجهة ومحرك نفاث لطائرة . ونشر مؤلفه عن الفضاء عام ١٨٨٣ ومؤلفه « كشف غوامض الفضاء باستعمال آلات تطير بالقوة النفاثة عام ١٩٠٣ حيث اقترح صنع صاروخ ضخم يقتحم الفضاء إلى الكواكب . ودرس الصاروخ والحركة الناشئة عن المحرك النفاث وتأثير الجاذبية ومقاومة الغلاف الهوائى للصاروخ وحسب كمية الوقود اللازمة لدفع صاروخ خارج الغلاف الهوائى للأرض ووضع أول تصميم للصاروخ عبارة عن أسطوانة معدنية فى مقدمها حجرة تحوى أجهزة القيادة وتحمل الملاحين والركاب . وفى ١٩٢٩ قدم تصميم الصاروخ ذى المراحل المتعددة وهو الأساس الذى قام عليه الصاروخ عابر القارات الذى حمل القمرين الصناعيين اللذين أطلقتهما روسيا ومات ١٩٣٣ . بعد أن عمل أربعين عاما فى ابحاث المحركات النفاثة والصواريخ

زرادشت

« بالحق تحرك قلبى . وبالنية الطيبة تلهم عقلى . وبعظمة القوى الروحية الـكامنة فى قرارة نفسى أسجد تمجيدا لك يا إلهى وعلى شفتى تسبيحات حمدك ».

هذا دعاء زرادشت الفيلسوف الذى عاشت آراؤه وأفـكاره حية فى نفوس الفرس أمداً طويلا . ولد ٦٦٠ ق م وتوفى ٥٨٣ ق . م فى أقليم ازربيجان بإيران . وقام بدعوته الدينية من منطقة بلخ . وروى أن ملـكا عاتيا من ملوك زمانه بلغته أنباء ولادة الطفل العجيب — الذى ظهرت لدى ولادته الخوارق — فازمع قتله حتى لا يكون منافسا له فى سلطانه فأسرع إلى بيته وانتزع الطفل من مهده واستل خنجره وهم بذبحه ولـكن يده شلت ويبست .

وما أن بلغ زرادشت الثلاثين من عمره حتى اعتزل الناس وآثر الوحدة حيث لجأ إلى قلل الجبال الإيرانية واتخذ من الحياة والطير والحيوان والشمس والقمر والنجوم أساتذة له يتلقى عنها أسرار الحياة . ورأى فى وحدته أشياء لم ترها عيناه من قبل وأدرك كنه الله «أهرفردا» وقد سفر فى قرارة نفسه أنه رسول من عند الله إلى بنى البشر . كانت دعوته هى رسالة الأمل إلى بنى الانسان وهدفه تخليص الناس مما هم فيه من شرور ومفاسد وضلالات عاملا على إنشاء نظام اجتماعى وخلق جديد وقد اتجه زرادشت إلى أهله وبنو عشيرته حيث دعاهم دعوته . وأخذ ينتقل بين الناس ويتحدث فى بساطة وإخلاص

قال إن دينه الجديد أساسه القلب والوجدان وعباداته قائمة على العدل والورع والاستقامة . وقد أزعج هذا كهنة الدين القديم وجادلوا زرادشت وأقاموا حوله العقبات والدسائس . واستمع الحـكام لرجال الدين فهددوا زرادشت فتنـكر له الناس وترك مسقط رأسه متنقلا من بلد إلى بلد قاطعا إيران كلها طولا وعرضا وفى شرق إيران أثمرت دعوته وأخذ أتباعه يزيدون يوما بعد يوم فـكانوا الدعامة الـكبرى لدعوته .

صمويل موريس

ظل يتخذ الرسم صناعة حتى سن الخمسين فقد كان رساما موهوبا برع فى رسم الشخصيات ولكن حياته تحطمت فجأة . ماتت زوجته وسبقها إلى الموت إثنان من أبنائه وتحطمت أماله على صخرة الموت . وغلبه الحزن والأسى فأراد أن يخرج من حياته فاعتزم السفر فى رحلة إلى أوربا . وهناك شغلته الكهرباء . شاقه نظام تلغرافى يسمى السيمافور ترسل بواسطته عبر أبراج عالية الرسالة التلغرافية بصفير عال متعارف عليه وفى خلال أوبته إلى أمريكا على ظهر الباخرة التقى بالدكتور شارلس جاكسون وهو طبيب أمريكى شاب من أبناء بوسطن : وانتهى حديثهما إلى الكهرباء . وقال جاكسون إن فى استطاعة التيار الكهربائى أن يمرق مروق البرق الخاطف عبر سلك ممتد عشرات الأميال . وبرقت الفكرة فى عقل موريس فما أن وصل إلى بلده حتى بادر باعداد معملا كان يستعين فى شراء أجهزته وآلاته بما يكسبه من دروس الفن . ولم يلبث أن غطى جدران غرفته بالأسلاك يتوسطها جهاز الارسال الذى ابتكره وهو عبارة عن تلغراف مغناطيسى كهربائى . « هذه الملفات تتألف من سلك واحد موصول . هذه البطارية يغطيها السالب والموجب متصلة بلوحة المفاتيح . وكلما ضغطت عليها ولد الضغط شرارة كهربائية تنطلق عبر السلك المتصل بالمفتاح ثم إلى خارج السلك وعلى مبعده من نهاية السلك بطارية أخرى تولد تياراً مستمراً فى جهاز مستقل يحرك يدا تضغط على شريط وتطبع عليه نقطا وشرطا فى وسع العامل على الجهاز أن يحولها إلى حروف هجائية » وقد تحقق النجاح له عام ١٨٣٥ عندما أخرج الجهاز الذى سجله ١٨٤٠ واشترته الحكومة ١٨٤٣ وفى عام ١٨٤٤ أرسل مورس أول اشارة برقية من وشنطون وفى عام ١٨٦٦ أبرقت انجلترا رسالة متجهة إلى أمريكا عبر المحيط الأطلنطى وقد حصل على ٣٠ ألف دولار ومات موريس عام ١٨٧٢ بالغا من العمر ٨١ سنة .

وزع الصحف وجلد الكتب . ووجد الوقت ليقرأ علوم الطبيعة التى كانت ترضى نزعته . والتقى فى محل تجليد الكتب بالعالم المشهور «سيرهمفرى» فسعى له حتى أدخله المعهد الملكى لسماع محاضرات أربع عن التاريخ الطبيعى والكهرباء . ولم يلبث سيرهمفرى أن أعانه على اتجاهه هذا فعينه مساعد محضر فى المعمل التابع للمعهد . وأخذ يصطحبه فى رحلاته إلى أوربا حيث أمضى عاما ونصف ، طاف مع أستاذه بمختلف المعاهد والمعامل والمؤسسات العلمية . وشهد مئات من التجارب وكانت أول أبحاثه عن «الجير الكاوى» ثم عن الغازات والمعادن وخلط الصلب ودخلت حياة « ميشيل فراداى » فى دور جديد بعد أن توالت مظاهر نجاحه العلمى وهو فى الثامنة عشرة . ولم يلبث بعد سنوات قليلة أن انتخب زميلا فى الجمعية الملكية وألقى محاضرات عن مكتشفاته فى الكمياء والمغناطيسية .

ثم بدأ أبحاثه فى المغناطيسية الكهربائية إلى وفق اختراعه الخالد الذى أثبت أن المغناطيسية تنتج الكهرباء فكان ذلك إيذانا بمولد عصر الآلات الكهربائية وقدم بعد سنوات كشفين آخرين هامين : أولهما سريان الكهرباء وهو الذى بنى على أساسه نظام التليفون الحديث . والآخر خاص باثبات اختلاف أنواع الكهرباء .

وفى التاسعة والأربعين ذهب إلى الريف فى رحلة استمرت خمس سنوات ، ثم عاد إلى لندن فاستأنف بحثه العلمى فأجرى تجارب عن علاقة الكهرباء بالضوء . واكتشف طريقة لحفظ شعاع من الضوء فكان من نتيجة ذلك أن انتفع العالم بالمصباح الكهربائى المتوهج بعد سنوات على يد توماس أديسون .

ولد عام ١٧٩١ .

كوبرنيكوس

« الراهب » الذى هدم القاعدة التى بُنى عليها نظام « بطليموس » وهو أن الأرض ثابتة لا تتحرك . وأنها مركز الكون أحدث أول ثورة فى علم «الفلك» فى العصور الحديثه إذ أسقط النظام البيطلموسى عن عرشه فلم تقم له قائمة بعد . تخرج من جامعة كراكو بلقب دكتور فى الفنون وعلوم الطب . ثم سافر إلى ايطاليا حيث تتلمذ على الفلكى المشهور فى ذلك العصر « ماريا نوفاراً » ومنها رحل إلى روما . وقد عين بكاتدرائية فردنبوزع أسقفا ورعا . وطبيبا مواسيا ولكن أبرز مظاهر حياته أنه كان فلكيا المعيا ، وقف حياته على دراسة السموات والاجرام . وكان راصداً مدققا بارعا فى استعمال الأدوات القليلة العاجزة إلى عصره . راقب عبور النجوم لخط الهاجرة . وقاس ارتفاع هذه النجوم فوق الأفق عند عبورها . ودرس حركة السيارات ودوّن مشاهداته فى جداول وظلت معتمد الفلكيين بعد موته .

ومن مشاهداته أنه لاحظ الاختلاف الكبير ، فى اشراق المريخ ومداره . وقد لاحظ هذا الاختلاف فى سائر السيارات . وهنا عاد كوبرنيكوس إلى كتابات بطليموس وتبحر فى درسها . وكان فيثاغورس واسترخس قد سجلا بأن الشمس — لا الأرض — هى مركز الكون . وأن السيارات — ومنها الأرض تدور حول الشمس دورة سنوية وعلى محاورها دورة يومية . وعاد كوبرنيكوس إلى القول بأن الشمس مركز النظام الشمسى وحواليها ترقد السيارات على ابعاد مختلفة وأن السيارات تدور على محاورها . وفى عام ١٥٤٣ أثبت دوران الاجرام السماوية .

وكان فى السبعين عندما أصيب بالشلل وتمشى الضعف فى جسمه . توفى فى ٢٤ مايو ١٥٤٣ .

لندبرج

الرجل الذى اخترق الفضاء لأول مرة بين نيويورك وباريس وكتب لنفسه شهرة ضخمة جاءت ثمرة شخصية قوية النفس قادرة فى السيطرة على الأعصاب .

صعد إلى السماء فى مايو ١٩٢٧ بطائرة ذات محرك واحد فأتم رحلة جوية بلا توقف بين نيويورك وباريس . وكان قد ترك الكلية فى العشرين من عمره ليتلقى دروسا فى الطيران . واحترف القفز بالمظلة الواقية لتوفر له التجربة ولتجمع من المال ما يشترى به طائرته الخاصة وطاف بالولايات المتحدة كطيار يقوم باستعراضات بهلوانية . وفى عام ١٩٢٦ أتم « لندبرج » ألفى ساعة طيرانا . وشعر بأنه أهل للدخول فى المناقشة على جائزة قدرها ١٥ ألف دولار تعطى لأول من يقطع المسافة بين نيويورك وباريس بالطائرة دفعة واحدة بلا توقف . فلما أذن له أن يسافر هبت عواصف عطلت الرحلة . وقضى ليلة لم يذق فيها طعم النوم ، ثم قرر المجازفة بالطيران فى ظروف جوية غير مستقرة . وجالت طائرة لندبرج فى تثاقل على أرض مليئة بالأوحال ثم صعدت إلى السماء . وكادت أن تصطدم بأسلاك التليفون ثم استقرت فى السماء فى جو عاصف . وعند الغسق كان لندبرج فى سماء « نيوفوندلاند » ولكن الليلة التى قضاها ساهراً أحدثت أثرها ، فقد داعب أجفانه الكرى ولكنه قاوم وبذل جهداً شديداً لتظل عيناه مفتوحتان ، وجعل يشق طريقه فى الظلام العاصف وهو غير واثق من السيطرة على الطائرة فأخذت البوصلة تتواثب فى جنون واختلطت عليه الأشباح بالأصوات . وطلع عليه النهار ولكنه لم يخفف مما يعانيه شيئا واستجمع لندبرج آخر ما فى جعبته من قوة وطرد عنه التعب . ودبت الحياة فى بدنه مرة أخرى وساقته حواسه المفقودة بعيداً عن الطريق ثلاثة أميال : فقد ظهرت فجأة خضرة ساحل أرلندة فاستطاع أن يعبر انجلترا ثم يحلق فوق فرنسا .

ونزل لندبرج باريس فى ٢١ مايو ١٩٢٧ فأمضى ثلاثة وثلاثين ساعة ونصف فى السماء .

نقولا تسلا

قبل أن يموت «نقولا تسلا » بقليل أعلن أنه يستطيع أن يضع سلاحا جديدا يمكن أن يبيد جيوش الأعداء بضربة واحدة ولـكن القدر لم يمهله ليحقق اختراعه عاش ست وثمانين عاما وأذاع تنبؤات واكتشافات كان لها دوى كبير . واخترع موتوراً مولداً للتيار الـكهربائى المقطع عام ١٨٨٨ فبدأ العهد الصناعى بفضل ذلك التيار وبه انتفع فى مجال القوة الذرية . وكان فى محيط العلم يمثل الخطوة الثانية بعد التيار الـكهربائى العادى المباشر الذى اخترعه اديسون وبه تفادى النقص الذى حل به . وقد باع اختراعه بنحو مليون دولار . وبواسطته انشئت أول محطة للقوى المائية فى شلالات نياجرا .

ولد باحدى القرى التابعة ليوغسلافيا عام ١٨٥٧ وكان هزيلا مريضا لايفارقه المرض وكاد يفقد بصره من كثرة القراءة وعرف عدداً من اللغات ودس العلم والدين والفلسفة والتاريخ .

وسخر منه أستاذه عندما عرض عليه عمل تيار متقطع ولـكنه عكف على تنفيذ فـكرته . ومن قوله «أن الوحدة سر نجاح المخترع ففى الوحدة تتولد الأفـكار العظيمة » وقد حقق هذه النظرية إلى أبعد حد فـكان يعيش وحيدا فى معمله وقد هجر كل شىء .

وعندما بلغ به السن كان يغادر غرفته كل صباح وكل غروب ويشترى كميات من الحبوب ويتجه إلى إحدى الحدائق ليلقى بها إلى العصافير .

وقد توفى فى ٨ يناير ١٩٤٣ .

وستنجهاوس

مولد الكهرباء من مساقط المياه. الرجل الذى كان لا يمل العمل حتى فى ساعات فراغه « جورج وستنجهاوس » ابن الميكانيكى الفقير الذى كان يقوم باصلاح الآلات القديمة . وقد حال الفقر دون تعلم الصبى فى المدارس ولكنه أبدى مهارة عجيبة فى إصلاح الآلات فكشفت عن عبقريته التى حققت نصراً كبيرا فيما بعد فى عام ١٨٨٦ كانت حوادث اصطدام القطارات الجديدة كثيرة لأن فراملها كانت تحرك باليد ولكل عربة فرملة مستقلة فلم يكن وقف القطار ممكنا قبل ١٦٠٠ قدم على الأقل . واتفق أن اصطدم قطاران كان « وستنجهاوس » مستقلا أحدهما وقدرت نجاته ، فاغتنم الفرصة وراح يدرس القاطرة المحطمة وطريقة عملها . وفكر فى ابتكار فرامل توقف عجلات القطار كلها بسرعة وفى وقت واحد . وابتكر الفرملة المعروفة باسمه والتى أمكن أن توقف القطار فى مدى أقل من مائتى قدم . ولما ذهب باختراعه يعرضه على أصحاب الشركات سخروا منه . وقالوا : كيف يمكن وقف قطار ضخم متحرك بواسطة الهواء . ولكن التجربة حققت النجاح الذى دفعه إلى مزيد من الانتصارات فقد فكر فى ابتكار إشارات تعمل بسرعة ودقة لتفادى الحوادث الكثيرة . وأمضى عشر سنين يكافح ويناضل . ودخل مع اديسون فى منافسة عام ١٨٩٣ لانارة معرض شيكاغو . وقد استطاع وستنجهاوس أن يقيم مولدات الكهرباء عند مساقط المياه عام ١٨٩٦ ورأى الناس شوارع إحدى المدن تضاء بالكهرباء المولدة من قوة اندفاع الماء . ولم يلبث أن سخر الكهرباء فى خدمة المصانع والمعامل مما أحدث ثورة فى عالم الصناعة فاخترع جهازا لتحسين استغلال آبار البترول بضبط الغازات ومنع تسرب السوائل . كما صنع جهازا لتيسير مجرى السفن والزوارق بالبخار . وعام ١٩٠٧ حطمت الأزمة المالية أعماله ومصانعه وانقلب به الزورق الذى كان يتلهى فيه بصيد السمك عام ١٩١٣ . ولكن اسمه بقى خالداً فى عالم الاختراع

ويللرد جيبس

كانت بحوث جيبس نقطة تحول فى علم الكيمياء . فقد عمم فكرة « الاتزان » بحيث يمكن فى ضوئها تفسير الطريقة التى تتغير بها العناصر من حالة إلى أخرى . فيتحول الثلج إلى ماء . والماء إلى بخار . والبخار إلى أوكسجين وإيدروجين . ويتحول الايدروجين باتحاده مع الأزوت إلى غاز النشادر .

وقد اكتشف «جيبس» قوانين ثابتة لكل من تلك التحولات والتغييرات فكان واضع أسس علم الكمياء الطبيعية .

وحدد جيبس الظروف التى تسبب تغيير المادة من حالة لأخرى ووضع المعادلات التى تصف التفاعلات الكيمائية بين المواد التى يمكن أن تمتزج معا . وبذلك أصبحت الكمياء محور علوم الصناعة .

ولد « ويللرد جيبس » « أبو الكمياء الطبيعية » فى فبراير ١٨٣٩ وقد تنبئوا بعبقريته وهو فى سن مبكره . فقد عمل أستاذاً للطبيعة النظرية فى جامعة بيل وحصل على تسعة عشرة درجة شرف وجائزة عن أبحاثه وكان قد التحق بجامعة بيل ١٨٥٤ وحصل على درجة بكالوريوس بتفوق عام ١٨٥٨ وهو أول أمريكى حصل على الدكتوراه فى الهندسة . وقد درس التوربينات التجارية ، واخترع فرامل جديدة لقطارات السكك الحديدية . وغادر أمريكا إلى أوربا حيث أمضى زهاء خمس سنوات وتتلمذ على نخبة من مشاهير العلماء أمثال بنس وهلمولتز وهامل وعاد إلى أمريكا سنة ١٨٧١ حيث عين أستاذا للرياضة فى جامعة بيل .

وعرف بالوداعة والهدوء وحب المعرفة وقد تملكه فى آخر حياته نوبة من اليأس كان رد فعل لفجر حياته حيث لم يجد من يناصره أو يمهد له الطريق .

وقد توفى فى ٢٨ أبريل ١٩٠٣ .

اسحق نيوتن

« إننى لا أدرى كيف أبدو للناس . ولكنى أبدو لنفسى طفلا صغيرا ظل يلعب بجوار شاطىء أحد المحيطات فكان يعثر من حين إلى حين على حصاة عادية بينما المحيط الشاسع الملىء بلآلىء الحقائق ما زال مجهولا منى » هكذا وصف نيوتن نفسه وهو الرجل الذى اكتشف قوانين الحركة والجاذبية الكونية ومعادلاتها وقوانين المد والجذر . والذى أجرى التجارب التى خلص منها بأن الضوء الأبيض يتألف من جميع ألوان الطيف الشمسى . وقدسجل العلماءفضل كتاب «المبادىء» الذى وصفه وقالوا إن له مقاما فوق كل ما أنتج العقل البشرى . وأنه أضاف إلى مستنبطاته البديعة فى الرياضيات أهم المكتشفات الطبيعية ، وقالوا أنه لو جُمع كل ما كشفه علماء الرياضة منذ فجر التاريخ إلى الآن لوجد أن ما كشفه نيوتن هو النصف الأهم منه . فقد كشف أن ضوء الشمس قوامه أشعة مختلفة تنعطف عند الانكسار بمقادير متباينة وأنه بذلك يتألف من سبعة ألوان يطلق عليها الطيف الشمسى . وفى قوانين الجاذبية التى كشف عنها بين أن الجذب موجود بين كل كتلتين وقد أدى كشفه لهذا القانون إلى وضع قواعد علم الديناميكا .

ولد نيوتن عام ١٦٤٢ فى قرية «ولثورت» بانجلترا . وعاش حتى بلغ ٨٥ سنة ومات دون أن يتزوج أو ينجب أطفالا وأتم دراسته ١٦٦٧ ثم عين أستاذا للرياضيات . وقد سيطر الروح العلمى على نيوتن فأثر فى طباعه وأخلاقه . وعرف بالتواضع . وأفسد عليه حياته الحسد واللؤم من خصومه الذين سلطوا عليه سهامهم فكان يقول : لقد أضنتنى المجادلات . وكان لا هوتيا يؤمن بالله ويحمل على من ينكره . وصف بأنه من جبابرة العقل البشرى ومكتشفى الكون . اخترع طريقة التفاضل والتكامل . وحسب سير مجرة المذنبات . قال لا تحسبوا النجاح الذى احرزته وليد تفوق ذهنى وإنما هو وليد الصبر والمثابرة والتفكير العميق دون سأم أو ملل وسجل حركات الكواكب وتوابعها . له مذهب الدقائق فى طبيعة الضوء .

رحالة أعلام

فاسكو دى جاما

فاتح رأس الرجاء الصالح . مال إلى الأسفار منذ الصغر . كان أبوه بحاراً خاض غمار المحيطات وقد رافقه فى بعض رحلاته . وقضى صباه يملل النفس بالأقدام على مغامرات تحمله من أقصى الشرق أو أقصى المغرب . كان يحلم بكشف طريق الهند وبالدوران حول القارة الأفريقية . ولم تتحقق أمنيته إلا فى عهد الملك عمانوئيل فى ٨ يوليو ١٤٩٧ عندما أقلعت السفن الأربعة من ميناء « راستيلو » إلى الهند .

وقد اصطحب معه أخاه وبحار بارع اسمه « بيرو » وبعد أربعة شهور ونصف، دارت السفن حول رأس الرجاء الصالح . وصعدت إلى الشاطىء الشرقى لأفريقيا فوصل فى ١٠ مارس ١٤٩٨ إلى جزيرة موزنبيق فاحتلها ورفع عليها العلم البرتغالى وبلغ زنجبار ودخل ميناء ميلاندا ووصل ساحل ملابار بالهند قريبا من « كاليكوت » ثم عاد إلى البرتغال فى سبتمبر ١٤٩٩ .

وعاد مرة أخرى إلى الهند فى عشرين سفينة مسلحة ومشحونة بالمؤن والذخائر . ثم نقل إلى لشبونه فى ٢٠ ديسمبر ١٥٠٣ حيث وطد الاستعمار البرتغالى فى الهند .

ولم يعط أى مكافأة عن عمله هذا بل قوبل بالاهمال أكثر من عشرين سنة . حتى كان يمشى بمفرده على شاطىء البحر وهو يبكى . وفى عام ١٥٢٤ دعاه الملك جوان الثالث فعينه نائبا للملك فى ممتلكات البرتغال بالهند . سافر فى ٩ ابريل ١٥٢٤ ومات فى الهند فى نهاية العام .

ويحتل فاسكودى جاما مكانه إلى جوار « ماجلان » الذى أبحر فى سفينة برتغالية ليطوف حول العالم ويثبت أن الأرض كروية .

ولد بميناء سينوس وهو ميناء بحرى بالبرتغال ١٤٦٩ .

هنرى الملاح

كان أول أوربى بدأ بكشف العالم المجهول حيث لم يكن الأوربيون يعرفون منه سوى ساحل أفريقيا الشمالى . ولد فى ثغر « ساجرس » على بحر الظلمات وقد أتيح له حين اشترك فى غزوة « سبطة » أن يحصل على معلومات كبيرة عن الصحراء الكبرى والمغرب والساحل الغربى . وعلم من العرب الذين عرفهم هناك والذين كان بعضهم كان يتردد على البرتغال — أن أفريقيا قطر واسع يمتد إلى مسافات شاسعة فى الداخل خلف الساحل الشمالى وإلى الشرق نحو مصر والسودان والحبشة .

كما اخترع نوعا من السفن لها اشرعة ثلاثة : تلك هى السفن التى استخدمها المكتشفون من بعده ومنهم كولومبس للقيام برحلات طويلة عبر البحار .

وكان قد أعد قافلة من السفن الخفيفة للقيام بمغامرة . عهد بقيادتها إلى خيل ايناس الذى انطلق بسفنه يخوض الأمواج نحو الجهات الرهيبة سنة ١٤٣٣ وانقطعت أخباره فترة من الزمن وظن هنرى أن صديقه مات ، ولكنه عاد فجأة ومعه أشياء جاء بها من وراء (رأس بوجادور) وراح يروى ما رآه من جمال الطبيعة وخصب الأرض والغابات الكثيفة . وللمرة الأولى تمكن العلماء من وضع رسوم جغرافية أفريقيا فى ذلك الجزء منها ولهنرى الملاح الفضل فى وضع خريطة لأفريقيا أصبحت فيما بعد أساساً للرحلات والاكتشافات والمحيطات . وقد عرف هنرى أن خلف الصحراء الممتدة من الشرق والغرب خلال القاهرة الأفريقية نهراً يخترقها هو نهر النيل . ومن معلومات هنرى الملاح تمكن كولومبس من الوصول إلى أمريكا وكشف العالم الجديد كما استطاع فاسكو دى جاما من اجتياز المحيط جنوبا والدوران حول رأس الرجاء الصالح والوصول بحرا إلى الشرق وقد عاش هنرى ١٣٩٤ — ١٤٦٠ ومات فى السادسة والستين وبواسطة رجاله وضعت أسس النخاسة وبيع الرقيق فى أوربا . وقد أصبح قصره ملتقى الخبراء والباحثين والعلماء والبحارة .

نساء خالدات

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

تروانى

لقد دخلت الفتاة الصغيرة ثكنة من ثكنات الحرس . واستولت على طبل من طبوله . واندفعت تجوب باريس وهى تهتف « الخبر الخير » فسرعان ما التف حولها لفيف من النساء ثم سرعان ما اندس فى صفوفهن بضعة رجال تنكروا فى زيهن . ودفعها هذا الجمع إلى دار البلدية وكانت المظاهرة فى كل خطوة تخطوها يتزايد عددها وقد تجمعت جموعها أمام البلدية وهناك أخذ النساء يقذفن الحرس الوطنى بالحجارة حتى انسحب

ثم اقتحمت جموعهم بقيادة تروانى أبواب البلدية واستولين على ما وقعن فى أيديهن من بنادق وسيوف ورماح وحراب وفؤوس وهراوات . وانطلقن إلى فرساى .

وزحفت إلى فرساى زحوف النساء فى ثمانية آلاف . وفى مقدمتهم الثائرة الحسناء « تروانى » فى سترتها الحمراء وقبعتها الجوخ ، ذات الريش . انضم إليها ثمانمائة من الرجال المسلحين

ونصحت الملك لويس أن يغادر قصر فرساى ولكنه لم يفعل . هنالك نفذت ومعها جمع من النساء من الأبواب الخارجية إلى ساحة القصر فالأبواب الداخلية وامتلأ بهن القصر . وطلبن إلى الملك أن يعود إلى باريس . وأذعن الملك وعاد معهن . وعادت النساء وهن مشمرات ، رافعات مآزرهن على رؤسهن إتقاء المطر المنهمر . وكن مجدات فى السير بخطى واسعات وقد ابتلت ثيابهن وغرقت نعالهن فى الوحل .

وكانت تروانى تلوح بسيفها للجماهير فى حركة حماسية واستغرقت الرحلة ست ساعات من فرساى إلى باريس .

إن تروانى تمثل فى الحقيقة فصلا من قصة الثورة الفرنسية .

بلقيس

إحدى ملكات الشرق حكمت بعد أن قتلت ابن عمها الملك الذى كان يتزوج كل ليلة واحدة . فلما دهش الناس كيف تحكمهم امرأة قالت : إنى لم أدفع عن عرضى وحدى . وإنما دافعت عن عرض « سبأ » كلها . كان والدها ملكا عظيم الشأن . وهو آخر أربعين ملكا من ملوك اليمن وقد مات دون وصية . فخلفه فى حكم اليمن ابن أخيه ، الذى كان ضعيف الخلق سىء السيرة . فازاحته بلقيس وتولت الملك . وقد زينت مفرقها بالتاج الذى حرمته النساء من قبلها . وصنعت عرشها من الزبرجد والمرمر والذهب والياقوت . وكان فى جوف سبعة بيوت . عليها سبعة أبواب كل بيت داخل الآخر . وعرشها فى آخر بيت لها . وقد كان تحت زعامتها ما يربو على الثلاثمائة ملك يقدمون لها الطاعة . ومن أبرز أحداث حياتها اتصالها بأعظم شخصية عرفها العالم : سليمان الحكيم . ولما أرادت الاتصال به أرسلت له : ستة آلاف من أهل الجنة : صبيانا فى زى فتيات . فتيات فى زى صبيان . وأرسلت إليه درة مثقوبة ثقبا ملتويا ليدخل فيه خيطا . وكلفت رئيس بعثتها أن يكون لها رأيا عن سليمان . وقال خادمه أنه يحكم عوالم الجن والإنس والطير . وإن الجميع فى خدمته يصنعون له بناءاً ضخما له أعمدة من المرمر . فأرسلت إليه موكبا عظيما وجمال محملة باطنان من الذهب والفضة والحجارة الكريمة فردها جميعا . وقد أقنعها هذا أن تعرف أنه ليس ملكا . لذلك رأت أن تزوره بنفسها ، فبدأت رحلة طويلة من سبأ إلى أورشليم فنقل لها عرشها قبل أن تصل ، وبنى لها صرحا ممرداً من الزجاج فأدهشها ذلك وملك عليها عاطفتها وقد أدهشها عظمته وقوة سلطانه وما لبثا أن تحابا وقد تزوجها وانجبت له « داود » الذى مات فى حياتهما .

٤ — جان دارك

ولدت تحت جدان الكنيسة . وهدهدتها أمها على صوت أجراس الكنيسة وأرضعتها ألبان الأساطير . ولما كبرت سمعت صوتا يناديها ويخرجها من صمتها قالت أنه صوت ميكائيل . ثم تراءت لها صورتا القديسين مرجريت وكاترين وكان عمرها إثنى عشر عاما فتاة فلاحة لم تتعلم القراءة والكتابة . وكل علمها عبارة من مجموعة من الأساطير والخرافات التى أدخلت فى روعها أنها مرسلة . كانت تنظر إلى « جبال الفوج » وهى ترتفع بقمتها إلى السحاب وتتمنى لو تعرج إلى السماء. فى هذه الفترة كان الانجليز يجتاحون فرنسا . ينهبون بيوتها ويحرقون ديارها . وقد هربت تروانى مع أهلها من وجه الغزاة . فلما عادوا ألفوا قريتهم منهوبة . وبيتهم مسروقا . وكانت هناك نبوءة تقول أن فتاة صغيرة عذراء سوف تصبح منقذة فرنسا وسيطرت الفكرة على خيال الفتاة فتقدمت إلى حاكم المدينة تطلب منه السماح لها بالانخراط فى سلك الجندية فهاله ذلك ونظر إليها مستنكراً . وكانت فرنسا فى أحرج لحظاتها . ومدنها تتساقط واحدة تلو الأخرى فى يد العدو . ثم اشترت حصانا وملابس جندى وتجمع حولها الناس مؤمنين رؤاها وأحلامها وكانت فى السابعة عشرة . وقصدت إلى ولى العهد فى قصرة بشبنون ودعته إلى تخليص مدينة أورليانس من الانجليز الغاصبين وإنها ستتوجه بأمر الله ملكا على فرنسا . تجمع لها جيشا قوامه ٨ آلاف جندى نخرجت راكبة حصانا أسوداً تناوىء به الانجليز رافعة علما أبيض . وانتصرت جان ودخلت المدينة بجيش المنقذين . وتركت المعركة فى كتفها جرحا غير عميق . وسارت إلى مدينة « ريمس » وقد فر أمامها الجيش الانجليزى وقد تملكه الرعب القاتل . وبلغ الجيش الذى تقوده المدينة ١٥ يوليو ١٤٢٩ حيث توفى شارل السابع ملكا فى الكنيسة .ومضت تحارب لطرد الانجليز ووقعت فى الفخ فى معركة « كمبين » وسلمت لمحاكم التفتيش وحكم عليها بالموت حرقا . وماتت عام ١٣٤١ .

جميـــلة

ثمرة من ثمار الانتفاضة العربية . ورمز على قوة عارمة تتمثل فى شخصية المرأة العربيه حين تزود عن وطنها عدواً غادراً . لم تبلغ من العمر أ كثر من ٢٢ سنة . مناضلة فى صفوف جيش التحرير الوطنى الجزائرى . وقعت أسيرة بعد عمل جبار قامت به . كان ذلك فى فجر ١٩ ابريل ١٩٥٧ عندما كانت تسير على رأس فرقة صغيرة فى ثلاثة أشخاص يسرعون الخطأ فى أزمة حى القصبة العربى الخالية من الناس فى مهمة من مهام العمل الوطنى الـكبير . وفجأة برزت دورية من جنود الزواف الفرنسيين فـكان إنذار وإطلاق نار وهرب إثنان . أما الثالث فقد أصيب ووقع على الأرض وهو يصيح من الألم . وأصابت « جميلة » رصاصة خرقت كتفها فسقطت جريحة تحت رصاص الفرنسيين . وأمضت سبعة عشر يوما تعانى من أنواع العذاب أشدها عنتا وأ كبرها وحشية وقد جربوا معها كل وسائلهم فى « الاعتراف » عن اخوانها وبالرغم من اللطات وشد ذراعها المـكسور . ووضع أشرطه كهربائية فى كل مكان من جسمها وفمها وتعصيب عينيها فانهم لم يصلوا منها إلى شىء . كانت كبرى إخواتها الخمسة . من عائلة متواضعة . سبق لجنود المظلات الفرنسيين أن قتلوا عمها الذى عرفها بجبهة التحرير الوطنى : فـكانت مثال الشجاعة والإخلاص . وقد كشف هذا الحادث عن عظمة الشخصية الإنسانية : لقد عرضت نفسها للرصاص لتتمكن زميلتاها من الفرار سالمتين بما معهما من رسائل . وكانت من قبل ذلك وفى خلال هذه المعركة المستمرة منذ أربع سنوات تحمل الرسائل وتلق القنابل فى دروب الموت . وفى يوم ١٥ يوليو صدر الحـكم عليها بالاعدام ولما سمعته ضحكت ساخرة متحدية وقالت « إنـكم عندما تذبحوننا فأنما تذبحون شرف بلادكم وتدفعوننا أ كثر فا كثر فى طريق الحرية والاستقلال » وحوّل الحـكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة .

خديجة

يروى أن « خديجة » سمعت أحداً من الأحبار يقول : يانساء تيماء ؛ أنه سيكون فى بلدكن نبى يقال له محمد : فايما امرأة أتيح لها أن تكون زوجه فلتفعل فرجمته النساء بالحجارة وأغلظن له القول إلا خديجة فانها أطرقت وذهبت تفكر بعيدا . فلما تزوجها محمد أفاضت عليه الهناء . وأحس إلى جوارها بالرفق والحنان والحب . وكان يتركها ذاهبا إلى غار حراء وفى ذلك اليوم المشهود جاءه جبريل وألقى إليه الرسالة فنزل محمد يرجف من أعلى الجبل قاصداً إياها وهو يقول: زملونى زملونى .. وسارعت خديجة تقول له عباراتها الحلوة الخالدة « والله لن يخزيك الله أبدا . إنك لتصنع الخير وتصدق الحديث وتصل الرحم وتعين على نوائب الدهر »

إنها خديجة بنت خويلد من سادات قريش . السيدة الثرية البرزة التى حفظ لها التاريخ أروع صورة لزوجة نبى . عرفت النبى محمداً فى أول شبابه عندما رشح للقيام برعاية تجارتها . حيث سافر بها إلى الشــام وزاد عظمة فى نظرها عندما عاد ببضاعة مزجاة وربح وفير ولما حدثها خادمها ميسرة عن النبى فى رحلته وكيف كانت الغمامة تظله والتجارة تزيد على يديه والبركة تحفه . عندئذ أزمعت خديجة أن تتزوجه فارسلت إليه نفيسة بنت منية تدعوه إلى الجمال والشرف فى ذات خديجة . وذهب محمد إلى عمه أبى طالب حيث عرض عليه الأمر . وولدت خديجة لمحمد أبو القاسم وأبو الطيب وفاطمة وزينب وأم كلثوم ورقية . فلما قضت كان موتها بعيد الأثر فى نفس النبى . فقد ظل يذكرها وفيا لهذه الذكرى . لقد أحب من كانت تحب وعاش حياته يعطف على من كانت ترعاهم . ولما جاءته زينب بقلادتها تطلب الفداء لزوجها تأثر غاية التأثر ورد إليها القلادة . وقال لعائشة عندما أبدت غيرتها من ذكر خديجة : والله ما أبدلنى الله خيرا منها . وكانت قد توفيت فى السنة العاشرة من نزول الوحى وقبل الهجرة بثلاث سنين .

خالدة اديب

رائدة المرأة التركية الحديثة . أول فتاة شرقية حملت لقبا علميا عندما حصلت عام ١٩٠١ على بكالوريوس العلوم من المدرسة الأمريكية فى الأستانة . تزوجت أستاذا فى الجامعة ودب الخلاف بينهما عندما اندفعت فى موكب الحرية وكانت تركيا تعيش فى نظام الحريم . فقد مضت تكتب فى مدح الدستور ودعم بنيانه وتحرص على مجالس العظماء . وكانت تصرف وقتها كله فى الثقافة والمطالعة والبحث متطلعة إلى الحرية من غير ابتذال . ثم اتجهت إلى الوطن تشارك فى أحداثه وقد كتبت فى صحيفة (طنين) بحوثا متعددة فى السياسة والاجتماع وكانت إلى هذا محدثة لبقة . ولما مزق السلطان عبد الحميد أوصال دستور سنة ١٩٠٩ نالتها ضربة من ضرباته ، بعد أن ضاق بها وبحملاتها تركت تركيا وخرجت إلى مصر ووجدت فيها حصنا وأمنا بعيدا عن الاستبداد ولم تعد إلا بعد إخراج عبد الحميد وقد استقبلت استقبال الأبطال وعرف لها الناس فضلها وأثرها ثم تزوجت من عدنان باشا ووقفت إلى جانب الكماليين تؤدى نصيبها من الجهاد فى سبيل الحرية وآمنت بأن الحرب العظمى مجزرة تحشد لها أعناق الرجال وأحست بفداحة الخطب الذى أنزله الحلفاء على مواطنيها فاندفعت تكتب وتخطب .

وقد خطبت مرة فى إحدى النوادى فى بضعة آلاف من المواطنين حاثة على الجهاد ، ودفعت حلاها وجواهرها للجنود المحاربين فتبعها فى ذلك كل من شهد هذا الموقف .

وعملت فى أكبر منصب فى وزارة المعارف . ولم تلبث أن اختلفت مع الكماليين بعد أن انتصرت تركيا .

وكان أنور باشا يرى فى خالدة الجلال الذى يدب على الأرض . وكانت تمد طلعت وجمال بالرأى والإلهام .

خوله

عندما أسر «ضرار بن الأزور» فى معارك المسلمين مع الروم يوم «أجنادين» لم تلبث خوله بنت الأزور أن مضت تحرض النساء على اقتحام المعركة لتخليصه من الأسر . ولما لم يكن معهن سلاح اقتلعن أعمدة الخيام وأوتادها وحاربن بها الروم تحت قيادة خوله بنت الأزور ، التى تنكرت فى زى فارس وامتطت جوادها وعليها ثياب سود وعمامة خضراء ولبست سلاحها واخترقت صفوف الأعداء فظنوها فارسا ملثما . فقتلت منهن عدداً كبيراً وكان خالد بن الوليد وصحبه ينظرون إليها وهم فى دهشة وإعجاب . يتساءلون عن هذا الفارس العجيب . ومالت الشمس للمغيب . وكف جنود خالد عن القتال وشاهد الحراس العرب شبحا متشحا بالسواد يمشى بين جثث القتلى ثم ينحنى عليها بين الحين والحين .

فلما التقى فى اليوم التالى بها سألها من تكون فكشفت قناعها : فعرف أنها خوله ، هنالك اشتعلت الحماسة فى النفوس وتقدموا فى شجاعة حتى فكوا أسر أخاها . وعادت الحرب مرة أخرى وأسر ضرار بن الأزور مرة أخرى فاندفعت خوله مصممة على الانتقام من الروم وفك أسره واقتحمت صفوف الأعداء باحثة عنه فلم توفق فى العثور عليه ، وكانت تصيح قائلة : يا أخى .. أختك لك الفداء يا ابن أمى . ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك . أم بأى سنان طعنوك . أم بأى حسام قتلوك . هل لحقت بأبيك المقتول بين يدى رسول الله .. فعليك منى السلام إلى يوم اللقاء . فلما تقدم خالد فى المعركة نحو حمص علم أن ضرار بن الأزور وقع فى الأسر بعد أن قتل من الروم عددا عظيما وأنه فى طريقه إلى حمص يحرسه مائة فارس . فدفع خاله رافع بن عميرة فى مائة من الفرسان العرب طالبا منهم أن يلحقوا بهم ويخلصوا ضرارا . وعلمت خوله فطلبت إلى خالد أن يأذن لها بأن تذهب معهم فقال لها إن الليل قد أوغل ياخوله وأخشى أن يصيبك سوء . ولكنها سارت فى قوة تسابق الريح وانقضت على القوم كالصاعقة وخلصت أخاها .

رابعة العدوية

« إلهى : أنارت النجوم . ونامت العيون . وغلقت الملوك أبوابها . وخلا كل حبيب بحبيبه . وهذا مقامى بين يديك . يارب اجعل النار لأعدائك . والجنة لأحبائك . وأما أنا فحسبى أنت . إلهى هذا الليل قد أدبر . وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنأ . أم رددتها على فاعزى . فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى واعنتنى . وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه » .

ولدت رابعة فى البصرة (٥٥هـ) . ومات أبوها وهى فى أول الشباب وماتت أمها بعد قليل وكانت مثلا فى الذكاء والجمال وقد دفعتها مرارة الحاجة إلى أن تضرب فى الأرض . فوقعت فى الأسر وبيعت إلى رجل ظالم أذاقها أنواع العسف والهوان ثم باعها إلى رجل آخر . وصبرت « أم الخير » وكان لها من ليلها تعويضا عن آلامها حيث تتجه إلى الله فى دعاء نفاذ . وسمعها سيدها ذات ليلة تدعو وقد اتصل بينها وبين السماء قنديل من النور فاعتقها فى اليوم التالى . وكانت رابعة تعزف الناى وتغنى فى فترة من هذه الفترات ، غير أنها كانت قد أزمعت أن تتجه إلى الله وتتجرد من كل مطامع الحياة ثم بدأت تلوذ بالمساجد وساحات الذكر وحلق الصوفية تناجى الله وتهتف بالحب الآلهى تعزف الناى مع العابدين ثم عكفت على حياة الوحدة والعزلة والزهد . وكانت قد آمنت بذلك إيمانا صادقا وعرض عليها أحد تجار البصرة أن تنتقل إلى دار من دوره العديدة فرفضت . وخطبها عبد الواحد بن زيد مع علو شأنه فردته . وكانت تصلى الليل كله فإذا طلع الفجر رقدت قليلا ثم قامت من نومها لتعبد الله من جديد . وكثيراً ما أمضت يومها دون أن تجد ما تأكله . فتقول : لا بأس ؛ أفطر على الماء . وهكذا أمضت حياتها فى الصلاة والصوم جاعلة هدفها « رب لا تجعل من قلبى مكانا لغير حبك » وقيل أنها كانت تصلى ألف ركعة فى اليوم والليلة توفيت عام ١٣٥ وكفنت فى عباءة من الصوف

روزا مند

ترسم « روزا مند » بقصة حياتها صورة المرأة الجارحة التى عندما تنوى الانتقام لشرفها تصل فى ذلك إلى أبعد مدى . فقد كانت ابنة ملك وكان بين أبوها وبين اللومبارديين صراع . وعندما زار « البوين » مملكتها ورآها أحبها منذ النظرة الأولى فلما عاد إلى بلاده أراد أن يخطبها لنفسه ولكنها رفضته . وأتاحت له الظروف أن يصبح ملكا على لومبارديا لجدد العرض وحمل إليها الهدايا الثمينة ولكن رسله ردت بجفاء ، عندئذ عزم على سحق شعبها وأخذها أسيرة وقد تحقق له ذلك بعد معركة طويلة . فقتل أباها كينندوصنع من جمجمته كأسا للشراب قدمه إليها فى حفل زفافهما لتشرب فيه خمرا وأحست هى أن كرامتها قد امتهنت إلى أبعد حد وقال لها : أريد أن تتمتعى مع أبيك بشرب هذه الخمر المعتقة .

قالت : فلتكن مشيئتك ياسيدى .

وأعدت له روزامند أسباب الانتقام . ووكلت ذلك إلى ضابط شاب كان يتحبب إليها . ورسمت خطة جريئة . وذات ليلة وهما فى طريقهما إلى مخدعهما . وعندمابدأ البوين يخلع ثيابه خرج إليه الشاب مشهرا سيفه فاستولى الفزع عليه وحاول الفرار من الحجرة ولكنه وجد بابها موصدا . وحاول أن يخرج سيفه من غمده فلم يستطع فقد كانت روزا مند قد ربطته بحيث يتعذر إخراجه . وخرج صارخا طالبا النجدة ولكن أحداً لم يستجب لندائه . وضربه الشاب بالسيف فسقط وعندما كان يلفظ أنفاسه نظر فوجد روزا مند تعانق القاتل أمامه تشفيا منه وامعانا فى الانتقام . ولكن الشاب الذى قتل البوين لم يلبث إلا قليلا حتى دست له زوزا مند السم فى الشاى خوفا من أن يبوح بسرها . عندئذ جرد الشاب سيفه وصوبه نحو عنق روزا مند وهو يأمرها بأن تشرب ما بقى من الكاس . فأذعنت وأثر السم فى العاشقين فقضى عليهما وتركهما جثتين هامدتين .

عائشة

زوج النبي . وابنة الصديق . شهدت مشرق أمة . وطالعت صورة ضخمة من الجهاد فى سبيل اقامة الدولة الاسلامية . وعاشت بعد الرسول أكثر من أربعين عاما مرجعا من مراجع الفقة والدين والشريعة . تزوجها النبى فى سن السابعة فتاة لم تتفتح بعدُ أنوثتها جميلة ذكية بيضاء حالمة . وقد أحبها النبى وكان لها عليه دالة وجرأة ودلال . وفى خلال أحد عشر عاما أمضتها فى بيت الرسول أخذت تفهم الحياة وتستوعب الثقافة وتحفظ القرآن . وتتفقه فى الدين . ولم يفتها مجلس من مجالس الرسول حتى وعت أحكام الدين . وبين العدد الكبير من نساء النبى كانت تحس أنها الواحدة المفردة . البكر الجميلة الصغيرة ابنة الصديق . وكانت غيوراً ضاقت بمارية عند ماولدت ابراهيم وكانت لاتنى تظهر شعورها بالغيرة من ذكرى خديجة إذ كان الرسول لا يكف عن ذكرها .

وقدم لها الرسوم أربعمائة درهم صداق . وعندما مرض استأذن زوجاته فى أن تمرضه عائشة . ولجأ إلى بيتها وقالت أن الرسول توفى بين سحرى ونحرى ودفن فى بيتى وفى حياة عائشة حادثان خطيران ، حادث الأفك وهى فى سن الثامنةعشرة حين انفصلت عن الموكب عند ما ضاع عقدها . واستغل ذلك خصوم محمد فافكوا . وقابلت عائشة الأمر فى تحدى الواثق من البراءة وصدق الوحى حدسهافانزل القرآن براءتهاوالحادث الآخر هو اقتحامها ميدان السياسة بعد وفاة النبى وتزعمها جماعة من الصحابة للوقوف أمام «على» ومحاربته . وقد انضم إليها بنوأمية وطلحهوالزبير وخرجت فىعشرين ألفا تشن حربا طاحنة فىموقعة الجمل وقدكانت خطيبة بارعة فصيحة لها صوت جهورى بعيد الأثر فى النفوس . وقد عاشت ستين عاما ومات النبى عنها وهى فى العشرين وتوفيت عام ٥٧ هجرية وحفظ لها التاريخ أروع قصة حب بينها وبين النبى كما حفظ لها روايتها لعديد من حديث رسول الله .

العباسة

قال الرشيد لجعفر بن يحيى : ويحك يا جعفر ! ليس فى الأرض طلعة أنا بها آنس . ولا إليها أميل . وأنا بها أشد استمتاعا . وأنسا منى برويتك . وإن للعباسة أختى منى موقعا ليس بدون ذلك . وقد نظرت فى أمرى معكما فوجدتنى لا أصبر عنك ولا عنها . ورأيتنى ناقص الحظ والسرور منك يوم أكون معها . وكذلك فى يوم كونى معك دونها وقد رأيت رأيا يجتمع لى به السرور . ويزداد الأنس وتتكاثف لى به المتعة قال الرشيد : قد زوجتك إياها زواجا تملك به مجالستها والنظر إليها والاجتماع بها فى مجلس أنا معكما فيه . وأخذ عليه الرشيد عهد الله وميثاقه . أنه لا يخلو بها ولا يجلس معها ولا يظله واياها سقف بيت إلا وهو ثالثهما . وكان ما قضى به الرشيد - إن كان صحيحا — غير معقول . ووقع الذى خاف منه الرشيد . لقد تحابا — العباسة وجعفر - ورأى كل منهما فى الآخر مثلا رائعا فى ميدانه . وولد لهما غلام . ولما خافا ظهور الخبر بعثا به إلى مكة ونقلت زبيدة الخبر إلى الرشيد الذى نظر إلى الأمر نظرة أكبر مما هى فى الواقع . وقتل جعفر فى حادث البرامكة الشهير ، ونزل الرشيد بعد مقتله إلى الطابق الأرضى حيث تعيش أخته العباسة وكان الوقت بعد منتصف الليل . فذعرت الجوارى لقدومه . توجسن شراً حيث كان مسرور فى صحبته ودعا أخته ومضى يتحدث معها فى حدة وتوعد . ومضت هى ترد عليه فى شجاعة وقوة واعتداد . وكاشفها بما سماه « الخيانة » فأجابت بأسلوب رائع بليغ وانبته على تحريم ما أحل الله بالتفريق بين زوجين . وأشار الرشيد إلى مسرور إشارته فسقطت رأس العباسة بين قدمى الرشيد الذى عاد من جديد يصعد الدرج إلى قصره ؛ كانت العباسة رائعة الجمال ، ملؤها ذكاء واعد ونفس مشرقة تفيض بالايناس فلما قضت عام ١٨٧ كان ذلك نهاية بهجة الرشيد . إذ لم يلبث قليلا حتى انطفأت نفسه واحس بالحزن يجتاحه ويغمره .

ساروجينى ناريو

« لم أكن قد تجاوزت الثانية عشرة من عمرى وكانت المدرسة قد أعطتنى إحدى مسائل الجبر لأحلها وبينما كنت أكد ذهنى فى محاولة حلها إذا بقصيدة من الشعر ترتسم أبياتها فى مخيلتى ومنذ ذلك اليوم عرفت أن مستقبلى هو الشعر »
إنها شاعرة الهند التى نشرت فى وطنها أهازيج الحرية والجهاد والتى كتبت فى الثالثة عشرة من عمرها مسرحية هاجمت فيها أطباء العائلة . وسافرت ناريو بعد ذلك إلى انجلترا لإتمام دراستها حيث قابلت عدداً من الكتاب والمفكرين الذين كان لهم أكبر الأثر فى تقويم شخصيتها وقد تعلمت كيف توجه تفكيرها إلى بلادها وما تحويه من مناظر طبيعته وذخائر فنية ، فما أن عادت حتى أخذت تفتح صفحة جديدة من الكفاح الوطنى فى ميدان الفكر . كانت تؤمن بأن السعادة هى مساهمة الفرد فى سبيل إسعاد الجماعة واعتقدت بأنه لا يكفى الإنسان أن ينظم شعرا جميلا يزيد من ثروة بلاده الأدبية بل يجب أن تعمل عملا جديا لخدمة وطنها فى ميدانى الاجتماع والسياسة . ولم تلبث بعد قليل أن توقفت عن عمل الشعر موجهة كل طاقتها للجهاد فى سبيل تحرير الهند ، وإذا بالمستعمرين يزجون بها فى السجن لأنها قادت حركة المهاتما غاندى بعد أن ألقى القائد العظيم بالسجن ، وعادت إلى السجن مرة أخرى سنة ١٩٣٢ بوصفها رئيسة المجلس الوطنى .
وعندما سافر غاندى إلى انجلترا كانت واحداً من أعضاء مؤتمر المائدة المستديرة . وقد عرفت بالنشاط والحركة وطافت أمريكا وأفريقيا وآسيا وأوربا فى رحلات طويلة متصلة تدعو لبلادها وقضيتها وكان « غاندى » مثلها الأعلى . كانت تراه المعلم الكبير الذى شمل حبه العميق الإنسانية جمعاء . لقد حولت ساروجينى شعرها إلى عمل عظيم وقد كان للجو العائلى الذى نشأت فيه ساور جينى أثره الكبير فقد كان والدها رجلا عظيما يحج إليه الناس وكانت أمها خبيره بأصول التربية.

سكينة

تعطى « سكينة بنت الحسين » صورة رائعة حلوة لأمرأة عربية بارعة الجمال ، كانت تهفو إليها القلوب وتحوطها بالإعجاب والحب . فقد كانت برزة من النساء تجالس رجال قريش . حلوة الحديث . مرحة مزاحة . قيل أنها كانت تصفف لمتها تصفيفا أطلق عليه اسمها « السكينية » رؤيت وهى ترمى الجمار فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها . وكانت كريمة تجود بكل ما عندها من مال فإن لم تجد فبسوارها . تزوجت مصعب بن الزبير الذى أمهرها ألف ألف درهم ؛ فولدت له «الرباب» وهو اسم أمها . وكانت تحبه . وقدقتل فى الخلاف مع على . وأثرت فى نفسها وفاته أعمق التأثير حتى بدت حزينة مكتئبة . وكان مصعب يقدر زوجته أعظم التقدير وكان حبه لزوجته مضرب المثل حتى قالت : « إن مقتل مصعب كان رمية من الحسد » وقد جمع مصعب بينها وبين عائشة بنت طلحة . وكانتا تتنازعان تاج الجمال . وتتصارعان فى ميدان الحسن حتى كانت كل منهما تقول للأخرى : أنا أجمل منك وقد اختصما فى ذلك إلى عمر بن أبى ربيعة فقال : سكينة أملح وعائشة أجمل . تزوجت سكينة بعد مصعب : زيد ابن عمرو بن عثمان وشرطت عليه ألا يغيرها . ولا يمنعها شيئا تريده . ولا يخالفها فى أمر ترضاه . وكانت تقول له : اخرج بنا إلى مكة . فإذا رجع يومه ذاك . قالت اخرج بنا إلى الطائف . ولكنهما سرعان ما انفصلا بعد أن اتهمته بالبخل . وسكنت فى قصر منيف بعيداً عن المدينة . وعاشت تستقبل الشعراء والأدباء فيجلسون إليها فتراهم ولا يرونها فتفاضل بينهم وتناقشهم . وقد اجتمع لها ذات مرة جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب فنقدت لكل شعره ثم أثابت كلا بألف دينار . وقد حدث لها أن وقفت فى مسجد دمشق فلما سمعت الخطيب يلعن آل بيت النبى صاحت ترد اللعنة على الخطيب فى جرأة بالغة .

سميراميس

« لقد صورتنى الطبيعة امرأة . ولكن أعمالى فاقت أعمال الرجال فحكمت امبراطورية « نينوس » ولم ير البحر الكبير قبلى «اشورى» ولكنى أبصر بعينى أربعة بحار تعترف شواطئها بسلطانى . وأكرهت الأنهار العظيمة على أن تصب طبق إرادتى . وسيرت ماءها لإخصاب الأراضى التى كانت من قبلى قاحلة بغير سكان . وأقمت البروج المنيعة ومهدت طرقا لم يكن يرتادها من قبل إلا وحش الغاب . وفى وسط هذه الأعمال العظيمة وجدت أيضا مجالا لسرورى ولهوى . »

تزوجها الفارس « منونيس » وكانت صبية ترعى الابل فشغفه جمالها وأصبحت بعد زوجة حاكم نينوى فملكة أشور وبابل ولما توفى «منونيس» أصبحت هى صاحبة السلطان الأوحد . فازمعت أن تجعل من بابل أعظم مدينة فى الشرق . وتمردت بلاد كثيرة بعد وفاة الملك وأبت أن تدفع الجزية . وقالت : لابد أن أخضع لسلطانى كل شبر كانت تضمه امبراطورية منونيس . لقد طمعوا فى بابل حين وجدوا على عرشها امرأة . ولكن هذه المرأة ستطأ بجيوشها أرض أرمينية وفارس ومصر وأثيوبيا واندفعت تحارب ووطئت ملوك أسيا وسحقتهم سحقا . وأخضعت فارس وأرمينا . وبلاد العرب ومصر وليبيا والحبشة . وكانت تقول : إننى أدفع إلى الحرب جيشا من العشاق يهتفون باسمى بين صليل السيوف وكانت تخرج إلى الحرب لابسة ترسها . وقلنسوتها ونشابها . وتركب مركبتها الفارهة تقودها بيد وباليد الأخرى تمسك قوسها . لقد كانت تسبغ عاطفتها على الجنود وتندفع أمامهم إلى الحرب كأنها الشهاب فيصرفون عاطفة حبها فى الاستماتة لتحقق النصر لها . ولطالما رغب كثيرون إلى زواجها . ولكنها رفضت ذلك رفضا باتا . وكانت تقول إنه لا يجوز أن تكون « سميراميس » لرجل . بل يجب أن تبقى خيالا يراود أحلام الرجال .

شارلوت كورديه

عرفت أن «ماراه» هو كبير الطغاه الذى يدفع بلادها إلى هذه الهوة الساحقة عندئذ أقسمت لتنتقمن لوطنها من كبير الطغاة . وكبر فى وهمها أنها بقتله ستفعل ما يتمناه الكثيرون وأقسمت أن تذهب إليه فى وكره . ومضت إلى سوق السلاح فاشترت خنجراً ذا نصل طويل حاد . وحملته فى نطاقها ومضت تتردد على مجلس النواب لعلها تجده . فلما عجزت عن لقائه عمدت إلى الحيلة . وكتبت إليه خطابا تقول فيه « إنى آتية إليك من كايان » . وان ما أعلمه من حبك لوطنك يحملنى على الظن بأنك تتشوف إلى معرفة ما هو واقع من الحوادث المؤلمة فى تلك الناحية وبأن ما أدلى به إليك خبر خطير قد يتيح لك أن تقوم بخدمة كبيرة للوطن » وحملت الخطاب وطرقت بابه وأصرت على أن تلقاه . وتحرك فى نفس « ماراه » حب الاستطلاع فأذن بدخولها . وكان إذذاك غائصا فى حوضه إلى ما فوق الثديين وقد غطى كتفيه بمئزر خفيف وقد نصب اللوح الخشبى على حافة الحوض وقد أكب على الكتابة ومن حوله المحابر والأوراق والأقلام . فجلست على المقعد بجانبه وقد انصرف عنها برهة ثم رفع رأسه وسألها عما جاء بها فقالت له إن ثمانية عشر من نواب المجلس الوطنى قد لجأوا إلى كايان وأخذوا يستثيرون الشعب قاصدين تجهيز جيش ليسيروا به إلى باريس وتنبه لها وفتح عيناه فى حماسة عجيبة وأخذ يسألها فى لهفة يحوطها شىء من الكبرياء وعدم الاهتمام عن أسمائهم . ومضى يدونها فى ورقة ثم يضع القلم ثمة وينظر إلى وجهها ويقول : سأرسلهم جميعا إلى المقصلة . وهنا صوبت إليه شارلوت نظرات من نار ودهشت كيف يرسل هذا العدد من الناس إلى الموت بجرة قلم دون أن يحقق فى اتهامهم . عندئذ انتصبت واقفة واستلت الخنجر وفى سرعة كلمح البصر أهوت به على الرجل فاخترق صدره ونفذ من أضلاع ظهره وقالت بصوت مجنون : لن تقتل بعد اليوم أحداً .

شجرة الدر

أبرز مواقف حياتها عندما مات زوجها الملك الصالح والمعركة دائرة بين مصر والفرنجة بقيادة لويس ملك فرنسا . عندئذ افترضت أنه لم يمت ومضت تصدر المراسيم وتدبر الخطط وتحشد القوات . لقد كان ابنه توران شاه فى حصن كيفا من أعمال ديار بكر . وكانت تعرف مدى الخطر الذى يلحق بالجنود ويفت فى عضدهم لو عرفوا بموت العاهل الكبير . عندئذ أخفت الخبر وبعثت تستعجل عودة توران ، وأخذت العهد والميثاق على كل من وقف على خبر وفاته وأرسلت الجثمان تحت جنح الظلام حيث دفن فى الروضة وظلت النظم قائمة والأمور سائرة كما لو كان الملك الصالح حيا . الأمراء يحضرون كالعادة ، والأوامر تصدر ممهورة بخاتمة . وأتاح لها أن تصرف الأمور استعانتها بالأمير فخر الدين قائد الجيش ومحسن الطوسى

وفى خلال هذه الفترة — حتى عاد توران — استطاع الجيش المصرى أن يقبض على ناصية الأمور وأن يهزم الفرنجة ويسحق قواتهم ويأسر ملكهم فى المنصورة بعد موقعة الصالحية المشهورة . وفى خلال ثلاثة شهور احتملت فيها شجرة الدر كل المتاعب المرهقة الضخمة ، استطاعت أن تنقذ البلاد وتنصر الجيش . وقد أتاحت لها قوة شخصيتها وذكاؤها أن تخفى عاطفتها وأن تؤدى دورها فى براعة وقوة وحزم حتى انتصرت وأسلمت مقاليد الحكم إلى توران شاه الذى أعلن موت الملك الصالح

إنها شجرة الدر الجارية الأرمينية التى استطاعت أن تصل إلى مكان الصدارة والنفوذ فى حياة زوجها وفى حياة مصر ، وقد عاشت مع نجم الدين أيوب حياته المظلمة قبل أن يلى الملك وشاركته لأواء العيش ومتاعب الجهاد وشاطرته سجنه واعتقاله بشجاعة وصبر سبعة شهور كاملة . وكان قد اشتراها واحدة من ألوف الجوارى التركيات الارمنيات اللائى تغص بهن قصور الخلفاء . وكانت شجرة الدر مثال الذكاء والجمال والثقافة والدهاء فاعتقها وتزوجها فاصبحت سيدة القصر الشرعية .

شهرزاد

ترسم الأسطورة لشهر زاد قصة شائقة : فقد استقر رأى شهر يار على أن يتزوج كل ليلة فتاة عذراء . ثم يقتلها فى الصباح بعد أن رأى العبد فى فراش زوجته . وظل على ذلك ثلاث سنوات فضج الناس وهرّب الآباء بناتهم . ولم يبق فى المدينة إلا شهر زاد وأختها ابنتا الوزير . وذهب الوزير إلى بيته مهموما . وعرفت شهر زاد القصة فعرضت على أبيها أن يزوجها الملك . وقالت أما أن أعيش وأما أن أكون فداء لبنات المسلمين . ودهش الوزير وتردد ولكنها شجعته وحل موعد الملك وذهبت شهر زاد وتلقاها الملك كما كان يتلقى أى فتاة من اللائى كن يقدمن إليه كل ليلة . ودعت شهر زاد اختها دنيا زاد . وأغرت الملك بالحديث والقصص . وبدأت تقص قصة رائعة ، تدخل فى مفاوز وتخرج إلى رؤى . وأهتز الملك لأول مرة . فلما آذن الصباح والقصة فى أشد مواقفها حرجا . سمح لها الملك بأن تبقى إلى الليلة القادمة لتتم القصة . ولأول مرة خرق الملك تقليده العنيف . وفى الليلة الثانية انتهت القصة وبدأت قصة أخرى وأدرك شهر زاد الصباح فى موقف آخر . وأجل الملك قتل شهرزاد وتواترت القصص . كل ليلة لا تنتهى أبدا فى مطلع النهار ويبدو أن شهر زاد قد أدخلته إلى دنيا جديدة غريبة مليئة بالأسرار وممالك الجن والوحوش والحور والولدان . لقد استطاعت شهر زاد أن تسلب لب « مصاص الدماء » وأن ترده إلى الإنسانية كرة أخرى . بعد أن أوغل فى الحيوانية وأسرف . وتشهى منظر دماء فرائسه اللواتى يبتن معه ليلتهن الأخيرة . ان سر بطولة « شهر زاد » هو قدرتها على فهم الجانب الإنسانى فى الرجل . هواه وعواطفه . كان عندها القدرة على الاحتفاظ به بالحيلة الواسعة . بالعاطفة الأسرة . بالعبارة البارعة . فليس أقدر فى الاحتفاظ بالرجل من المرأة العبقرية . ذات الشخصية البارعة القوية لقد فهمت الرجل فلطالما حدثها أبوها الوزير عنه .

كيلوباترة

عندما دخل «أوكتاف» الاسكندرية منتصراً ظافراً كان كل همه أن يحمل كيلوباتره إلى روما ليعرضها عرض السبي في موكب انتصاره . وليرضي شهوة إنتقامه وبذل ملكة مصر وحبيبة انطونيو . وحاولت كليوباترة أن تخدعه كما خدعت قيصر ثم انطونيو . ولكن قلب «أوكتاف» لم يكن من تلك القلوب الرقيقة التي تخر صريعة أمام الجمال . وكانت قد أعدت عدتها لذلك اليوم . كانت سلة الفاكهة قريبة منها . وفيها ثعبانها السام . إنها لن تقبل الذل . في اللحظة الأخيرة التي هاجم أوكتاف القصر كانت قد مدت يدها إلى ثعبانها ووضعت فمه على ثديها فلم تلبث أن أصبحت جثة هامدة . وهكذا انهت كليوباترة حياتها الحافلة على هذا الأسلوب العجيب . لقد أنست كلا من قيصر وانطونيوا وطنهما وأذلتهما وكان حلمها الذهبي في أن تتوج امبراطورة على عرش أكبر امبراطورية ، فتصبح سيدة نساء العالم . ولقد استردت كليوباتره بقيصر ملك مصر ولكنها لم تصل إلى ذلك المجد العريق الذي كانت تحلم به وهو عرش روما وذهب انطونيو فقدنسي بلاده وبدد ثروة قيصر ضحية هواها المسموم . ومرة ثالثة بدأت كليوباترة تفكر في إعادة المسرحية مع القادم الجديد « أوكتاف » ولكنه لم يخضع . ولما انهزمت أمامه في الوطن لم ترد أن تنهزم في شخصها . وقتلت نفسها وفق الأسلوب الذي ترضاه المرأة . ولعل أبرع مواقفها عندما حملت إلى قيصر في الاسكندرية على أنها تحفة نادرة وفجأة خرجت من الصره « كليوباتره » بشعرها الذهبي وجمالها المصقول وأسرت الفتاة ذات العشرين الرجل الكهل . وتسلطت عليه ، فنسي كل شيء ، غزواته وفتوحه . يقول بلوتارك « لم يكن مال الدنيا بأسرها . وجميع الانتصارات التي نالها قيصر لتساوي عنده هذه الهدية التي ساقها القدر إليه . كان في الرابعة والخمسين من عمره . وكان التعب قد حل به نتيجة المعارك الضخمة التي خاضها »

مدام كورى

مكتشفة الراديوم : التى شاركت زوجها شرف هذا الكشف الخطير . كانت «مارى» منذ شبابها الباكر محبة للعلم شغوفة بالبحث . تعلمت فى مدارس «فارصوفيا» مسقط رأسها . عاشت فى مطلع شبابها حياة شاقة . فقد ضاقت الحياة بأبيها . وماتت أمها فحرمت الأمومة والحنان وعرفت البرد والجوع وفى سن السابعة عشرة تركت مدرستها لتعول أهلها . وعملت مربية للأولاد لتنفق على اخوتها ووالدها . وتدخر ما يتبقى لها لتساعد أختها الذاهبه إلى باريس لدراسة الطب . ولكنها لم تلبث بعد أن سافرت إلى باريس فالتحقت بجامعة السربون ، واتجهت إلى معرفة أسرار العلوم الطبيعية والرياضيات واكبت على العلم والتحصيل . وهناك التقت باستاذها « بيير كورى » فتحابا وتزوجا وأحست مارى لأول مرة فى حياتها بالسعادة . ولم تنس طموحها وأحلامها العلمية . ولما نالت الليسانس . دفعها ذلك إلى الاستزادة من البحث . ومارست مع زوجها النشاط الاشعاعى وكافحا طويلا حتى توصلا إلى اكتشاف الراديوم : هذا الحدث الذى اهتزت له الدوائر العلمية .

وسافرت مارى إلى الشرق والغرب تلق العلماء فى كل مكان وتحرز الشهادات الفخرية من أعظم جامعات العالم . ولما عرضت عليها الشركات فى جميع أنحاء العالم الثراء الوفير رفضت ، وفضلت أن تعيش فقيرة مع زوجها وأولادها على أن تستغل اكتشافاتها وقالت لممثلى الشركات أن ما تطلبونه مستحيل . فهو مخالف للروح العلمية ولما توفى زوجها عرض عليها منصب أستاذه فى كلية العلوم وكانت المرة الأولى التى تتولى فيها سيدة هذا المنصب . ومضت فى عملها تكتم حزنها على زوجها حتى توفيت فى ٤ يوليو ١٩٣٤ وبكاها العالم كله . بكى المرأة التى عشقت المجد وازالت الأشواك من طريق الانسانية .

مارى باشكرتيف

لم يخلقنا الله لنتألم . إننى لن أبرأ . وسيبقى بينى وبين العالم حجاب فلن أسمع خفيف الريح فى الشجر . ولا تساقط المياه الصافية . ولا خرير الغدران العذبة . ولا قطرات المطر على الزجاج . ولا رنين العبارات التى يذيعها الهمس » هكذا صورت مارى باشكيرستف أزمتها عندما أخذ المرض بخناقها : بيضاء اللون ، صغيرة الجسم جميلة التكوين . شقراء الشعر . قرأت أرسطو وأفلاطون ودانتى وشكسبير وكان اعجابها لا ينقضى بشعر هومير . قالت « لن يستطيع أحد أن يتخلص من عبادة القدماء . فلم تترك ماساة حديثه ولا قصة ولا مهزلة مما كتب دوماس أو جورج ساند فى نفسى ذكراً باقيا ولا أثراً عميقا صريحا كالأثر الذى تركه فيها وصف الاستيلاء على ترواده » . كانت محبة صادقة الحب للطبيعة ولوعة بالفن. يجرى فى عروقها دم تترى عريق ورثته عن أمها . تمضى يومها أمام تماثيل الرخام فى متحف الكابتول فى روما . تحب الوحدة أمام المرآة . كان يعجبها صوتها . وكانت الأفكار المتناقضة تختلط فى رأسها . وتخلص التوجه للعذراء . وتقوم بطقوس الديانة كما شغفت بالسياحة والتنقل فكانت تطوى المراحل وتجوب الأمصار فى رومه وباريس وبرلين . دون أن تستطيع التخلص من الضجر الذى رمت به واستحوذ على حياتها. « كل ما ليس أليما فى الوجود فهو سخيف . وكل ما ليس سخيفا فهو أليم . انى أحب الحياة واستسيغ كل شىء فيها حتى الدموع والألم سأرحل غدا . وأغيب فى جوف الثرى . وتغيب معى كل أمانى وأمالى وأنا لا أعدو الرابعة والعشرين من عمرى » خافت الموت واحبت بالحياة وتزداد حبا لها وهى تفر منها . وكانت تمر ساعات تشعر فيها شعوراً مبهما مفزعا بالمرض الذى اندس فى صدرها « الساعة وأنا خارجة من غرفة زينتى مر بى طيف مفزع . فقد رأيت إلى جانبى امرأة فى ثوب طويل أبيض تحمل النورفى يدها . وقدعاشت الكاتبة (اكتوبر ١٨٦٠ — ١٨٨٤)

طغاة

دلسبس

رفعه الحظ إلى ذروة المجد والشهرة . ثم هبط به إلى الحضيض . كانت حياته قصة فترة من النجاح ثم مأساة مروعة من الخيبة والفشل . حصل وهو فى سن الخمسين ١٨٥٤ على امتياز حفر قناة السويس من سعيد باشا والى مصر وفى ٩ فبراير ١٨٩٣ أصدرت محكمة الجنح بباريس حكمها على فرديناند دى لسبس وابنه شارل بإنهما ارتكبا أعمالا تعد نصبا واحتيالا وحكم عليه بالسجن خمسة أعوام كان بارعا فى الألعاب الرياضية والفروسية . وكانت قفزة حصان هى عربون حصوله على امتياز القناة . ناصبت انجلترا فكرة دلسبس العداء وحاولت ما استطاعت تأخير بدء العمل والغاء الامتياز . لم يكن دلسبس مهندسا فاستعان بطائفة من الاخصائيين استطاع أن يحقق حفر القناة . ولما هاجمت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ استطاع أن يخدع عرابى ويؤخر ردمه للقناة .

وغره النصر فسافر إلى أمريكا لينشىء قناة «بنما» التى تصل بين المحيط الأطلسى والمحيط الهادى وفى ١٨ مايو ١٨٧٨ شق القناة خلال سلسلة من الجبال المرتفعة وقد اقتضى ذلك انشاء سلسلة من السدود حتى تستطيع السفن أن ترتفع ثم تهبط . وقد كان لضخامة الصعوبات وكثرة النفقات وطبيعة الأرض أثرها فى اضطراب المشروع . وقيل أن النفقات لم تقدر تقديرا صحيحا . وقد تسربت الملايين فى الدعاية وعجز دلسبس عن المصروفات الضرورية وتوقفت الشركة ١٨٩١ وقالت أن هناك كارثة مالية كان عمر دلسبس ثلاثة وثمانين عاما . وتناول القضاء المسألة وفى ٥ فبراير ١٨٨٩ صدر الحكم بحل شركة قناة بناما وتصفيتها . وامتد التحقيق سبعة عشر شهرا وكانت هناك فضائح ضخمة وسجن يفتح أبوابه للافاق العالمى . وقد توفى دلسبس عام ١٨٩٤ بعد أن ترك اسمه ملوثا بالوحل .

نيرون

كانت أمه زوجة كلوديوس قيصر الروم . وقد زوجت ابنها نيرون من ابنة القيصر . ثم لم يلبث القيصر أن مات مسموما بيدى زوجته . وأصبح نيرون فى السابعة عشرة من عمره عاهلا للدولة العظمى .

وقتل نيرون زوجته الأولى ثم زوجته الثانية . ثم أمه التى أجلسته على العرش حيث ماتت مخنوقة بأيدى جنود ولدها العاق .

وفى عام ٦٤ بعد الميلاد وقف نيرون من شرفة قصره يستمتع بمرأى النيران الهائلة تندلع فى مدينة روما لا يقف فى وجهها شىء . خلال سبعة أيام بلياليها حتى أتت عليها وكلما ازدادت النار توهجا ازداد نيرون حماسة فى لهوه وغنائه وشرابه .

لقد كان الطاغية يريد تخطيط روما من جديد ومن أجل ذلك أحرق المدينة الخالدة ليرسم تخطيطا جديدا . ولكن النتيجة لهذا الحريق أن اجتاحت روما الأوبئة التى أودت بالألوف من سكانها بعد الألوف التى أودى بها الحريق . وخمدت النار . واندثرت روما . وبدأ نيرون يخطط روما من جديد بعد أن أثقل كواهل الأهالى بالضرائب الفادحة وشيد لنفسه قصراً سماه « قصر الذهب » .

وسقطت هيبة روما وثار عليها الألمان والأسبان والغال . وتمزقت أوصال الدولة ، وتآلف أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى . وطالبوا بعزل الطاغية أو قتله كما قتل الناس وأحرقهم .

وفر نيرون من قصره يلتمس النجاة . ولكن حوافر الخيل أدركته ولما أحس أنه مغلوب أخرج خنجره وأغمده فى صدره .

تراجم منـــوعة

توسان

وضع التاريخ اسم توسان فى صف ابراهيم لنكلن وجان دارك وجاسون وسقراط : رمزاً للحرية وقدوة للتضحية فى الذود عن الوطن . ولد وشب فى جزيرة هايتى حيث تفتحت عيناه على سوط العذاب يقع فى كل لحظة على زملائه السود من سادتهم البيض الفرنسيين ! وبيع بيع الرقيق وهو السابح الماهر والصائد القادر . تعلم الفرنسية إلى جانب لغته الأفريقية : كما بدأ تعلم اللاتينية . وقرأ تاريخ الرقيق كما قرأ الكتاب المقدس الذى ملأ نفسه بالأمل فى يوم قريب يتحرر فيه شعبه .

ولم يلبث توسان أن قاد الحركة التحريرية لوطنه . واضطر الحاكم الفرنسى أن ينزل على إرادة الشعب وولاه حكم الجزيرة . وقاد توسان الشعب وأعد كتائبه وجمع جنوده وفتح المدن وامتلك الحصون . ولما وقع خصومه من جماعة (ريجود) فى قبضته أخذهم إلى الكنيسة ليعظهم ويهبهم حياتهم وطعاماً يأكلونه .

ورفض توسان أن يكتب على علم هايتى فضل فرنسا كما طلب منه نابليون . ومضى يقاوم دسائس فرنسا فى بلاده وقد دعاه هذا إلى القبض على السفير الفرنسى ووضعه فى باخرة لتقله إلى بلاده . ومضى يعمل على تحرير بلاده حتى ضاق نابليون به فقرر إرسال قوة للقضاء على الزنجى الثائر وأرسل ٣٠ الف جندى لاعادتها إلى ما كانت عليه قبل عام ١٧٨٩ ووصلت ستون مركبا حربيا إلى هايتى وأبلى توسان فى الحرب حتى انهزم الفرنسيون واضطروا للانسحاب ولما قال له القائد الفرنسى من أين لك الأسلحة تحاربنا . قال سأغتصبها منكم وأحاربكم بها . ولكن الفرنسيين غرروا به بعد الظفر واستدرجوه إلى حجرة أخفوا فيها عشرون ضابطا مدججين بالسلاح حيث ألقى القبض عليه ثم نقلوه بالباخرة إلى فرنسا حيث وجدت جثته بعد أيام .

ديموستين

ولد فى اثينا سنة ٣٨٤ ق . م . وفقد أباه فى السابعة من عمره وبددت الثروة . كان من ذوى العزم لا يعرف اليأس . وكان مصابا بلثغة طبيعية وبخفوت فى الصوت وقد عالج اللثغة بحصاة كان يضعها تحت لسانه حتى تدميه لكى يستقيم لسانه . وكان يتدرب على إلقاء الخطب على شاطىء البحر الصاخب كى يعلو هذا الصوت على صخب الموج وقد أعد نفسه للحياة السياسية . وقد بدأ يعدّ نفسه للحياة السياسية فنسخ كتاب المؤرخ « توسيديد » عن حرب البليبونيزيا وهى الحرب التى قامت بين أثينا واسبرطة وكانت من أسباب تحطيم مجد أثينا وقد نسخ هذا الكتاب الرائع بيده سبع مرات . وقد أدى ذلك إلى تركيز أفكاره واتجاهه إلى الوقائع والأحداث دون الكلام الانشائى المثير . وحذق ديموستين القانون الأثينى وسجل عدداً من المرافعات المدنية الظافرة . ثم تحول إلى المرافعات السياسية التى تتعلق بدستورية القوانين . ومضى ديموستين يعمل فى السياسة أمام جمعية الشعب . وله خطب وطنية محفوظة خطيرة حث فيها الشعب الأثينى بل والاغريق كله على مقاومة المقدونيين وملكهم فيليب حتى لا تغزو مدنهم الحرة ويستعبدها كما حدث بالفعل . لقد عمل ديموستين على ايقاظ شعبه الذى جنح إلى الدعه بعد هزيمته فى الحرب ، فدعا الشعب إلى روح الجد والتقشف ودعا إلى تحويل الجانب الأكبر إلى تقوية الجيش والبحرية لتحرير الوطن . ورد كل عدوان . ومضى ديموستين إلى تنبيه قومه إلى الخطر الداهم ودعاهم إلى فتح أعينهم للحقائق وحذرهم من الاستكانة إلى الراحة والدعه وانتصر ديموستين على خصومه . ولكنه فى أيامه الأخيرة نفى سنة ٣٢٤ وأعيد بعد موت الاسكندر مكرما ولكنه لم يلبث أن داهمه بعض خصومه وهو يصلى فى معبد « بوزيدون » إله البحر فآثر أن يمتص السم الذى أعده فى مقبض خنجره عن أن يستسلم للعدو وراح ضحية دعوته الحرة ومات سنة ٣٢٢ ق . م

جول جمال

سيظل يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٦ يوما خالداً فى تاريخ القومية العربية يرتبط فيه اسم جول جمال بمعركة البرلس التى حطمت أسطول فرنسا حيث أغرق جول جمال أضخم مدرعة فرنسية « جان بار » لقد رد جول جمال لفرنسا بعض الثأر لمعار كها فى دمشق لقد تقدمت « جان بار » من الشاطىء المصرى عندما كان جول جمال قد أزمع أن يحطمها واندفع وراءها فى زورقه فى قوة وهى مولية خوفا فأطلق عليها الطوربيد الذى شطرها وأغرقها . وجن الفرنسيون وأخذوا يطلقون النار فى غير وعى وسجل جول جمال استشهاده وهو فى سن الثلاثة والعشرين من عمر الزهر بعد حياة قصيرة عريضة لم تكن أكثر من حياة شاب سورى آمن بالقومية العربية وربى فى أحضانها وعاش يحلم بأن يقوم بدور عظيم فى سبيلها . لقد أحب منذ شبابه الباكر أن يكون ضابطا بحريا . لقد تحوطته كل العوامل التى خلقت فيه البطولة : اللاذقية حيث ولد ، مرفأ سوريا . وميناؤها على البحر الأبيض حيث تتجلى صورة البحر وأمجاده وتاريخه وسوريا وماضيها وصرامة أبنائها فى حب وطنهم والذود عنه والاستشهاد من أجله . وأبوه الذى قال إنه سماه جول أى « المختار المصطفى المنقى من الشر والرزيلة » وأهازيج أمه وهو فى أحضانها صغيرا حيث كانت تردد « جول يا جول يا بطل البحار يا جول » على حد تعبيرها لزميلنا أبو الحجاج[1] حافظ . وفى شبابه سمع قصص البطولة وكفاح اللاذقية وثورة الجبل ببطولة الشيخ صلاح العلى وشاهد الذين عاصروا الثورة وشاهدوا دماء الشهداء الذين صرعهم الاستعمار تجرى على الأرض الطاهرة وأحب من شعر بشار بن برد قصيدته الحماسية التى مطلعها :

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

(١) مؤلف كتاب جول جمال من سلسلة « شباب خالد » .

على مبارك

« فى مدة نظارتى للمدرسة كنت أباشر تأليف كتب المدارس بنفسى مع بعض المعلمين . وجعلت بها مطبعة وحروف ومطبعة حجر طبع فيها نحو ستين ألف نسخة من كتب منوعة . لم يكن يشغلنى عن التفاتى للتلاميذ فى مأ كلهم ومشربهم وملبسهم وتعليمهم وغير ذلك . وكنت أباشر ذلك بنفسى حتى أعلم التلميذ كيف يلبس ويقرأ ويكتب . وألاحظ المعلم كيف يلقى الدروس ويؤدب التلاميذ ولا يمضى يوم إلا وأدخل عند كل فرقة وأتفقد أحوالها » ذلك هو منطق المربى « على مبارك » فلما غضب عليه الخديو وأمر بارساله مع الجيوش المحاربة فى الدولة العثمانية قام بنفس الدور . كان يتنقل مع الجيوش المحاربة يتعهد أمور المرضى من الجنود بنفسه حيث أخذ يجمع الأموال تبرعا من الناس ولما لم يجد أحداً من الأطباء يساعده فى عمله الإنسانى اختار رجلا ممن لهم خبرة بالعلاج على طريقة أهل الاقليم وشاركه بنفسه فى خدمة المرضى فأثمر ذلك ثمرة طيبة جعلت أهل الاقليم يكتبون له وثيقة يسجلون فيها اعترافهم بحسن صنعه . فلما عاد إلى مصر تطوع لتعليم الضباط وصف الضباط . فاتخذ مدرسة من خيام متنقلة مستخدما كل ما يساعده على تحقيق النجاح فى مهمته . فكان يعلمهم القراءة والحساب والهندسة والفنون العسكرية والاستحكامات وسوق الجيوش وطرق الحرب . وأتيحت له من فرصة العمل الذى كان يرنو إليه . إدارة « ديوان المدارس » فلم يلبث أن وضع الخطط الأساسية للتعليم لأول مرة . وقد أنشأ مطبعتين لطبع الكتب المدرسية . وأنشأ دار الكتب المصرية وأول معمل للعلوم واهتم ببناء المدارس . وأنشأ دار العلوم لإعداد المدرسين . وإليه يرجع الفضل فى تجميل القاهرة وميادينها بالأعمال الهندسية وقد قام بادخال النور والماء لأول مرة إلى بيوت المدينة . عاش بين عام ١٨١٦ — ١٨٨٦ .

على ابراهيم

قالوا أن مبضعه كان سحراً من السحر . وأن يده كانت آية الآيات فى شق البطون وإعادتها إلى أصلها . بدأ حياته طبيبا فقيرا عام ١٩٠١ . أجرى فى حياته الطبية (١٩٠١ — ١٩٤٧) ٣٥ ألف عمليه . حصل على أرقى مؤهلات فخرية من دول العالم . تنقل من طبيب أوبئه إلى عميد كلية الطب . رأس بعثة مصر فى حرب البلقان . عمل فى عشرات من الجمعيات والمعاهد . صادق مئات من أكبر جراحى العالم . حصل على أجر عمليه جراحية ألف جنيه ذهبا ، وعالج الفقراء دون أجر وتكفل لهم بأجر المستشفى وثمن الدواء وعندما قال شوقى :

يد إبراهيم لو جئت لها بذبيح الطير عاد الطيرانا
لم تخط للناس يوما كفنا وإنما خاطت بقاء وكيانا

ضحك على إبراهيم وقال : آه لو عرف شوقى أن قتلاى فى القطر كان يمكن أن يملؤوا مقابر المجاورين ! كان يفخر بأهله الفقراء فى عصامية فذة ويضع صورة أمه « مبروكة خفاجى » فى مكتبه . عاصر وهو طفل ثورة عرابى وحرب الأسطول الانجليزى لثغره الأسكندرية وهاجر مع أمه من الاسكندرية فى جنح الليل هربا من النيران اللاحقة وعاصر فى شبابه جرائم الاحتلال البريطانى وعاصر مصطفى كامل ومحمد فريد وعاصر ثوره ١٩١٩ واستطاع بعبقريته الفذة وخلقه أن يقوض نفوذ الطب الأجنبى الذى سيطر بعد الاحتلال وأنقذ الطب المصرى ورفع شأنه فقد كان الكبار لا يزالون واقعين تحت سيطرة قدرة الأطباء الأجانب وضعف الأطباء المصريين فلم يلبث أن دخص هذه الفرية وأثبت الكفاية المصرية وكان فى تمصيره للطب أشبه بطلعت حرب فى تأميمه للاقتصاد ، ولم يلبث على إبراهيم أن خنق نفوذ الطب الانجليزى وطب للملوك والأمراء والوزراء ومصر كلية الطب وأقام مستشفى المنيل الجامعى وأحب التحف .والسجاجيد . عمل من السفح فى القرية وركب الحمار والقارب وعطش وجاع وبدا دخله بثمانين قرشا فى الشهر

فاجنر

« إنى أعتقد فى شىء واحد : صدق الفن الواحد الذى لا ينقسم : أعتقد أننى على الأرض لست إلا وتراً شاذاً سيعود فى الحال إلى نغمه العادى فى شكل مدهش بمجرد موتى » كان ريتشارد فاجنر : مرح وحركة وتصوير وسيكولوجية . ولد على نهر مابين بمدينة القنوات فينسيا حيث عاش يؤمن بوحدة الفن . كان عمله عظيما فى حاجة إلى خمسة وسبعين عاما حتى يفهمه الناس . عندما كان يتلقى دراسته الثانوية فى درسدن وليبزج كان يطمع فى أن يصبح كاتب روايات مسرحية . لا مؤلفا موسيقيا . ثم لم يلبث أن عمل مع عدة فرق متجولة . ثم تخصص فى الأوبرا . وقصد إلى باريس . وتحت قيادة فاجنر صارت سمفونية بيتهوفن التاسعة هى الشعلة المضيئة التى كشفت الطريق لثورة ١٨٤٨ . وقد حارب فاجنر من وراء استحكامات هذه الثورة فى درسدن فى مايو ١٨٤٩ وكان على وشك أن يدخل السجن لولا أن هرب إلى فيمار . ولم يمنح العفو إلا بعد انقضاء اثنى عشر عاما . وأثناء وجوده بالمنفى فى زيورخ أخذ يحرر النشرات محاولا البحث عن الحقيقة . هناك تحركت عاطفته نحو حبيبته « ماتيلدا » وألف فى خضم ثورته العاطفية قصة الحب والوقت والبعث « تريستان وايزول » وكأنها قصة حياته . كما ألف عدداً من الأوبرات الموسيقية .

وكاد اليأس أن يقضى على فاجنر وهو يتجول هائما على وجهه بين فينا وباريس ثم تزوج فى هذه الفترة وولد له ابنه « سيجفريد » ثم عاد فاجنر إلى بافاريا حيث وضع أساس مسرحه فى بايروت .

وفى ١٣ فبراير ١٨٨٣ توفى فاجنر فى فينسيا أثر نوبة قلبه فى السبعين من عمره كانت آخر أفكاره إيجاد وسيلة للسماح لكل محتاج للدخول إلى حفلات العيد الموسيقية بدون مقابل .

النعمان بن مقرن

عندما قاد المسلمين فى معركة فاصلة مع الفرس ، هى معركة « نهاوند » الشهيرة حمل رايته وكبر تكبيراته الثلاث واندفع فى قوة فوق فرسه وقال « أنكم بين خيرين تنتظرون إحدى الحسنيين ، من بين شهيد حى مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير فإذا قضيت أمرى فاستعدوا فإنى مكبر ثلاثا فإذا كبرت الأولى فليتهيأ من لم يكن قد تهيأ وإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتهأ للنهوض . وإذا كبرت الثالثة فإنى حامل إن شاء الله فاحملوا معى ثم رفع يديه وقال : اللهم أعز دينك وأنصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد فى هذه المعركة » وقد صدق الله دعوته فإنه ما كاد يندفع مقاتلا يطيح الرقاب بسيفه البتار ، ويخوض فى أموج دافق من الدماء حتى انزلق زلقة انتهزها أحد الأعداء بسيفه فهوى صريعا وقد أسرع أخوه « نعيم » فحمل الراية ورفعها وأوصاه النعمان أن يكتم الأمر حتى لا يفت ذلك فى عضد المسلمين وقد كان إذ انتصر المسلمون فى المعركة الهائلة . وأدرك المجوس الرعب والفزع وتساقطوا فى الخندق المشتعل حتى بلغ صرعى الخندق مائه ألف . والنعمان بن مقرن من قبيلة « مزينة » هاجر إلى المدينة عند بزوغ دعوة محمد وانتظم فى صفوف الفرسان فى غزوات النبى وقد جاءت مزينة كلها فى فتح مكة محاربة وكان النعمان ميمنة أبى بكر فى مهاجمة المرتدين حيث خلفه أبو بكر على رأس الموقعة فانتصر وظفر . وكان فصيحا خطيبا يدفع الجند إلى حومة القتال بصيحة الفداء . وقد حفظت له كتب الأدب نماذج من البيان سار تحت لواء سعد بن أبى وقاص فى فتح فارس . وهو الذى أرسل ليزدجر نخاطبه فى صراحة وقوة وكسرى يستمع إليه مأخوذاً وأراد كسرى أن يذله فحمله التراب فرجع به إلى سعد فرحا وهو يقول « لقد جئتك بأرضهم » وقد صدق الله حدثه واشترك فى القادسية وتولى خراج « كسكر » ولكنه ضاق بالولاية واندفع يحارب حتى استشهد .

هتلر

بلغ « هتلر » من الشهرة حداً لم يبلغه قائد فى العصر الحديث . ولـكنه انطوى كالشهاب الخاطف . قال إن هدفه هو إعادة المجد القديم للـعـالم الألمانى وإعادة ألمانيا بين الأمم » كان يعمل فى مهنة نقاش فى فن العمارة . وهو نمساوى الأصل . ربى تربية ألمانية محضة . فنشأ ألمانى الميول والنازع لم يلبث قليلا بعد إعلان الحرب العالمية الأولى أن انضوى جنديا تحت قيادة الجيش الألمانى وامتاز فى ميادين القتال بالجرأة والشجاعة . ثم لم يلبث أن أصبح زعيما للعمال وانضم تحت لوائه آلاف مؤلفة القوى المتحفز وأصبح خطيبا شعبيا صريحا عنيفا يلهب الحماس الثائر فى النفوس . وأعلن أنه اشتراكى وطنى ، عدو للشيوعية ، عدو لليهود . وفى ٩ نوفمبر ١٩٢٦ فى بافاريا اندس عدد كبير من أنصار هتلر فى احتفال سياسى عام ، واقتحم هتلر المـكان وفى كل يد مسدس كبير ووراءه رهط ضخم من أنصاره مدججين بالسلاح وسار حتى توسط الاجتماع فنصب فيه مدفعا من طراز « المترااليوز » ووصل إلى المنصة وأزاح الخطيب وأطلق نحو السقف مقذوفا ناريا من مسدسه . وألقى خطبة قال فيها : أن الثورة الوطنية قد شبت . وأعلن سقوط وزارة بافاريا وأعلن نفسه مستشاراً للدولة ورئيسا لحـكومتها . ولم يلبث أن قبض عليه وقدم إلى المحاكمة بتهمه الشروع فى قلب نظام الحـكم فقال : إنى أوثر أن أرى بلادى نهبا للفوضى على أن أراها مسكينة صاغرة للاحتلال الفرنسى . وحكم عليه لمدة خمس أعوام وحبس فى قلعة « لانسدبرج » سنة وبضعة أيام ثم أفرج عنه . ولم يلبث أن دبر الثورة الـكبرى التى انتهت بتنصيبه رئيسا لحـكومه الرايخ للشعب بعد وفاة هندبرج وإليه يعزى قيام الحرب العالمية الثانية فقد اندفع يسيطر على الأقطار المجاورة لألمانية مما هيأ لقيام الحرب بينه وبين بريطانيا وفرنسا وروسيا . فلم تلبث القوات الثلاثة ان اجتاحت بلاده بعد أن حقق عدة انتصارات فى أول الأمر . وقتل عام ١٩٤٥

الأعلام الألف : الجزء الثانى